جامعـــة سعـد دحلـب بالبليـــدة

كليـــة الآداب والعلـــوم الاجتماعيـــة

قســـم اللغة العربيـــة وآدابهـــا

مذكرة ماجستير

التخصص: أدبي

الإعجاز البياني في الآيات المتشابهات

من طرف:

فتيحة نجادي

أمام اللجنة المشكلة من:

بلمحجوب محجوب	أستاذ محاضر، جامعة البليدة	رئيسا
ساسي عمار	أستاذ التعليم العالي، جامعة البليدة	مشرفا ومقررا
رتيمة محمد العيد	أستاذ التعليم العالي، جامعة الجزائر	عضوا مناقشا
عبدلي محمد السعيد	أستاذ محاضر، جامعة البليدة	عضوا مناقشا

البليدة، نوفمبر2006

ملخص

تناولنا في بحثنا الموسوم بالإعجاز البياني في الآيات المتشابهات أربعة فصول، ثلاث منها نظرية الرابع فجاء تحليلا وتطبيقا ودراسة أثبتت في مجملها ما تناولناه في الفصول النظرية.

أما الفصل الأول فقد جاء حول ماهية الإعجاز والمعجزة القرآنية سالكين في ذلك منهجا علميا مناسبا لطبيعة الموضوع فرأينا أن يكون وصفيا وظيفيا وذلك من أجل إجابة على تساؤل أردنا الوصول إليه من خلال هذا البحث والمتمثل في مدى قيمة الصيغة البيانية للنص أو الخطاب القرآني وتأثيرها على بلورة المعنى الذي يحمله هذا الأخير.

لقد حاولنا إظهار المعجزة القرآنية بما فيها من تحد ومعارضة لنمر بعد ذلك إلى ماهية الإعجاز وألقينا بعدها نظرة على من كتب فيه عبر مراحل زمنية طويلة وصولا إلى السر الذي يحويه.

أما الفصل الثاني: "ماهية البيان" فحاولنا من خلاله توضيح المفهوم الواسع للبيان وقد وضعنا هذا الفصل فيما سيكون له من أهمية توضيحية للفصل التطبيقي.

أما الفصل الثالث فكان بمثابة الدخول إلى الجزء المهم في البحث وهو المتشابه في القرآن الكريم وما يقابله من محكم ثم وصولا إلى الفصل الرابع وهو أهم جزء في البحث لأنه دراسة تحليلية وتطبيقية لآيات اخترناها كنماذج للدراسة، وصولا بعد ذلك إلى الخاتمة تجمع عددا من النتائج.

شكر

أتقدم بشكري الجزيل لكل من ساعدني في هذا البحث، بداية بأفراد أسرتي وعلى رأسهم والدي أعزهم الله، ثم إلى أستاذي المشرف الذي بذل وقته وجهده في سبيل البحث العلمي.

إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية بجامعة سعد دحلب بالبليدة.

الفهرس

ملخص
شكر
الفهرس
مقدمة 6
1.الإعجاز و المعجزة القرآنية.....9
1.1.المعجزة القرآنية.....10
2.1.الإعجاز 21
1.2.1.مفهومه.....21
2.2.1. التدوين في إعجاز القرآن.....24
3.2.1.وجوه الإعجاز.....24
4.2.1.سر الإعجاز.....27
2.حقيقة البيان 30
1.2.ماهية البيان 31
1.1.1.2.مفهوم البيان في المعاجم العربية.....31
2.1.1.2.البيان في القرآن الكريم.....32
3.1.1.2.البيان عند المفسرين.....34
4.1.1.2.البيان عند الأصوليين.....34
5.1.1.2. البيان عند البلاغيين.....37
2.1.2. وجوه البيان في القرآن الكريم.....39
2.2.نشأة البيان العربي.....42
3.2.مجمع الصلة بين البيان و الإعجاز القرآني.....46
1.3.2.بين الإعجاز و البيان 46
2.3.2.ربط النحو بالبلاغة.....49
3.ماهية المتشابه من خلال المفهوم المقابل.....53
1.3.ماهية المحكم و المتشابه.....54

1.1.3.تعريف المحكم 54
2.1.3.تعريف المتشابه.....55
3.1.3.الفرق بين المحكم و المتشابه.....62
2.3.تفسير الآية السابعة من سورة آل عمران.....64
3.3.الحكمة و المقصود من وجود المتشابه في القرآن الكريم.....70
4.3.المتشابه و علاقته بالدراسات اللغوية.....71
5.3.نظرة على كتب المتشابه.....74
4. دراسة بيانية للآيات المتشابهات 77
1.4.مدونة الآيات المختارة للتطبيق مع تحديد الموضوع لكل نموذج.....78
2.4.جدول توضيحي لآيات النماذج.....79
3.4.الإبانة عن معاني الآيات النماذج من خلال تفسير الجلالين.....81
1.3.4.النموذج الأول.....81
2.3.4. النموذج الثاني.....81
3.3.4. النموذج الثالث.....81
4.3.4. النموذج الرابع.....82
4.4.التحليل الإفرادي في الموضوع لآيات أصل الخلق.....82
1.4.4.السياق القبلي و البعدي للآيات.....82
2.4.4.الآيات 82
1.2.4.4.الآية الأولى .خلقكم من تراب.....83
2.2.4.4. الآية الثانية.من طين لازب.....91
3.2.4.4. الآية الثالثة.من سلالة من طين.....94
4.2.4.4. الآية الرابعة.من حمأ مسنون.....96
5.2.4.4. الآية الخامسة.من صلصال كالفخار.....99
5.4.النحو و البلاغة في الموضوع الأول.....100
1.5.4.تفسير الآيات في الموضوع الأول.....101
1.1.5.4.الآية الأولى .خلقكم من تراب.....101
2.1.5.4. الآية الثانية.من طين لازب.....102
3.1.5.4. الآية الثالثة.من سلالة من طين.....103
4.1.5.4. الآية الرابعة.من حمأ مسنون.....105

5.1.5.4. الآية الخامسة.من صلصال كالفخار.....107
6.4. علاقة الآيات ببعضها البعض على ضوء الدراسة النحوية و البلاغية.....108
7.4.التحليل الإفرادي في آية الحقائق العلمية و الظواهر الكونية.....108
1.7.4.الموضوع الثاني آية الحقائق العلمية و الظواهر الكونية.....110
2.7.4.السياق القبلي و البعدي للآية.....110
8.4.النحو و البلاغة في الموضوع الثاني.....114
1.8.4.التفسير.....114
2.8.4النحو و البلاغة.....115
9.4.التحليل الإفرادي للموضوع الثالث.قدرة الله في ملكه.....116
1.9.4.الآية.....116
2.9.4.السياق القبلي و البعدي للآية.....116
10.4.النحو و البلاغة في الموضوع الثالث.....123
1.10.4.التفسير.....123
2.10.4.النحو و البلاغة.....124
11.4.التحليل الإفرادي في الآية.مشاهد يوم القيامة.....125
1.11.4.الآية.....125
2.11.4.السياق القبلي و البعدي.....125
12.4.النحو و البلاغة في الموضوع الرابع.....130
1.12.4.التفسير.....130
2.12.4.النحو و البلاغة.....133
خاتمة.....135
ملحق الآيات.....139

مقدمة

الحمد لله الّذي أنطق لسان الإنسان فأفصح عن عجيب البلاغة وسحر البيان وأوضح منار البرهان، فأشرقت أنواره عن حقائق العرفان، والصّلاة على من تبوّأ من الفصاحة ذروتها، واقتعد من البلاغة مكان صهوتها.

الحمد لله الّذي لا يحصى ثناؤه ولا تعدّ آلاؤه، والصّلاة والسّلام على رسول الله وعلى أهله وصحبه ومن والاه «ربّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي»، أمّا وبعد...

يقول الإمام جلال الدّين السيوطي رحمه الله: "العلوم وإن كثر عددها وانتشر في الخافقين مددها، فغايتها بحر قعره لا يدرك، ونهايتها طود شامخ لا يستطاع إلى ذروته أن يسلك وبهذا تفتح لعالم بعد آخر من الأبواب ما لم يتطرّق إليه من المتقدّمين".

إنّنا نعلم أنّ الدّراسة في الإعجاز لم تنته ولن تنتهي إلاّ أن يشاء الله وهذا من إعجاز إعجازه، وما نجده في كتب الأوائل، من وجوه إعجاز القرآن الكريم ما هو إلاّ تبين وتوضيح لرؤاهم، فتعدّد الدّراسات واختلافها قديماً وحديثاً باعتبار القرآن الكريم المعجزة الّتي تحدّى بها الله عز وجلّ الإنس والجنّ جعل بحوثا متنوّعة تظهر حول أسلوبه ونظمه وعلومه وحكمه من وجوه مختلفة، وهي إمّا لتؤكّد إعجازه فتبطل حجج الشاكّين، وتدفع أباطيل الطّاعنين، وإمّا كشف علومه فتضيف إلى ما وصل إليه السّابقون.

لقد قامت دراسات مكثّفة تناولت إعجاز القرآن من جوانب عدّة، وأجاد الباحثون في تبيّين نكته ودقائق لغته أيّما إجادة، وتأتي أهميّة موضوعنا هذا في كونه جديداً يتناول إظهار الإعجاز البياني في الآيات المتشابهات، أمّا التّشابه هنا فنعني به التّشابه الّذي يجعل الآية تحتمل أكثر من تـأويلين أي عكس المحكم وليس التّشابه الّذي يخصّ تماثل الألفاظ بين آيتين مختلفتين، وقد دفعنا حبّ المعرفة لدراسة هذا الموضوع محاولة منّا لاكتشاف حقيقته وسرّه الّذي اتّخذ من هذه الظّاهرة جزءاً عظيماً من الإعجاز وكشف أسرار القرآن الكريم وخباياه مع مرور الزّمن، بالإضافة إلى أسباب أخرى نذكرها في النّقاط التاليّة:

1. قلّة البحوث المهتمّة بالدّراسة التّحليليّة في هذا المجال.

2. اقتصار أكثر البحوث على دراسة التّشابه من حيث اللّفظ فقط.

3. حقيقة المتشابه علم واسع يحمل دلالات يفكّ سرّها الزّمن، فالدّراسة في هذا المجال لمّا تكون متجدّدة تكون النتائج تدفع إلى الأمام بالأجيال اللاّحقة للبحث أكثر في الموضوع نفسه لأنّ المتشابه لا يتوقّف عند تفسير معيّن ومحدّد.

فكان إذن السّعي وراء البحث في حقيقة هذا الموضوع دون غيره محاولة منّا لإلقاء الضوء على قضيّة شغلتنا حاولنا أن نبحث فيها عن الحقيقة الّتي تنطوي عليها والمتمثّلة في دور الصيغة البيانيّة على تشكل الآية أو الخطاب القرآني، أي مدى تأثير الصيغة البيانية في بنية الآية وهل لطبيعة الموضوع قوّة تحدّد بلورة الصيغة البيانيّة للنّص أو الخطاب القرآني ككلّ، بل اتّبعنا في انجاز بحثنا هذا منهجاً علميّاً من أجل الوصول إلى نتائج أفضل، فالبحث الأكاديمي هو موضوع في منهج وذلك من أجل إفراز نتيجة وبالمقابل ليس البحث الأكاديمي هو مجرد تراكم معرفي صرف دون غاية أو منهج أو هدف فالمنهج هو جملة أفكار علميّة وصلت إليها قناعة الباحث فصارت زوايا ينظر منها في معالجة القضايا العلميّة ليس إلاّ، وعليه فليس المنهج سوى قراءة متجدّدة لظاهرة اللّغة فالمنهج التّاريخي كان ينظر إلى اللّغة من زاوية التغيّرات الّتي تصيب اللّغة عبر التّاريخ والمنهج الوصفي كان يصف بنيّة اللّغة في خطّها الأفقي وفي حالها الثّابت القارّ، والمنهج الوظيفي كان ينظر إلى اللّغة من وجهتها الوظيفيّة كونها الوسيلة الأساسيّة والّتي هي الإبلاغ، والمنهج التوليدي ينظر إلى اللّغة من زاوية كونها عمليّة توليد وتفريع من المحدود إلى اللاّمحدود، وهكذا...

وكما كانت المناهج تنهض على أنقاض بعضها بعض لظروف مفروضة على رأسها: تقدّم المعرفة الإنسانيّة فلا يعني هذا ترك السّابق وأخذ اللاّحق، إنّما في حسباننا أنّ المناهج هي رؤى جزئيّة تعالج الظّاهرة اللّغوية وعليه فصلاحها في اكتمالها، وهي الرؤيا الّتي أصبحت تنادي بها النظريّة التداوليّة في العصر الحالي، ولمّا كانت الموضوعات هي الّتي تفرز المنهج العلمي إذ ليس من المنطقي ولا من العلم إقحام وفرض منهج ما جبراً على الموضوع، وبناءً على هذا فإنّي رأيت في معالجة موضوع الإعجاز البياني في الآيات المتشابهات مناسبة المنهج الوصفي في وصف الظّاهرة لأنّه هو الّذي يعتمد الوصفيّة الموضوعيّة الّتي تصل إلى تحديد ماهيّة الشّيء، هذه الوصفيّة ليست هي وصفيّة دي سوسير إنّما هي وصفيّة سيبويه في الكتاب ووصفيّة ابن جنّي في الخصائص والخليل في العين وبحكم أنّ الوظيفة الأساسيّة هي الإبلاغ، رأيت أن لا مناصّ من إلحاق المنهج الوصفي الوظيفي للظّاهرة لإبراز الوظيفة الأساسيّة للغة هي الإبلاغ والإبانة: الوصفيّة ← سكون / الوظيفية

← حركة، فيكون من الطبيعي جمع ثنائيّة السكون والحركة في المنهج الوصفي الوظيفي والّذي من خلاله حاولنا الاعتماد على مبدأين أما الأول هو: ربط النّحو بالبلاغة، والثّاني هو: مبدأ رفض ظاهرة التّرادف، وهذا ما سبقني إليه أستاذيّ د/ محمّد العيد رتيمــة ود/عمّار ساسي، وخاصّة ما طبّقاه على الدّراسات القرآنيّة في بحوثهم، كلّ ذلك في مقدّمة وأربعة فصول وخاتمة، أمّا الفصول فقد كانت على التّرتيب التّالي:

الأوّل: في المعجزة القرآنيّة والإعجاز فحاولنا من خلاله إظهار المعجزة القرآنيّة بما فيها من تحدّ ومعارضة، وبعد ذلك بينا ماهيّة الإعجاز وذكرنا كتب الإعجاز ليتضح لنا السرّ الّذي يحويه.

أمّا الفصل الثّاني فعنوناه بماهيّة البيان فحاولنا من خلاله تبيّن المفهوم الواسع للبيان وقد وضعنا هذا الفصل فيما سيكون له من أهميّة توضيحيّة للفصل التّطبيقي

أمّا الفصل الثّالث فكان بمثابة الدّخول إلى الجزء المهمّ في البحث وهو المتشابه في القرآن الكريم، وما يقابله من محكم ثمّ وصلنا إلى الفصل الرّابع وهو أهمّ جزء في البحث لأنّه يوضّح ما كنّا بصدد الوصول إليه.

أمّا ما اعتمدنا عليه في بحثنا هذا فهو مجموعة متنوّعة من المصادر والمراجع تنوّعت من مواضيع الإعجاز كإعجاز القرآن للباقلاّني والرّافعي، ومناهل العرفان للزّرقاني، والمعجزة الكبرى لمحمّد أبو زهرة... وغيرهم من القدماء والمحدثين ممن ألف في علوم القرآن كذلك، كما اعتمدنا على كتب البيان والبلاغة، أمّا الفصل التّطبيقي فقد اعتمدنا على التّحليل وفق مبدأين أساسيين للمنهج الوصفي الوظيفي وهما كما سبق وأن ذكرنا: ربط النّحو بالبلاغة ورفض مبدأ التّرادف لذلك لم تكن لدينا دّراسات كثيرة نعتمد عليها في صلب الموضوع.

أمّا ما واجهناه خلال مدّة إنجاز هذا البحث فهو صعوبة التحكّم في الكمّ الهائل من كتب الإعجاز من جهة وعدم توفّر الدّراسات التّطبيقية بالمقابل، وفي الأخير نرجو أن تكون هذه الفصول قد أوفت بما يسعى إليه البحث، فإن أصبت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وسبحان الّذي لا معقّب لكلماته وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الفصل 1

الإعجاز القرآني والمعجزة القرآنية

إنّ القرآن الكريم حجّة الله على خلقه وهو حجّة النّبي في رسالته فهو المعجزة الخالدة الّتي تحدّى الله عزّ وجلّ بها الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثلها، وما هم بقادرين على ذلك ولو اجتمعوا ولا شكّ.

لقد جاءت المعجزة القرآنية تصدع بفصاحتها وبلاغتها وبيانها في زمن اشتهرت العرب فيه بالفصاحة وكانوا يقيمون المباراة بين الشعراء والخطباء ويكتبون أحسن أقوالهم بماء الذهب، فجاء القرآن معجزاً لهم في الأمر الّذي اشتهروا به، ليكون الإعجاز واضحاً بيّناً...

ومن خلال هذا التحدّي الّذي جاء به القرآن للإنس والجنّ أجمعين نجد أنّ موضوع الإعجاز القرآني قديم في إشارة القرآن إليه منذ عهد النبوّة، غير أنّ الاهتمام بدراسة الموضوع دراسة دقيقة بدأ يكبر شيئاً فشيئاً، وخاصّة ما ظهر على يد الجاحظ من إشارة إلى هذا الموضوع، وما جاء بعد ذلك بمرور الزّمن حتّى عصرنا هذا من تأليف في هذا الباب الواسع بتعدّد زواياه وثراء مواضيعه فبحث الإعجاز القرآني شيّق جذاب لن يقضي العالم منه نهمه وإن أنفق عمره في بحره سابحاً، ذلك لأنّه يتعلّق بمعرفة سرّ الجلال والرّوعة في كلام الله سبحانه وعجز الثّقلين عن معارضته. هذا الإعجاز البياني الّذي يحوي بدوره جموعا من الإعجاز: من بيانيّ ونفسيّ وعلميّ، كلّها في قالبٍ فصيح ورغم هذا الاتّساع إلاّ أنّ هذا العلم لا يزال يحتاج إلى اهتمام وتبويب ونهضة فرغم تعدّد الكتّاب عبر العصور والقرون إلاّ أنّ علم الإعجاز لا يزال يعاني نوعا من الغموض فما إن توصّل الباحثون إلى جانب منه تبيّنت لهم جوانب أخرى لم يكشفوا عنها ويبقى للزّمن دور في ذلك، فما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه بصورة كلاميّة من نظام هذا الكون الّذي اكتنفه العلماء من كلّ جهة كما يقول الأستاذ مصطفى صادق الرّافعي: فالحديث عن الإعجاز ضرب من الإعجاز لا يصل الباحث فيه إلى حقيقةٍ قاطعة.

لقد حاولنا في هذا الفصل أن نلمّ بمفهوم المعجزة القرآنيّة والإعجاز، فأوردنا ذلك في عنوانين عريضين أوّلهما مفهوم المعجزة القرآنيّة و الّذي جاء محتويّا على المفهوم اللّغوي والاصطلاحي للمعجزة ثمّ تطرّقنا إلى المحاولات الّتي أراد أصحابها معارضة القرآن الكريم فما كانت كتاباتهم إلاّ حجة عليهم، أمّا ثانيهما فهو: توضيح لمفهوم الإعجاز القرآني ثمّ ألقينا نظرةً سريعةً حول حركة التّدوين في موضوع الإعجاز لنصل إلى الكلام عن وجوهه ومنتهين إلى السرّ الكامن في الإعجاز البياني القرآني.

1.1. المعجزة القــرآنيّة:

لقد كان القرآن معجزة النبيّ العربيّ الأمّي محمّد بن عبد الله صلوات ربّي عليه وسلامه، في زمن استحكمت فيه البلاغة والبيان، فقد عُرف العرب في الجاهليّة بأنّهم أفصح الفصحاء، ومصاقع الخطباء فكانوا يتبارون بالشّعر ويحتكمون في ذلك إلى حكم يرتضونه، فمن حذق فيه آنئذ كان مفخرة القوم وشغل الألسنة والأفكار وليس عندهم في علوّ الشّأن والرّفعة كمن هو أكثر فصاحةً وبياناً، حتّى بلغ بهم الأمر لأن يعلّقوا أجود القصائد على جدار الكعبة؛ وفي هذا الزمن استحكمت فيه قوّة الفصاحة، وانبثقت في قلب قريش معجزة من جنس ما نبغوا فيه واشتهروا به، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مَثَلُ هذه المعجزة كمَثَلُ ما كان مع النبيّ موسى عليه السّلام، "فلمّا كان السّحر سائداً في زمانه كانت معجزته في إبطاله وتوهينه، وكذا لمّا كان الغالب على زمان عيسى عليه السّلام الطبّ جعل اللّه تعالى معجزته في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى"[1] ص557. فإذا كانت هذه المعجزات الحسيّة والظّاهرة لذوي البصر قد أعجزت آنئذٍ من احترفوا السّحر والطبّ، وكانت دليلاً وبرهاناً على عظمة الخالق وقدرته ووجوده، فإنّ معجزة القرآن كانت معجزة عقليّة لذوي البصائر في كلّ زمان ومكان، ولمَّا بلغت فصاحة وبيان هذا الكتاب المعجز درجةً أبهرت العقول اضطرّت قريش لأن تفرض على رجالاتها ألاّ يسمعوه بل ليلغوا فيه وليقولوا عنه قولاً منكراً خشيّة التّأثر به وإتباع هذا الدّين الجديد الذّي جاء به محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فهذا عمر بن الخطاب الذّي ذهب إلى بيت أخته ليردّها عن دينها فما أن سمع سورة «طه» حتى لان قلبه ورق لهذا القرآن، أمّا الوليد بن المغيرة الّذي استمع من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيئاً من القرآن جعل قلبه يرقّ إليه فقال: « فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشّعر منيّ ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله إنّ لقوله الذّي يقول حلاوةً، وإنّ عليه لطلاوةً، وإنّه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّه ليعلو ولا يُعلى عليه...»[2] ص11.

فلمّا غلب السّحر الّذي أبهر السّحرة زمن موسى عليه السّلام، ولمّا قوبل الطبّ في زمن عيسى عليه السّلام بما هو أعجز منه من إحياء للموتى وإبراء الأكمه والأبرص جاءت معجزة البيان تصدع كلّ تكبّر وتجبّر وعلوّ في الأرض.

فالمعجزة هي الدّليل القاطع والبرهان الدّي يؤيّد الله عز وجلّ به من اصطفاهم لأداء رسالاته، أمّا مفهومها في عرف اللّغة، فقد أورد صاحب المفردات في ألفاظ القرآن " أنّ العجز أصله التّأخر عن الشّيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخّره، وصار في التّعاوف اسماً للقصور عن فعل الشّيء وهو ضدّ القدرة، قال تعالى:«أعجـزت أن أكون» وأعجْزت فلاناً وعجّزته وعاجزته جعلته عاجزاً قال تعالى:« واعلموا أنّكم غير معجزي الله»، « وما أنتم بمعجزين في الأرض»، « والّذين سعوا في آياتنــا معاجزين »، وسمّيت العجوز عجوزاً لعجزها في كثيرٍ من الأمور[3] ص322.

أمّا ما ورد في أساس البلاغة فإنّ الزّمخشري، بيّن معنى العجز من خلال شرحه لهذا البيت الّذي يقول فيه الأخطل:

وأطفأت عنّي نار نعمان بعدها * * * أعدّ لأمرٍ عاجزٍ و تجرّدا.

أي لأمرٍ شديدٍ يعجز صاحبه "[4] ص290.

أمّا في لسان العرب فقد جاء أنّ العجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز، ورجل عجز، وامرأة عاجزةٌ، عاجزةٌ عن الشيء، والعجز الضّعف، تقول: عجـزت عن كـذا، أعجـز، وفي حديث عمر " لا تلثّوا بدار معجزةٍ، أي لا تقيموا ببلدةٍ تعجزون فيها على الاكتساب، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها تعني عدم القدرة، والتّعجيز التّثبيط، والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء عليهم السّلام"[5] ص262.

إنّ ما نلاحظه على هذه التعاريف اللّغوية من خلال المعاجم الثّلاثة أنّ لها مصباً واحداً وهو نسبة العجز والتّأخر وعدم القدرة عن بلوغ الشّيء المقصود، والهدف المنشود.

أمّا في الاصطلاح: فتسمّى المعجزة معجزةً لأنّ البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، فقد ورد في كتاب الإتّقان في علوم القرآن للإمام السيوطي في تعريفه للمعجزة: "اعلم أنّ المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة مقرون بالتّحدي سالمٌ من المعارضة، وهي إمّا حسيّة، وإمّا عقليّة، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسيّة لبلادتهم وقلّة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمّة عقليّة لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم لأنّ الشريعة لمّا كانت باقيّة على صفحات الدّهر إلى يوم القيامة ليراها ذوو البصائر"[6] ص47.

فإذا كانت معجزات الأنبياء جميعها محدودة بقومٍ معينين، ومؤقّتة بزمن معيّن، فإنّ معجزة محمّد صلّى الله عليه وسلّم عامّة وخالدة، وبنظرةٍ أخرى أنّ المعجزة معجزتان الأولى حسيّة فهي ما كان خرق العادة فيها ممّا يدرك بالحس والعيان، كأنْ يكون ذلك عن طريق السمع أو البصر ونحوهما كمعجزة الأنبياء الّذين سبقوا خاتمهم محمّداً صلّى الله عليه وسلّم كان جلّها حسيّا ومن أمثلة ذلك انفلاق البحر بعد أن يضرب بالعصا، وإلقاء العصا أرضاً لتصبح حيّةً كبيرةً تسعى، وغير ذلك من أنواع المعجزات الحسيّة الكثيرة أمّا العقليّة فهي ما كان بمثابة خطاب لعقل الإنسان، وذلك يعني أنّ هذا النّوع من المعجزات إنّما يدرك عن طريق العقل والّتي لا تزول بذهاب الزّمان ولا تتغيّر بتغيّر المكان بخلاف المعجزات الحسيّة وهذا التّفصيل جاء به الإمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، ولذلك باستطاعتنا القول أنّ رسالة نبيّنا بنيّت على معجزة القرآن الكريم – المعجزة العقليّة – وإن كان قد أُيِّدَ بعد ذلك بمعجزات حسيّةٍ كثيرة " جرت خوارق للعادات على يد النّبي صلّى الله عليه وسلّم غير القرآن كما ورد في صحاح السنّة فإنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم التّي تؤيد رسالته وتشرق في قلوب الّذين اتّبعوه من المؤمنين"[7] ص232. فقد كان أكثر الأنبياء تابعاً بفضل معجزته الباقيّة الّتي تشهدها الأجيال الواحد تلو الآخر ومعجزات غيره من الأنبياء تدرك بالبصر، ومن الطبيعي أنّ ما يدرك بالبصيرة باقٍ يدركه كلّ من جاء باستمرار.

فهذه هي حكمة الله الأزليّة أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات والدّلائل الواضحات والحجج والبراهين الدامغة الّتي تدلّ على صدقهم، يقول أمير الشعراء.

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له ** وأنت أحييت أجيالاً من العدمِ [8] ص87.

فهذه المعجزة حجّة باقيّة تقوم على فم الدّنيا شاهدة بصدق الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ناطقة بعظمة الإسلام، يقول أحد الشعراء لله درّه.

جاء النّبيون بالآيات فانصرمت ** وجئتنا بكتاب غير منصرم.

آياته كلّها طال المدى جُــدَدٌ ** يزينهنّ جمالُ العتقِ والقدمِ[8] ص87.

فلمّا كانت هذه الشريعة باقيّة على صفحات الدّهر إلى يوم القيامة خصّت بالمعجزة العقليّة الباقية ليراها ذوو البصائر، كما قال صلى الله عليه وسلّم:" ما من الأنبياء نبيٌّ إلاّ أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنّما كان الّذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً" [9] ص38.

وقيل في معنى الحديث:" إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض عصورهم، فلم يشاهدها إلاّ من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرّة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمرّ عصر من العصور إلاّ ويظهر فيه شيء ممّا أنبأ به أنّه سيكون ممّا يدلّ على صحة دعواه" [10] ص38.

لقد اتّفقت كتب علوم القرآن الّتي بحث أصحابها في تعريف المعجزة على أنّها " الخروج عن المألوف في سنن الحياة والكون، مع الاقتران بالتّحدي للبشر وعدم المعارضة من أحد "[11] ص112.

فمن خلال هذا التعريف نلاحظ أنّه ينقسم إلى ثلاثة أجزاء أساسيّة هي كما يلي.

- الخروج عن المألوف من سنن الحياة والكون.

- الاقتران بالتّحدي للبشر.

- عدم المعارضة من أحد.

وممّا سبق ذكره حول المعجزة نجد أنّنا تعرضنا لشرح الجزء الأوّل والّذي يعني أنّ المعجزة هي الخروج عن المألوف من نظام الحياة والكون والسنن السائرة، والّذي يقع على جزء من أجزاء هذا الوجود الواسع المتحرّك المنظم.

أما الجزء الثّاني من التعريف فهو التّحدي للبشر ونأتي بشرحه فيما يلي.

التّحدي: هو عنصر أساسي من عناصر المعجزة القرآنيّة جاء برهانا لدحض تكبّر قريش بفصاحتها والعرب أجمعين، فبلاغته وأسلوبه وتعبيره فاق كل بيان وأخرس كل لسان وأسكت كلّ معارض ومكابر، وهدم كلّ مجادل ومهاتر حتّى قام ولا يزال يقوم في فم الدنيا معجزة من الله سبحانه وتعالى لحبيبه، وآية من الحقّ لتأييد رسوله [7] ص296. كما يقول الإمام عبد العظيم الزّرقاني – رحمه الله- فكانت بذلك "دلالة القرآن هي معجزة عامّة عمّت الثّقلين وباقيّة بقاء العصرين ولزوم الحجّة بها في أوّل ورودها إلى يوم القيامة على حدٍّ واحد"[12] ص7. ويرى هذا الرّأي أيضاً الشّيخ محمّد أبو زهرة في قوله:" لا تكون معجزته واقعة تنقضي وتنتهي"[13] ص15.

إنّنا نجد كلّ من بحث في هذا الباب قد تحدّث بثقةٍ و يقين أنّ المعجزة أمر يصدع به القرآن الكريم، فلا مجال للمعارضة ولا للمحاولات السخيفة فالتّحدي جاءت به الكثير من الآيات تصريحاً وتلميحاً فمن أبرز آيات التّحدي مايلي:

- « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » سورة البقرة، الآية: 23.
- « أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » سورة يونس، الآية: 38.
- « أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » سورة هود، الآية: 13.
- « قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» سورة الإسراء، الآية: 88.
- « قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين » سورة القصص، الآية: 39.
- « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » سورة الطّور، الآيتين: 33- 34.

إنّ التّحدي من خلال هذه الآيات لم يكن في مرتبة واحدة بل جاء على شكل تدريجي قسمه الدكتور منّاع القطّان على ثلاث مراحل:

- تحدّاهم بالقرآن كلّه في أسلوب عامّ يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحدّياً يظهر على طاقتهم مجتمعين بقوله تعالى:« قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا»

- ثم تحدّاهم بعشر سور منه في قوله تعالى:« أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين »[14].

- ثمّ تحدّاهم بسورة واحدة منه في قوله: «أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله"[15]

وكرّر هذا التّحدي في قوله:« وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله»[16]...هذا على حد قول مناع القطان"[17] ص236.

إنّ الطريقة التّدريجية الّتي سلكها التّحدي كانت مقصورة على طلب المعارضة بمثل القرآن كلّه، ثمّ إلى عشر سور من مثله مفتريات أي لا يهمّ إن كانت حقيقة أم افتراء فلا يلزمون فيها الحكمة ولا الجديّة إلاّ في النّظم والأسلوب، ولن تضيق بهم أساطيرهم وعلومهم أن تسعها عشر سور فحسب، ثمّ قرن التّحدي بالتّأنيب والتّقريع وبعدها استفزّهم بجملةٍ واحدةٍ فقال في محكم تنزيله: «وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين* فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتّقوا النّار الّتي وقودها النّـاس والحجارة أعدّت للكافرين»[16]. فقطع لهم أنّهم لن يفعلوا، وهي كلمة يستحيل أن تكون إلاّ من الله عزّ وجل، فقد سمعوها واستقرّت فيهم ودارت على الألسنة، فإذا نظر المتأمّل في هذه الآية فإنّه يجد عجباً، فقد بالغ في اهتياجهم واستفزازهم ليثبت أنّ القدرة على المعارضة ليست إلاّ كقدرة الميت على أعمال الحياة، فلن تكون ولن تقع، لقد قال فيهم: « لن تفعلوا» أي هذا منكم فوق القوّة وفوق الحيلة، وفوق الاستعانة وفوق الزّمن، ثمّ جعلهم وقوداً، ثمّ قرنهم إلى الحجارة ثمّ سمّاهم كافرين، فلو أنّ فيهم قوّة بعد ذلك لانفجرت. إنّ هذه الآية قد طارت بعجزهم وسجّلته عليهم، فقطعت بذلك يقينا سبلُ المعارضة وانصرفوا إلى توهين الحجّة الخالدة، وتهوينها على أنفسهم بكلام من الكلام، فقالوا: ساحر، وشاعر ومجنون ورجل يكتتب أساطير الأوّلين، وإنّما يعلّمه بشر، وهذا البشر المعني هو رجل أعجمي زعموا أنّه يعلّم النّبي صلّى الله عليه وسلّم ما يجيء به من أخبار الأمم ونحوها فردّ الله عليهم بقوله الكريم: « لسان الّذي يلحدون إليه أعجميٌّ وهذا لسانٌ عربيٌ مبين»[18]. فتلك مغالطة منهم وهذا يثبت أنّ إعجازهم كان بالفصاحة والأسلوب مع قدرتهم، لا بالصرفة ولا بغيرها.[19] ص142. فالتّحدي إذن جاء على عدّة مستويات أوّلها.

- الفصاحة والبلاغة: وذلك ممّا يظهر من حسن اللّفظ ودقّة المعنى وسحر النّظم وروعة البيان، وهذا هو أكبر وجوه التّحدي لقريش وغيرها آنئذ ممّن ذاع صيتهم في الفصاحة واللّسن.

- أمّا التّحدي الثّاني فقد كان من خلال التّشريعات الّتي جاء بها القرآن الكريم وما تحويه من توضيحات، وهذا ما ينطبق على الآيات المحكمات.

- أمّا ثالث تحدٍّ فقد كان بالإخبار بالغيب وبذكر الشّرائع وقصص الأمم السّابقة، وهذا يمكن أن نصنّفه ضمن الآيات المتشابهات ومن خلال هذا التّحدي نجد أن للمعجزة القرآنيّة فضل في إثبات الأديان السابقة والكتب الإلهيّة كلّها فقد شهد بذلك القرآن الكريم الّذي ظلّ يثبت نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم مدّة ثلاثٍ وعشرين عاماً.

والتّحدي عامّ وخاصّ، فالعامّ جاء موجّها لكافّة النّاس لما يجد فيه الأجيال الواحد تلو الآخر جديدا في شتّى الميادين أمّا الخاصّ فهو موجه للعرب خاصة وعلى الأخص فدخل عليهم من أيسر الطرق في نظرهم ومن أشهر فنّ في زمانهم، "فعجز العرب عن معارضة القرآن بسورة من مثله، وقامت عليهم الحجّة، فهي قائمة على غيرهم عبر عصور التاريخ ولو تضافرت جهودهم وأفكارهم جميعاً»[20] ص 239.

ورغم هذا كلّه إلاّ أنّ التاريخ لا يخلو من أسماء قوم قد زعموا أنّهم عارضوا القرآن فمنهم من ادّعى النبوّة وجعل ما يلقيه من ذلك قرآنا.

المعارضة: إنّنا إذا ما أجرينا لكلّ من الفريقين المعارضين المدّعين النبوّة وغير المدعين لها فإنّنا نجدهم قلّة قليلة جدّاً " ممّن طاشت عقولهم، واستبدّ بهم الغرور فتصدّوا لمواجهة هذا التّحدي وما دروا أنّهم في ذلك كمن أراد أن يقطع المحيط سبحاً، أو يسابق النّفاثة مشيًّا"[20] ص239. نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- مسيلمة بن حبيب الكذّاب الّذي تنبّأ باليمامة في بني حنيفة على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زعم أنّ له قرآنا نزل عليه من السّماء ويأتيه به ملك يسمّى رحمان.

- عبهلة بن كعب الّذي يقال له الأسود العنسي، الملقّب بذي الخمار، لأنّه كان يقول:" يأتيني ذو خمار".

- طليحة بن خويلد الأسدي، و كان من أشجع العرب، يعدّ بألف فارس.

- سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية، كانت راسخة في النصرانيّة، تنبّأت هي الأخرى، لكنّها أسلمت بعد ذلك وحسن إسلامها.

- النّضر بن الحارث، وهذا ومن يجيء بعده لم يدعوا النبوّة ولا الوحي، ولكنّهم زعموا أنّهم يعارضـوا القرآن، فلفق النّضر هذا شيئاً من أخبار الفرس، وملوك العجم[19] ص145- 148.

ولقد تأكّد بلغاء العرب أنّهم مهما حاولوا المعارضة فإنّهم لن يصلوا إلى مستوى النّص القرآني فاستيأسوا من حقّ المعارضة، "إذ وجدوا من القرآن ما يغمر القوّة ويحيل الطبع ويخاذل النّفس مصادمة لا حيلة ولا خدعة وإنّما سبيل المعارضة الممكنة الّتي يطمع فيها أن يكون لصاحبها جهة من جهات الكلام لم تؤخذ عليه"[19] ص157. فالقوم قد تصفّحوا آيات الكتاب وقلّبوها على وجوه ما

نبغوا فيه من شعر ونثر فلم يجدوا مسلكاً لمحاكاته، أو منفذاً لمعارضته، بل جرى على ألسنتهم الحقّ الّذي أخرسهم عفو الخاطر عندما زلزلت آيات القرآن الكريم قلوبهم كما أثّر ذلك على لبيد بن ربيعة"[17] ص137. المشهور ببلاغة منطقه وفصاحة لسانه ورصانة شعره فقد شهد عليه أنّه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لمّا طلب منه أن ينشده شيئاً من شعره أنّه قرأ سورة البقرة وقال:" ما كنت لأقول شعراً بعد أن علّمني الله سورتي البقرة وآل عمران "[20] ص241.

وهنا نلفت النّظر إلى قول أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللّغة في حديثه عن القرآن الكريم ما يلي:" أنزله جلّ ثناؤه بالحروف الّتي يعرفونها وبالسّنن الّتي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أظهر وأشهر"[21] ص150.

ويجدر بنا أن نوضّح أن المقصود من التّعجيز لم يكن لذاته، بل المقصود لازمه وهو إثبات أنّ محمّدا صلى الله عليه وسلم مرسل من ربّه، وأنّ القرآن قد أنزل عليه من لدنه خالصاً نقيًّا لم تشبه شائبة من كلام البشر ولا من كلام غيرهم "[22] ص102. قال تعالى:« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في النّاس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها، كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون»[23].

لقد ثبت أنّ الله سبحانه وتعالى تحدّى بالقرآن، وقد صرّح بأنّه لو اجتمعت الإنس والجنّ لن يأتوا بمثله، والدليل على ذلك هذه المحاولات، ولكن لم يقدروا فلو قدروا على ذلك لفعلوا لكنّهم عدلوا إلى العناد تارةً وإلى الإستهزاء أخرى، فتارة قالوا: سحر، وتارةً قالوا: شعر، وتارةً قالوا: أساطير الأوّلين، كلّ ذلك من التّحير والانقطاع"[24] ص345.

فالقرآن معجزة النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم حمل تحدّياً للكافرين والمعاندين وتحقّق الإعجاز فيه بتوفّر ثلاثة أمور كما يرى ذلك الشيخ الصابوني هي:

- التّحدي: أي طلب المباراة والمعارضة.

- أن يكون الدافع إلى ردّ التّحدي قائماً إلى قيام المقتضى للمباراة والمعارضة.

- أن يكون المانع منتفيا.[25] ص90.

ويشير إلى بعض منها الإمام الزركشي بقوله:" وإذا ثبت التّحدي فاعلم أنّه لا يصحّ التّحدي بشيء مع جهل المخاطب بالجهة الّتي وقع بها التّحدي، ولا يتّجه قول القائل لمثله: إن صنعت خاتما

كنت قادراً على أن تصنع مثله إلاّ بعد أن يمكّنه من الجهة الّتي تدّعي عجز المخاطب عنها " [21] ص105.

من خلال ما سبق من عرض تعريف المعجزة والتّحدي الذّي ورد فيها فإنّنا نصل بالقول أن التّعاريف السابقة للمعجزة لم تخرج عن ثلاث خصوصيّات للتّعريف بها وهي:

- المعجزة هي أمر خارق للعادة.

- مقرونة بالتّحدي.

- سالم من المعارضة.

هذه الميزات الثّلاث جعلت من أجل إظهار صدق الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في دعواه، وفي هذا يرى الأستاذ عمّار ساسي ما يلي:" وعليه نؤكّد إلحاق جملة (دالّ على صدق دعواه) للتّعريف حتّى يتمّ ويكتمل، هذا في الدائرة العامّة للمعجزة، أما الدائرة الخاصة ونعني بها المعجزة القرآنية فنرى ضرورة إضافة جملة ثانية لها ليتمّ التعريف ويكتمل، وهي الميزة الّتي خصّ بها القرآن الكريم وهي كونه بلاغاً معجزاً لقوله تعالى:« هذا بلاغٌ للنّاس لينذروا به وليعلموا أنّما هو إله واحد وليذكّر أولوا الألباب»[26]، والآيات في هذا المعنى كثيرة في القرآن الكريم منها:« يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك....»[27]... هذه بعض الآيات الدالة على الإعجاز القراني[28] ص87.

ويضيف قائلاً:" ومنه يصبح أمر التّعريف كالتالي: المعجزة القرآنية (هي أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرون بالتّحدي، سالمٌ عن المعارضة، دالٌ على البلاغ وحامل لصدق الرّسول في دعواه)"[28] ص87.

وبعد أن يخلص من النظر إلى التعريف يشير إلى أمر كان يخصّ المعجزة ألا وهو التّحديد الزّمني لها، فيقول إنّ " كلّ المعجزات الّتي سبقت هي معجزات موقوتة بحياة أصحابها الرّسل تحيا بحياتهم وتنتهي بنهايتهم إلاّ المعجزة القرآنيّة فهي خالدة باقيّة بذهاب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وهي محفوظة أبد الدّهر من لدن حكيم خبير قال تعالى:« إنَّا نحن نزّلنا الذّكر وإنَّا له لحافظون»[29].

وهكذا جاء القرآن الكريم متحدّياً في كلّ العصور دلالته واضحة على وحدانيّة الله وأنّه ليس من عند بشر فاتّساع سلطانه على القلوب أعظم دليل على اتساع مدى الإعجاز القرآني، فالتّحدي كما

يقول الشيخ الطّاهر بن عاشور:" سهّل وسجّل، سهل عليهم أن يأتوا بمثل سورة من سوره، وسجّل عليهم أنّهم لا يفعلون ذلك أبداً، فكان كما سجّل، فالتّحدي متواتر بشهادة التاريخ إذ طالت مدتهم في الكفر ولم يقيموا الدليل"[30] ص102.

ونستخلص مما سبق أنّ المعجزة لا تتحقّق إلاّ بشروط عدّة:

- أن تكون ممّا لا يقدر عليه إلاّ ربّ العالمين.

- أن تخرق العادة وتكون مخالفة للسنن الكونية.

- أن يستشهد بها مدّعي الرّسالة على صدق دعواه.

- أن تقع على وفق دعوى النّبي المتحدّى بتلك المعجزة.

- ألاّ يأتي أحد بمثل تلك المعجزة على وجه المعارضة"[8] ص90.

ويقول الأستاذ عمّار ساسي: "ويضيف آخرون سادسة وهي أن تكون ممّا نبغ فيه القوم فهذه الشروط المذكورة إن تحقّقت كان ذلك الأمر خارقاً للعادة معجزة دالّة على نبوّة صاحب الدعوى التي ظهرت المعجزة على يده وإن لم يتحقّق خرجت عن كونها معجزة ولم تدل على صدق صاحب الدعوى "[31] ص59.

بهذا يكون القرآن هو المعجزة الباقية على مرّ السنين، وما يميز هذه المعجزة عن غيرها أنّها لم تكن مستقلّة عن المنهج كما يرى ذلك الشيخ محمد متولّي الشعراوي فالمعجزات السابقة كانت مستقلّة عن الكتاب فمعجزة موسى العصا ومنهجه التوراة لكن القرآن هو المعجزة وهو المنهج [32] ص18. وهذا ما يضيف إليه ميزة إعجازية أخرى، فقد يدرك إعجازه العقلاء من غير الأمّة العربية بواسطة ترجمة معانيه التّشريعية والحكميّة والعلميّة والأخلاقية مع مضي القرون وتطور الإنسانية، فما إن اهتمّ العلماء والباحثون بدراسة بيانه والغوص فيه إلاّ وقد ظهر إعجازه العلمي يصدع العقول والألباب في إنشاء قالبه البياني الدقيق يحاجّ كلّ مكذب ويتحدّى كلّ منكر، ويدعو أمم العالم إلى ما فيه من هداية الإسلام وسعادة بني الإنسان، فانطلق العقل البشري في باحات النظر والتّأمل والتفكير فالمعجزة القرآنية " فوق مستوى العقول والأفهام"[12] ص18. كما يقول الإمام الباقلاني فهو ليس واقعة تنقضي وتنتهي بل هو باق إلى يوم القيامة فهو " حجّة الله على خلقه، وحجّة النّبي صلّى الله عليه وسلّم في رسالته وسجّل الشريعة المحكم في بيانه من سلكه وصل، ومن لجأ إليه اهتدى "[13]

ص15. هو كلام ربّ العالمين بما كـان وما سيكون أنزله معجزة دائمة لرسله لا يملّ مع التكرار، ولا يسأم من الترداد ولا يخلق على وجه الزمـن، ولا يشيب مع الدّهر، يبقى دائما يحافظ على نضارته ولا يغيب شيء من طراوته ولا يفنى شيء من شبابه عبر العصور"[33] ص8. فإذا نظرنا إلى القرآن الكريم من الزّوايا كلّها وجدناه كافياً شافياً، حسبنا أن ننظر إلى بعض اللّمسات البيانيّة فيه فهو يملك طاقة جماليّة فاعلة، يذكيها إيقاعه المتميّز، كما تكشف عن ذلك تلاوته الّتي تزيده إشعاعا " حتى يستوي تحت فعلها المتلقون على اختلاف مستوياتهم، وقد يصل بها الأمر إلى التّأثير على الّذين لا يعرفون من العربيّة حرفاً فيتعدّى الانفعال مطلق المتعة إلى الاستواء في جوّ حسي خاصّ وملهم من شأنه تمهيد الطريق لاعتناق محتوى النّص وفكرته "[34] ص1. وبهذا نجد أن المعجزة القرآنيّة لم تقتصر على" ماهيّة النّص القرآني من حيث كونه وحياً، بل أكثر ما تجلّت في عناصر بنائيّة أجملها بروزاً دالّ الإيقاع خاصةً في مظهره المسموع ولكنها إيقاعية فذّة حيرت أرباب الأدب في تصنيف جنسها، وطبيعة مصدرها وكانت تربط النّص القرآني مرّة بـهذر مجنون، وأخرى بسجع ساحر، وتارةً بقول شاعر"[34] ص02.

ومن خلال بعض ميزات النّص القرآني نجد أنّ المعجزة القرآنية هي معجزة عقليّة تخاطب البشرية حتى قيام الساعة، لهذا نرى من يتأثّر بها ويؤمن بها كذلك في كلّ جيل، فنستطيع القول هنا أنّ المعجزة القرآنية هي صفة من صفات الله عزّ وجلّ كما يرى ذلك الشيخ الشعراوي، أمّا المعجزات السابقة فهي أفعال الله، والصفة باقية ببقاء المتصف بها، فيكون هذا دليلاً واعترافاً على أنّه وحي الله تعالى وأنّ محمداً صلّى الله عليه وسلّم صادق في رسالته لأنّه هو الّذي بلّغه إلينا عن ربّه، وبهذا نجد أنّ الفعل الإنساني على تقدّمه لم يعجز عن المعارضة كون القرآن آية كونية لا قبل له بها، وإنّما بعجز وقصور ذاتي في العقل الإنساني نفسه[35] ص149. فجاء التحدي في آيات كثيرة شاهدة على علوّ شأن العرب في الفصاحة والبيـان آنذاك ولا خير منهم في الطبع والقوة، فكانوا مظنّة المعارضـة والقدرة عليها حتّى لا يجيء بعد ذلك فيما يجيء من الزمن، مولّد أو أعجمي أو كاذب أو منافق أو ذو غفلة، فيزعم أنّ العرب كانوا قادرين على مثله، وأنّه غير معجز وعسى أنْ لا يعجز عنه إلاّ الضعيف "[19] ص142. فالتّحدي هذا كان بمنزلة قضيّة من قضايا المنطق التاريخي الّذي يشهد في كلّ عصر عجز العرب عنه وهم الخطباء اللـدّ والفصحاء اللّسن ولم يكن لهم في عهدهم خير من اللّغة والبراعة فيها فذكره في القرآن الكريم كان شاهداً عليهم[19] ص142.

ولمّا كان القرآن المعجزة الخالدة الكبرى، كان الحديث عن إعجازه من أهمّ الأبحاث المتعلقة بعلوم القرآن وآدابه، فهو لبّها وجوهرها، والحديث عن الإعجاز ضرب من الإعجاز، لا يصل الباحث فيه إلى سر منه كما يقول الباحثون في هذا الحقل الواسع.

1. 2. الإعجـــاز:

1. 2. 1. مـفهومـه:

لقد سبق وأن أوردنا تعريف المعجزة فيما سبق من هذا المبحث، ونشير الآن باختصار إلى معنى الإعجاز الذّي هو مصدر للفعل "عجز"، يقال:" أعجزني فلان أي فاتني، والعجز خلاف الحزم، وهو القصور عن فعل الشيء وهو الفوت والسبق والضّعف،، ويذكر منَّاع القطَّان في تعريفه للإعجاز << أنّه اسمٌ للقصور عن فعل الشّيء، وهو ضدّ القدرة وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجزة، والمراد به هنا: إظهار صدق النّبي (ص) في دعوى الرّسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي - القرآن – وعجز الأجيال بعدهم >> [17] ص236.

إنّ لفظ الإعجاز لم يستعمل في القرآن الكريم بالمدلول والصيغة التّي هو عليها اليوم، ولم يستخدمه لا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فالّذي ورد في القرآن هي الكلمات التّالية: أعجاز- أعجزت – معجزي- معجزين –معاجزين- عجوزا- عجوز- كلّها مشتقّة من الفعل عجز في الآيات التاليّة:

«كأنّهم أعجاز نخل منقعر»[36].

«كأنّهم أعجاز نخل خاوية»[37].

«أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب»[27].

«واعلموا أنّكم غير معجزي الله»[38].

«وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السَّماء»[39].

«والّذين سعوا في آياتنا معاجزين»[40].

«إلاَّ عجوزاً في الغابرين»[41].

«أألـد وأنا عجوز»[14].

ويرى الأستاذ "عمّار ساسي" أنّ مرجع ذلك إلى أنّ المعاني أسبـق من الألفـاظ، وما الألفاظ إلاّ أوعيّة للمعاني كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني، والقرآن الكريم جديد في معانيه وألفاظه في

أعين العرب جميعاً وعقولهم، وهو متضمّن لعقيدة وشريعة وأخلاق جديدة لم تكن العرب تعهدها من قبل لذلك انصبّت عقولهم لفهم هذه المعاني الجديدة الغريبة عنهم..."[28] ص68.

لمّا كان الإعجاز في هذا المستوى الّذي لم يستطع أن يضاهيه أي نصّ أو خطاب أدبي آخر، ولمّا لم ترتق إليه تلك المحاولات الّتي نسجها وألقاها الكثيرون ممّن أرادوا المعارضة كمسيلمة الكذّاب الدّي بلغت فصاحته مستوىً رفيعاً لكن لمّا أراد المعارضة ظهرت ضعف قوله فقد ظلّ القرآن « ولا يزال في موقف التّحدي شامخ الأنف فأسرار الكون الّتي يكشف عنها العلم الحديث ما هي إلاّ مظاهر للحقائق العليا الّتي ينطوي عليها سرّ هذا الوجود في خالقه ومدبره، وهو ما أجمله القرآن أو أشار إليه فصار القرآن بهذا معجزا للإنسانيّة كافّة »[17] ص238.

فإعجاز القرآن كامنٌ في كلّ آية من آياته، يعرف ذلك ويدركه أولوا الألباب بالبصائر والضمائر، فالخطاب القرآني دائمٌ للبشر في جميع الأجيال، والإعجاز مستمرٌ ودائمٌ إلى يوم الدّين، جاء يتحدّى العقل البشري بالإعجاز العلمي والثّقافي واللّغوي والفكري والتّشريعي والمنهجي، وكلّ أنواع الإعجاز للعقل البشري في أقصى درجات رقيه المفتوح إلى يوم الدّين قال الله تعالى « سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ»[42].

هذا الإعجاز بمختلف أنواعه وفروعه ورد بصورة واحدة من أساليب الخطاب الأدبي في أعلى مراتب البيان وأرقى أساليب الإعجاز.

هنا يتبادر لأذهاننا تساؤل هو: ما الحكمة من مجيء القرآن في خطابه للعرب وللبشريّة بجميع أجيالها وبيئاتها معتمداً الخطاب الأدبي أسلوباً، ولماذا لم يأت الخطاب الربّاني للبريّة بأساليب أخرى من الخطاب كالخطاب العلمي أو الخطاب الفلسفي أو الجدلي أو خطاب الحقائق والأرقام، وبصياغة أخرى، لماذا اختار الله سبحانه وتعالى أن تكون آخر رسالته لخاتم الأنبياء صلّى الله عليه وسلّم في تبليغ البشريّة كافّة على صورة الخطاب الأدبي في أعلى مراتب البيان وأرقى أساليب الإعجاز؟

1. 2. 2. التدوين في إعجاز القرآن:

إنّ التّحديد الواسع والشامل والدّقيق للإعجاز القرآني لا يكون إلاّ بأمرين أساسيين الأوّل هو المرور على جسر تاريخ المصطلح، والثّاني هو التّحدي والتّمحيص والتّدقيق.

فقد أوردت بعض كتب الإعجاز الحديثة دراسات حول من كتبوا في الإعجاز " فتتبّعتهم عبر الحقب الزمنيّة منذ نزول الوحي حتّى الآن تمس كلّ من تحدّث أو ألّف في الإعجاز القرآني قليلاً أو كثيراً منذ عهد النبوّة إلى العصر الحديث، وكان الهدف الأساسي منها هو استبيان واستخلاص وجوه الإعجاز القرآني الذي كان خليقاً أن يثير في الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية يتصدّى بها العلماء للكشف عن وجوه البلاغة القرآنية، وعن الأسلوب القرآني الفذّ في التّصوير والتّعبير، وبذل أولئك العلماء جهوداً مشكورةً وقاموا بمحاولات مضنيّة لإبراز البلاغة القرآنيّة في صور موحيّة ذات ظلال."[43] ص313.

من هؤلاء الباحثين المحدثين الأستاذ نعيم الحمصي الّذي جمع في كتابه " فكرة إعجاز القرآن " أخبار من كتب في الإعجاز منذ أن نزل القرآن الكريم إلى غاية القرن الرّابع عشر الهجري مبيّناً آراءهم في هذا الموضوع ودراساتهم حوله وكذا مؤلّفاتهم في هذا البحر الواسع ويضيق المجال بنا لذكرهم وذكر ما كتبوا في ذلك هنا إلاّ أنّه يجدرُ بنا أن نشير بأنّ الدّراسات الإعجازيّة شهدت تطوّرا وتوسّعاً منذ ظهورها في القرآن الكريم كلمة برهان وسلطان وآية، ولم يتطلّب ذلك الزّمن البحث والدّراسة في الإعجاز ووجوهه بقدر ما كان الاهتمام بالخطاب المعجزة في حدّ ذاته وهكذا تتّبع الأستاذ نعيم الحمصي المسيرة الإعجازيّة عبر تطوّرها وتشعّبها وبمختلف رؤاها واتّجاهاتها في كلّ فترة وهكذا "كان القرآن وما يزال وافيًّا بحاجات البشر في الإقناع والتّحدي كلّما فرح جيل بما عنده من العلم، وما زال العلم يكشف من أسراره كلّ يوم عن جديد يكشف عن أخطاء العلم في أحدث نظريّاته، فإنكار إعجازه على هذا يعتبر تآمرا على دعوة الإسلام، وعملاً لئيماً على انحسار امتدادها بل هو إنكار لما هو واقع ملموس شهد له العدوّ والصديق معاً"[31] ص115.

1. 2. 3. وجوه الإعجاز:

لأهل العلم قديماً وحديثا دراسات وأبحاث حول الإعجاز وأوجهه، يقول الشّيخ الطّاهر بن عاشور:«لم أرَ غرضا تناظلت له سهام الأفهام، ولا غاية تسابقت إليها جياد الهمم فرجعت دونها حسرى واقتنعت بما بلغته من صبابة نزرًا، مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن فإنّه لم يزل شغل أهل البلاغة الشاغل، وموردها للمعلول والناهل»[30] ص101.

وممن خاضوا هذا البحر العظيم الإمام الباقلاني والإمام عبد القاهر الجرجاني والإمام الزّمخشري والسّكاكي، والقاضي عيّاض من المتقدمين، والرّافعي وسواه من المحدثين، إلاّ أنّ هؤلاء سلكوا في ذلك سبلاً شتّى، لكنّهم في نفس الوقت يجمعون على النّاحية البلاغيّة سوى مذهب النّظام

الذي قال بالصّرفة وتعني في اصطلاحهم «أنّ أمر إلهيا خارقاً أجراه الله تعالى على يد نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم دليلاً على صدقـه في دعوى النبـوّة وهو أنّ الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن مع تحدّيهم أن يأتوا بسورة من مثله، ولو لم يصرفهم لجاؤوا بمثله »[44] ص43.

وإن كانوا ذهبوا في تحديد هذه البلاغة التّي اختصّ بها القرآن مذاهب قدادًا حتّى ذهب بعضهم إلى القول بأنّ هذا السرّ البلاغي في القرآن يخفي سببه عند البحث، ويظهر أثره في النّفس كقول السكاكي: «إنّ إعْجَازَ القرآنِ يُدرَكُ ولا يُمْكِنُ وصفُه»[20] ص248، ولكن هذا الإدراك لا يتهيّأ إلاّ لأرباب الفصاحة والبيان، وروى عن أبي حيّان التّوحيدي أنّه قال: «سُئِلَ بندار الفارسي عن موضع الإعجاز من القرآن فقال: هذه مسألة فيها حيفٌ على المعنى، وذلك أنّه شبيه بقولك: ما موضع الإنسان من الإنسان، فليس للإنسان موضع من الإنسان بل متى أشرتَ إلى جملته فقد حققته ودللت عليه وكان ذلك المعنى آية في نفسـه وهدى لقائله، وليس في طاقـة البشر الإحاطـة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده »[45] ص82. وعلى هذا الأساس نظرَ العلماء إلى وجوه إعجاز القرآن الكريم من وجهات نظر مختلفة ومن زوايا متباينة نلتقي جميعها في الانبهار أمام ذلك الفيض الإلهي، فنجد الإمام الزرقاني في" مناهل العرفان" يذكر أربعة عشر وجها للإعجـاز القرآني وذكر القاضي عياض في كتابه "الشّفاء" وجوهاً كثيرةً منها:

- حسن تأليفه، والتئام كلمه وفصاحته.

- صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب المخالف لأساليـب العرب ومناهج نظمهـا ونثرها، فلم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحدٌ مماثلة شيء منه في فواصله، وما انتهت إليه مقاطع آية.

والجدير بالذّكر من هذا كلّه أنّ هناك عالماً من علماء العربيّة ألا وهو عبد القاهر الجرجاني الّذي ذهب إلى أنّ إعجاز القرآن الكريم يقتصر على وجه واحد يكمن في نظمه، ونفى أن يكون الإعجاز في الإخبار عن الغيوب أو في الصرفة أو في الألفاظ أو في المعاني أو في الفواصل والإيقاع أو في الخفّة والغرابـة وفنّدها واحدةً واحدةً بطريقة علميّة موضوعيّة في كتابه:"دلائل الإعجاز" ونجده في أوّل كتابه يعرف النّظم تعريفاً مبسّطاً بأنّه:" تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض "[46] ص41. وبعد ذلك نجده يتوغّل في تفاصيل هذا التعريف، ومدار تفصيله يدور حول عدم فهم النّظم فهماً صحيحاً إلاّ عن طريق النّحو في مواطن كثيرة.

يقول الدّكتور أحمد سيّد محمّد عمّار:" وهكذا اتّسعت آفاق نظرية النّظم التّي رآها عبد القاهر أوّل لأمر طريقاً إلى إثبات الإعجـاز البلاغي للقرآن لتصبح دراسة أسلوبيّة واسعة النّطاق لاتّساق التّراكيب في العربيّة على اختلافها وتنوّعها، وكانت أولى ثمارها تفسير الزّمخشري للقرآن الكريم الّذي يعدّ بحقّ نموذجاً تطبيقياً رائعاً لها رأي نظريّة النّظم في إثبات الإعجاز القرآني..."[44] ص173.

ومن المعاصرين على سبيل المثال نجد الأستاذ وهبة الزّحيلي يذكر لنا شيئا من وجوه الإعجاز بأنّ القرآن يتّصف باتّساق عباراته ومعانيه وشمول أحكامه وأغراضه بحيث لا نجد في عباراته اختلافاً في مستوى البلاغة ولا تفاوتاً في فصاحة التّعبير وإنّما كلّ ما جاء فيه في ميزان واحد من الجزالة والمطابقة لمقتضى الحال، قال تعالى:«أفلا يتدبّرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»[47]، وقد كان البليغ من العرب يجيد موضوعاً واحداً، وإذا أجاده فإنّما يجيد بيتاً أو بيتين أو أبياتاً كذلك ذكر من وجوه إعجازه فصاحـة ألفاظـه وبلاغة التّعبير وقوّة التّأثير، فليس في القرآن لفظ ينبو عن السمع أو يتنافر مع ما قبله أو ما بعده، وعباراته في أعلى مستويات البلاغة، أمّا قوّة تأثير القرآن على القلوب وسلطانه الرّوحي على النّفوس فلا ينكره منصف، ولا يملّ سماعه عاقل فهو كما وصفـه النّبي صلّى الله عليه وسلّم:«حبل الله المتيـن والنّور المبين والشّفاء النّافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتّبعه، لا يعوّج فيقـوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه ولا يخلق على كثرة الردّ ».

هكذا عجزت العقول، والعرب أمة مشهورة فطرت على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام، وأوتوا من ذرابة اللّسان ما لم يؤت لغيرهم وبخاصة كلام بلغائهم، قال" القاضي عيّاض " فيما ذكره الأستاذ محمد أبو زهرة خصّوا من البلاغة والحكم بما لم يخصّ به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللّسان ما لم يؤت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يقيّد الألباب، وجعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة، وفيهم غريزة وقوّة، يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كلّ سبب، فيخطبون بديهاً في المقامات، وشديد الخطب... منهم البدوي ذوا للفظ الجزل والقول الفصل، والكلام الفخم والطبع الجوهري ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ النّاصعـة، والكلمات الجامعة والطبع السهل، والتصرف في القول القليل الكلفة، الكثير الرونق، الرقيق الحاشية "[13] ص63. هكذا يتجلّى لنا أنّ الله كتب لمعجزة الإسلام الخلود فضعفت القدرة الإنسانية ولاسيّما مصبّ جداول الفصاحة وإدارة الكلام بالبيان في لغة قريش التي نزل بها القرآن.

وخلاصة القول أنّ وجوه الإعجاز منها ما يرجع إلى الدائرة البيانيّة ومنها ما يعود إلى غيرها و قد جمعها محمّد علي الصابوني في تسعة أوجه:

- النّظم البديع المخالف لكلّ نظم معهود في لسان العرب.

- الأسلوب العجيب المخالف لجميع أساليب العرب.

- الجزالة التّي لا يمكن لمخالف أن يأتي بمثلها.

- التّشريع الدّقيق الكامل الّذي يبزّ كلّ تشريع وضعي.

- الإخبار عن المغيّبات التّي لا تعرف إلاّ بالوحي.

- عدم التّعارض مع العلوم الكونيّة المقطوعة بصحتها.

- الوفاء بكلّ ما أخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعيد.

- العلوم و المعارف الّتي اشتمل عليها (العلوم الشرعية و العلوم الكونية).

- وفاؤه بحاجات البشر[8] ص102.

إلاّ أنّنا نذهب ما ذهب إليه ابن سراقة الّذي نقل عنه الإمام السيوطي قولـه:" اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلّها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره"[45] ص249.

وللأستاذ محمّد الصّالح الصّديق رأي في وجه إعجاز القرآن يقول فيه:" ووجه إعجاز القرآن في نظري هو روحانيّته أي أنّه روح من ربّ العالمين "[20] ص248.

وللأستاذ صبري المتولّي في كتابه:" منهج ابن تيميّة في تفسير القرآن الكريم " رأي في وجه إعجاز القرآن الكريم يقول فيه:" المعجزات السّابقة أفعال لله، وفعل الله من الممكن أن ينتهي بعد أثر يفعله الله، ومعجزة القرآن صفة الله، فهي كلامه والصفة باقيّة ببقاء المتّصف بها وجه ربّك ذو الجلال والإكرام" [48] ص167.

1. 2. 4. سرّ الإعجاز:

يقول الأستاذ محمّد أبو زهرة "عجز العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ثابت ثبوتا لا مجال للرّيب فيه سواءٌ كان عدواً أو ولياً له"[13] ص73، فالسرّ الّذي ينبني عليه الإعجاز بشكل عامّ هو قالبه البياني المميّز فالأساس في العجز هو ما فيه من بلاغة في أسلوبه ورنّه قولٍ في جرسه، فالعجز ليس سلبياً دائماً فمن إيجابياته أن جمع الإيمان بالعمل تصديقاً وطاعة، كما أنّ" سرّ الإعجاز في لغة القرآن يكمن وراء مناسبة التّركيب في أحرف الكلمة الواحدة ثمّ ملاءمتها للكلمة الّتي بإزائها، ثمّ اتّساق الكلام كلّه على هذا الوجه حتّى يكون كالنّغم الّذي يصبّ في الأذان صباً، فيجري جميع ما فيه مجرى القوّة من غير تفاوت لأنّ جمله مفرغة على تناسب واحدٍ كما يرى ذلك الأستاذ محمّد الصّالح الصّديق،ما يعنيه بقوله مفرغة على تناسب واحد"[20] ص241. هو قالب آياتها المميّز، والسرّ برأينا لا يكمن في البيان العالي الّذي لا يُعْلى عليه فحسب بل فيما يحويه من العلوم، ممّا لم يعرفه السابقون، ففيه الشرائع المحكمة التّي تنظّم العلاقات من أحكام العبادات والمعاملات وفيه بيان خلق الإنسان وتوجيه نظره إلى الكون، وفيه القصص والعبر وهذا ممّا لم يكن قبل مجيئ القرآن، والآن وفي هذا العصر بالذّات أصبح بإمكاننا أن نتعرّف على حكم أخرى مكنونة وراء هذا الاختيار الرّباني لذلك الخطاب الأدبي، وخاصّةً بعد أن ارتقت الأمم بفنونها الأدبيّة، وتعمّقت في تحليل هذا الخطاب، وأدركت عظمته وخطره على أذواق الأمّـة، والرّقي بها نحو أهدافها المنشودة وهذا ما يؤكّده التّمعن في سمات هذا الخطاب وتميّزه على غيره نحاول أن نذكر بعض ما توصّلنا إليه من سمات هذا الخطاب فيما يلي:

- قدرة الخطاب الأدبي على التّأثير في أذواق المخاطبين والرّقي بها نحو الأهداف المرغوبة

- هو أقرب أنواع الخطــاب للتربيّة وتعديل السلوك وتعليم النّاس حيث أنّه يرقى بالتّفكير والقلب والسلوك من خلال أساليبه المختلفة، كالأساليب النّوعيـة(القصّة، الحوار، الشّعر، الخطابة، والمثل...) أو الأساليـب البديعيّة (كالمحسنات، المطابقة، المقابلة، التوريّة، المبالغة...) أو الأساليـب التّي تخصّ علم المعنى (كـالدّعاء، الاستفهام، النّداء، التّمنـي، المقاربة، الأمـر، النّهي...) وهي أساليب تنبّه الحسّ الجمـالي والمتعة في النّفوس، وتحمل الفائدة المرجوّة في ثنايا الخطاب الممتع، فتوصلها بطريقة محببّة بعيداً عن أساليب الجدل الجافّ الذي لا تصبر له النّفوس ولا ترغب فيه.

- الخطــاب الأدبي لا يؤثّر عليه تقلّب الزّمان ولا تغيّر المكان، ولذلك هو أدوم تأثيراً وخلوداً من أساليب(العلم، الجدل، الخبر) المتقلّبة لتطوّرها وتغيّرها المستمـرّ وجفافها فربّما تقرأ الخبر لمرّة

واحدةٍ، ولا ترغب في العودة إليه، بينما يبقى الخطاب الأدبي متميّزاً بالجمال والمتعة والحيويّة والفائدة وكذلك بالبقاء والثّبات والخلود، ولا يؤثّر على قيمته أو دلالته أو جاذبيّته تقادم الزّمان والمكان وتقلّب الأجيال، لأنّه لا يؤدي إلى الملل الّذي تقع فيه الأساليب الأخرى، فالنّفس لا تملّ من تكرار السّماع له مرّات ومرّات لأنّه معجون بالجمال الجذاب للنّفوس.

- يمتاز الخطاب الأدبي بقدرته على إيصال محتواه إلى طبقات المجتمع على اختلاف شرائحها لسير أداته (اللّغة) الّتي يملكها الغنيّ والفقير والمقيم والمرتحل والبدوي والمتحضّر والجاهل والحكيم، فهو لا يكلّفهم جهداً ولا مالاً وإذا احتاج إلى شيء من ذلك فقد يحتاج إلى اليسير.

- إنّ في اختيار الله سبحانه وتعالى لهذا الخطاب تعليم البشر وشهادة منه على أنّه أفضل أساليب التّأثير فيهم ممّا يدلّ على أهميّته وعظمته وفضله.

فالإعجاز القرآني إذن هو أمرٌ واسعٌ وشاملٌ متعددُ الاتّجاهات ومن الصّعب أن ينهض لدراسة بيان الإعجاز القرآني كلٌّ على حدة ولا حتىّ مجموعة مختصّة في مجال معيّن دون تلاحمها مع جماعات أخرى، فالقرآن متشعّب في نواحٍ متعددّة، ويبقى مفتوحاً للنّظر لمن يأتي في المستقبل فمن خلال هذه الوقفة عند أهميّة الخطاب القرآني وتميّزه يتبادر إلى أذهاننا عدّة تساؤلات أهمّها.

لماذا أهملت الأمّة بحث قضايا الأدب في منجزها الفقهي الضّخم ولم تفرد له أبوابا خاصّة كما فعلت لغيره مع أنّ الله خاطبها بأدواته وأساليبه؟.

1. 3.خلاصة:

من خلال هذا الفصل نستطيع أن نخرج بعدة ملاحظات نعدها استنتاجا وزبدة قول لما ورد حول المعجزة القرآنية والإعجاز فباستقراء جلّ التعاريف التي صيغت لتحديد مفهوم الإعجاز والمعجزة عبر الخط التاريخي نجدها قد اتّسمت بالعموم والتّقليد منقوصة من بيان تحديد المقصد الذي يعتبر عنصرا أساسيا و هذا ما يشير إليه الأستاذ عمار ساسي ويؤكّد عليه ومعتبراً إيّاه شرطاً أساسيّاً في بلورة التّعريف الدّقيق الّذي يتوخّى من ورائه الدقة العلميّة، كما يشير إلى ضرورة تميّيز المعجزة في دائرتها العامّة كخلق السّماوات والأرض والتي لا يعنيها الخطاب، وبين المعجزة في الدائرة الخاصّة كعصا موسى والأخصّ كمعجزة القرآن الّذي جاء في قالب بياني كان هو الأوّل كشفاً قبل الإعجاز العلميّ والنفسيّ والكوني وغيرها... يحفظ الشريعة من التبديل والتغيّير ويحفظ القرآن من التّحريف وما هو إلاّ دليل قاطع على عظمة الخالق المعجز، فمن ميزاته أنّه دائمٌ لا ينقضي فإن انقضى ضلّت البشريّة وفشلت الدّعوة، وثباته ما هو إلاّ دليل صريح على صدق دعوة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم و يحمله من الوجوه الّتي لا نهاية لها والّتي نعدّها عنصراً أساسيّاً في تحديد المفهوم الحقيقي لمصطلح الإعجاز بصيغته الخاصّة والّتي نعني بها الإعجاز القرآني كما أنّنا نجد أنّ الإعجاز في القرآن ورد في قليله وكثيره فلم تكن العبرة بطول ولا بقصر الآيات، فكان بذلك في مستوى إدراك الخصم إذ لا قيمة لمن تحدى الآخر لا يملك فذلك ما يدعوه إلى الإنكار، فالإعجاز على أية حال هو وسيلة إيمان ووسيلة ضلال، قال تعالى:« يضلُّ به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلاّ الفاسقين »[16].

الفصل 2

البيان

لقد كان للبيان من الأهميّةِ درجةٌ عظيمةٌ في علوم العربيّة وذلك في تقريب الأفهام وتحديدها فلا شكّ أنّنا إذا أردنا فهم كتاب الله لابدّ علينا أن نفقه بيانه، وصدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا قال:"... إنّ من البيان لسحرًا وإنّ من الشّعر لحكمةً " [1] ص511. وبذلك تفاخرت العرب حتّى قالوا:"ولا لمنقوص البيان بهاء "[49] ص47.لذا اهتمّ به علماء الأصول والتّفسير في تحديد مفهومه وذلك لمعرفة الأحكام الشرعيّة وإدراك الأحكام المترتبة عليها كما حاول غيرهم من اللّغويين والبيانيين معرفة كنهه، فاعتنوا به جميعاً نهايـة الاعتنـاء وأتوا فيه ماهيّات تضبطه وتفصّله.

وقد مرّ كلّ ذلك بمراحل مختلفة وقد مثّل كل مرحلة من هذه المراحل عدد من الدارسين البارزين الذين أسهموا في تأسيس العلم وتطويره، واجتهدوا في وضع النظريات والتصّورات والمصطلحات التّي تخصّه وتحدّه، وقد كانت أولى هذه المراحل تلك التّي عنيت بتسجيل الملاحظات، ومثّلها عدد من الأدباء والعلماء الأعلام منهم: أبو عبيدة(208هـ) والجاحظ(225 هـ) وابن قتيبة (276هـ)، وغيرهم،... وتبعتها مرحلة أخرى وهي التي اهتمّت بوضع الدّراسات والأبحاث ذات الطابع الأدبي والعلمي المميّز، وقد ظهر في رحابها عدد من الدّارسين والنقاد البارعين، منهم من اعتنى بدراسة الإعجاز القرآني مع السعي إلى الكشف عن خصائصه اللّغوية من أمثال الرمّاني (386هـ) والخطّابي(388هـ) والباقلاّني(403هـ) ومنهم من اعتنى بدراسة الأدب بصورة عامّة مثل: قدامة بن جعفر(337هـ) وعبد الله بن المعتزّ(296هـ) وأبو هلال العسكري (395هـ) ثمّ جاءت مرحلة الازدهار التي أفادت كثيرًا من الدّراسات التي سبقتها، وأضافت إلى هذا العلم نظرات جليلة، ونظريات جديدة كان لها الفضل في تأسيسه وصياغته وتطوّره مضمونًا ومنهجًا وأسلوبًا ومثّل هذه المرحلة أحسن تمثيل عبد القاهر الجرجاني(471 هـ)، ثم جاء أبو يعقوب السكاكي(626هـ) وتلميذه القزويني(739هـ) ولكنّ الّذي اهتم به هذين الأخيرين كون البيان هو العلم الّذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه كالتّشبيه والمجاز والكناية على عكس ما نذهب إليه في النّظر إلى حقيقة البيان وهو المفهوم الأوسع والأشمل الذي يهدف إلى إيضاح المعنى وكشفه وتفصيله.

2. 1.ماهيّــة البيـــان:

2. 1. 1. 1. مفهوم البيان في المعاجم العربيّة:

يعرّف ابن منظور البيان بقوله:"البيان: الفصاحة واللّسن، وكلام بيّن فصيح والبيان الإفصاح مع الذّكاء، والبيّن من الرّجال: السّمح اللّسان، الفصيح الظريف العالي الكلام، القليل الرّبح، وفلان أبين من فلان أي أفصح منه لساناً وأوضح كلاماً ورجلٌ بيّن، فصيح.

قال: البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللّسن وأصله الكشف والظّهور"[5] ص68.

فالبيـان عند ابن منظور إذن يحمل معنى الفصاحـة بمفهومها الواسع من سماحة وظرافة ولباقة في الكلام بما يخالطها من ذكاء وفطنة من أجل توضيح المقصود وإظهاره.

وجاء في معجم المحيط في اللّغة لإسماعيل بن عبّاد:"البيان معروف، بان الشّيء وأبان إبانةً، وبيّن وتبيّن واستبان... والبيّن من الرّجال الفصيح، وقد يكون لازماً ومعناه الظّهور"[50] ص480. أي هو ما اشتمل على الوضوح عموماً وعلى الفصاحة في الكلام خصوصاً وجاء في تهذيب اللّغة للأزهري مايلي:"ومن أمثال العرب قد بيّن الصّبح لذي عينين أي: تبيّن بمعنى ظهر"[51] ص241. ويحمل هذا التّعريف المعنى الشّامل والواسع للمصطلح وهو الظّهور كذلك.

وقال أحمد بن فارس:" وبان الشّيء وأبان إذا اتّضح وانكشف، وفلان أبين من فلان: أوضح كلاماً منه[52] ص338.ونجد كذلك أحمد بن فارس يرى في البيان الكشف والإيضاح، وظهور المعاني.

وجاء في مختار الصّحاح:"الفصاحة واللّسن، وفي الحديث "إنّ من البيان لسحراً" وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاماً، والبيان: أيضاً ما يتبيّن به الشّيء من الدلالة وغيرها"[53] ص44.

من خلال هذا التعريف لعبد القادر الرّازي نجد أنّه أراد بالبيان فصاحة اللّسان ووضوح الدّلالة، وقد أطلق التّعريف في الأخير ليكون شاملاً.

وورد في معجم متن اللّغة للشيخ محمّد رضا:"بان، بياناً، وتبياناً، الشّيء: وضُح، والحقّ بائن وهو بيّن، بيّن تبياناً، الشّيء: وضح، بيَّنَ تبيانا الشّيء وضُح، والحقّ بائنٌ وهو بيّنٌ، بيّن تبياناً وتبيُّناً، الشّيء: كشفه و أظهره... وبيّن الشّجر: ظهر ورقُه، وبيّن القرن: نجم"[54] ص348. نجد أنّ المصطلح هنا آخذ لمعنى الشُّمول من وضوح وإبانة.

من خلال هذا العرض لمفهوم البيان من خلال المعاجم اللّغوية العربيّة نجد أنّها تتّفق جميعها على أنّ مصطلح بيان يعني الوضوح والإبانة والكشف والظّهور في معناه الخاصّ والعامّ كما أنّها شهدت اتّساعا وذلك ما نلحظه في تعريف الشّيخ محمّد رضا حينما استعمل المصطلح في عدّة مواضع فقال الحقّ بائن: أي مكشوف وظاهر وبيّن الشّجر إذا ظهر ورقة، وبيّن القرن بمعنى نجم أي البروز والظهور.

2. 1. 1. 2. البيان في القرآن الكريم:

وردت مادّة البيان والإبانة في حوالي مائتين واثنتي عشرة آية حسب الاستقراء الّذي قام به الأستاذ عمّار ساسي في أطروحته[28] ص98.في اثنين وثلاثين صيغةً من المجردة إلى المزيدة على أكثر من صورة وشكل كما أنّ اللّفظ لم يكن محصوراً في قالب لغوّيٍ أو صورةٍ بيانيةٍ خاصّة.

وقد خرج الأستاذ باستنتاج مهمّ من خلال هذا الجرد وهو أنّ مصطلح "بيان" في القرآن الكريم ورد بمعنى واحد وهو الكشف والظّهور والوضوح بين فعل لازم ومتعدّ تؤكد كلّ معانيه التّوافق التّام بين المعنى اللّغوي الأصل والمعنى الشّرعي ومن ذلك على سبيل المثال:

- قوله تعالى:« الرّحمن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان»[55] أي: الكلام الّذي يبيّن به على ما في قلبه وما يحتاج إليه من أمور دنياه ومفضّل به عن سائر الحيوانات.

- وقال عزّ شأنه:« هذا بيان للنّاس وهدى وموعظةٌ للمتّقين»[56] أي إيضاح وكشف المعنى: إنَّ الّذي ذكرت من سنتي في الماضين إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليهم من التّكذيب.

- وقال تبارك وتعالى:« فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه، ثمّ إنّ علينا بيانه»[57] أي إذا قرأه جبريل بأمرنا فاتّبع ما يحصل لك منه مقروء عليك فاقرأه حينئذ، « ثمّ إنّ علينا بيانه » أي إظهار معانيه وأحكامه وشرائعه وقيل إذا أنزلناه فاستمع قراءته ثمّ إنّ علينا إظهاره على لسانك لوحي حتّى تقرأه... والمراد بهذا أي بما ذكرنا من الآيات الإظهار والفصل فإنّ المُظهر للشّيء والمبيّن له فاصل بينه وبين ما ليس منه[58] ص14.

وقال سميح عاطف الزّين حول البيان في القرآن:

يقال: بـان واستبان وتبيّن وقد بيّنه:« وقد تبيّن لكم مساكنهم »[39] « وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم »[26] « ولتستبين سبيل المجرمين »[23]« قد تبيّن الرّشد من الغيّ »[16] « قد بيّنا لكم الآيات »[59]... ويقال آية مبيّنة اعتباراً بمن بينها وآيةٌ مبيّنةٌ وآيات مبيَّناتٌ ومبيِّناتٌ بالفتح والكسر، والبيّنة الدّلالة الواضحة عقليّةً كانت أو محسوسةً، والبيان: الكشف عن الشّيء وهو أعلم من النّطق مختصّ بالإنسان ويسمّى مابيّن به بياناً، قال بعضهم البيان يكون على نوعين أحدهما بالتّنجيز وهو الأشياء الّتي تدلّ على حال من الأحوال من آثار صنعه والثّاني بالاختيار وذلك إمّا أنْ يكون نطقاً أو كتابةً أو إشارة فممّا هو بيان بالحال قوله:« ولا يصدنَّكم الشَّيطان إنَّه لكم عدوٌّ مبين »[60] أي كونه عدواً بيّن في الحال وما هو بيان بالاختيار« فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون بالبيّنات والزّبر»[18]« وأنزلنا إليك الذّكر لتبيِّن للنّاس ما نزّل إليهم »[18] وسمّي الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره نحو:« هذا بيان للنّاس »[56] وسمّي ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بياناً نحو:« ثمّ إنّ علينا بيانه »[57] ويقال بيَّنه وابنته إذا جعلتُ له بياناً تكشفه نحو:« لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم »[18] وقوله:« ولا يكاد يبين »[60] أي لا يكاد يفهم ما يتكلّم به[61] ص251.

وورد البيان في القرآن الكريم بصيغ متعددة، إلاّ أنَّ مدارها جميعاً يرجع إلى الكشف والوضوح، وفي ذلك يقول الأستاذ:"عمّار ساسي في أطروحته بعد عرضه العلمي لمادّة البيان وصيغها "وما يمكن استنتاجه من هذا الجرد الكامل... إنّ مصطلح (بيان) بصيغه الاشتقاقيّة السابقة الذّكر قد ورد في القرآن الكريم بمعنى واحد وهو الكشف والظهور والوضوح بحيث لم نعثر في جردنا هذا على مفردة خرجت عن إطار معنى الوضوح والظّهور والكشف والمصطلح بصيغه الاشتقاقيّة حامل بين لازم ومتعدّ(بان ويبيّن) وهذا ما يؤكّد التّوافق التّام بين المعنى اللّغوي الأصلي والمعنى الشرعي"[31] ص132.

كما أنّنا نلاحظ ورود مصطلح البيان على أكثر من صيغة وشكل يبرهن على شموليّة المصطلح واستيعابه واتّساعه لأكثر من دليل ومدلول فكلّ صيغه التّركيبيّة سواء حملت معنًى مجازياً أو حقيقياً فهي مؤديّة للغرض من جهة وسليمة المبنى والمعنى من جهة ثانيّة ويكفي دلالةً على ذلك أنّ القرآن الكريم هو في حدّ ذاته بيانٌ للنّاس قال تعالى: « هذا بيانٌ للنّاس»[56].

2. 1. 1. 3. البيان عند المفسرين:

لقد اخترنا من بين المفسرين ثلاثة على سبيل المثال لا الحصر وهم الإمام الزّمخشري، الإمام النّسفي والإمام الشنقيطي وذلك لأنّ تفسيراتهم أقرب إلى اللّغوية وخاصّةً الإمام النّسفي الّذي يعتبر تفسيره هو "التّفسير اللّغوي الوحيد الّذي سار على نهج الإمام الزّمخشري ونقّاه من كلّ أثرٍ معتزليٍّ"[31] ص103.

قال الإمام الزّمخشري في أساس البلاغة:"بان لي الشّيء وتبيّن وأبان واستبان وتبيَّنته واستبنته، وجاء ببيان ذلك وبيَّنته أي حجته، ومن بيَّنات الكرم التّواضع، ورجل بيّن فصيح ذو بيان وما أبينه، وما رأيت أبين منه وقوم أبيناء وهذه مباين الحقّ ومواضعه وظهرت أمارات الخير وتباينه وتبيَّن في أمرك تثبّت وتأنّى[04] ص35. فالإمام الزمخشري يرى هنا أنّ مصطلح بان يحمل معنى الظّهور والوضوح في عموم الإستعمال.

أمّا الإمام النّسفي فيقول في كشف الأسرار:"إنّ البيان في كلام العرب عبارة عن الإظهار" قال تعالى:« علّمه البيان » وقال:« هذا بيانٌ للنّاس » وقال:« ثمّ إنّ علينا بيانه » وقال عليه الصّلاة والسّلام:« إنّ من البيان لسحراً ».

المراد بهذا كلّه الإظهار وقد يستعمل في الظّهور يقال: بان لي معنى هذا الكلام بياناً أي ظهر فاستعمل متعدياً وغير متعدٍّ.

وجاء عن الإمام الشّنقيطي في تفسيره"... أمّا البيان لغةً فهو اسم مصدر بمعنى التّبيين وهو الإيضاح والإظهار كالسّلام بمعنى التّكليم، والطّلاق بمعنى التّطليق وقد يطلق على المبين والمبيّن بالكسر والفتح ومن أهل الأصول من يطلق البيان على كلّ إيضاح سواء أتقدّمه خفاء أم لا... فكلّ ما يزين الأشكال في الاصطلاح بمعنى المبيّن بالكسر"[58] ص56. أي الإيضاح بكلّ معانيه الواسعة والدّقيقة.

2. 1. 1. 4. البيان عند الأصوليّين

إنّ البيان عند الأصوليّين لم يأخذ معنًى بعيداً عن إظهار المعنى وإيضاحه للمخاطب بل كانت جلُّ التّعاريف تدور في هذه الدّائرة فاعتبروا البيان الإظهار دون الظّهور وعلى رأسهم الإمام فخر

الدّين الرّازي البزدوي الّذي يقول عن البيان:"والمراد به –أي البيان- في هذا الباب عندنا الإظهار دون الظّهور"[62] ص21.

والمقصود من خلال هذا القول: هو الإظهار على وزن الإفتعال أي أظهر الشّيء إظهاراً فلم يبق معه شكّ فإذا قال فلان ذو بيان يراد منه الإظهار ومن علماء الأصول الّذين خاضوا في موضوع البيان نجد الإمام أبا حامد الغزالي الّذي يقول في كتابه المنخول من تعليقات الأصول في كتاب البيان وفي فصل البيان من خلال ثلاث عبارات:

- إنّه إخراج الشّيء من حيّز الإشكال إلى حيّز التّجلي.

- البيان هو العلم.

- البيان هو الدّليل[63] ص63.

من هذه التّعاريف الثّلاث نجد أنّ التّعريف الثّالث هو الأكثر صواباً أي أنّ الدّليل قد يكون بالفعل أو القول أو الإشارة والله سبحانه وتعالى بيّن لعباده أدلّة على أوامره ونواهيه.

ويذهب الإمام السرخسي إلى أنّ البيان: يحصل بالفعل من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما يخصّ بالقول[64] ص27.وهذا ما ذهب إليه الكثير من الفقهاء والمتكلّمين.

أمّا محمّد بن إدريس الشّافعي فقد أورد في رسالته باباً تحت عنوان: كيف البيان؟ ذكر فيه خمسة أوجهٍ للبيان مجملاً القول عن البيان أنّه اسمٌ جامع لمعانٍ مجتمعة الأصول متشعّبة الفروع ثمّ بيّن تلك الأوجه بقوله "فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه ممّا تعبّدهم به لمّا مضى من حكمه جلّ ثناؤه من وجوه:

- الوجه الأوّل: ما أبانه لخلقه نصّاً: مثل: الفرائض: الصّلاة، الزّكاة، الصيّام، الحجّ(وهو مابيّن فيه لخلقه ما فرض عليهم من عبادات).

- الوجه الثّاني:* ما أبانه لخلقه نصاً لأمور التّحريم كنص الزّنا، وتحريم شرب الخمر وتحريم أكل الميتة والدّم ولحم الخنزير.

* ما أبانه لخلقه نصاً: من توضيح للفرائض ككيفيّة الوضوء.

- الوجه الثّالث: هو ما أحكم فرضه بكتابه وبيّن كيفيّته على لسان النّبي(ص) كعدد الصّلوات في اليوم ووقت الزّكاة.

- الوجه الرّابع: ما سنّه رسول الله (ص) ممّا ليس فيه نصّ حكم علماً أنّ الله قد فرض في كتابه طاعة رسوله والإنتهاء إلى حكمه.

- الوجه الخامس: ما فرض الله على خلقه الاجتهاد في طلبه وابتلى طاعته في غيره ممّا فرض عليهم فإنّه يقول تبارك وتعالى:«ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصّابرين ونبلوا أخباركم»[65].هذا ما ذكره الشافعي[62] ص25.

ولمّا لم يكن للقدامى تخصّصات دقيقة في العلوم اللّغوية والدّينية وجدنا تداخلا حينما أردنا ضبط مفهوم البيان عند كلّ زمرة من العلماء فلاحظنا أنّ البعض منهم يتكرّر ورود أسمائهم من خلال تعريفنا للبيان من النّاحية اللّغوية ومن جهة التّفسير وكذا علم الأصول كالإمام الزّمحشري، النّسفي والشّنقيطي مثلاً، ولمّا أوردنا تعريفات هؤلاء العلماء ضمن قائمة المفسّرين نرى أنْ نضيف الآن وجوه البيان كما أوردها الإمام النّسفي الّذي رأى أنّ مصطلح البيان يعني الإظهار وقد يستعمل في الظّهور بتوظيفه على صيغة اللاّزم والمتعدي والمراد منه إظهـــار المراد للمخاطب لأنّه صلّى الله عليه وسلّم كان مأموراً بالبيان للنّاس قال تعالى:« لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم »[18] ثمّ قسّم (البيان) إلى خمسة أوجه.

- الوجه الأوّل: بيان التّقرير، فهو توكيد الكلام بما يقطع احتمال المجاز أو الخصوص كما في قوله تعالى:« ولا طائرٍ يطير بجناحيْه »[23]، فإنّ الطّيران يكون بالجناح حقيقةً، ولكن يحتمل غيره كما يقال: المرء يطير بهمّته، قال ابن عبيد الحنفي شارحا: طائرٌ يحتمل المجاز بالسّرعة في السّير، كما يقال للبريد الطّائر، فقوله يطير بجناحيه يقطع هذا الاحتمال ويؤكّد الحقيقة والثّاني (يقطع الخصوص) كقوله تعالى:« فسجد الملائكة كلّهم أجمعون »[66] فإنّ الملائكة جمع شامل لجميع الملائكة ولكن يحتمل الخصوص فأزيل بقوله:« كلّهم أجمعون » هذا الاحتمال وأكّد العموم[67] ص111.

-الوجه الثّاني: بيان تفسير كبيان المجمل والمشترك، فالمجمل كقوله تعالى: «وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة»[16]. فلحقه البيان بالسنّة القوليّة والفعليّة[67] ص112.

-الوجه الثّالث: بيان تغييّر كالتّعليق بالشّرط والاستثناء، فإنّ الشرط المؤخّر في الذّكر مثل قوله: أنت طالق إن دخلت الدّار، بيان مغيّر لما قبله... وهكذا الإستثناء[67] ص113.

- الوجه الرّابع: بيان الضّرورة وهو نوع بيان يقع بما لم يوضع له – أي السّكوت – إثر الموضوع للبيان هو الكلام دون السكوت وبيان الضّرورة إمّا أنْ يكون في حكم المنطوق كقوله تعالى:« وورثه أبواه فلأمّه الثُّلث »[47]. فإنّ صدر الكلام أوجب الشّركة في وراثة الأبوين من غير تعيّين نصيب كلّ منهما. ثمّ تخصيص الأمّ بالثُّلث صار بياناً لأنّ الأب يستحقّ الباقي، فكأنّه قال: فلأمّه الثُّلث ولأبيه الباقي.

- الوجه الخامس: بيان تبديل: وهو النّسخ في اللّغة قال الله تعالى:« وإذا بدّلنا آيةً مكان آيةٍ »، ثمّ قال:« ما ننسخْ من آيةٍ أو نُنسها » فعلم أنّهما واحدٌ ومعنى بيان التّبديل أنّه بيان من وجه وتبديلٍ من وجه[68] ص320.

وهناك من ذهب إلى مذهب أوسع من هذا كأبي القاسم الغرناطي حيث يذهب إلى أنّ البيان يقع بالقول وبالمفهوم وبالكناية وبالإشارة وبالقياس وبالدّليل العقليِّ والحسيِّ، ثم يذكر لكلِّ نوعٍ مثالاً[69] ص164.

وينحو محمّد الأمين الشّنقيطي قريباً من هذا المعنى حيث يقرّر أن أكثر الأصوليّين على أنّ البيان في الاصطلاح الأصولي هو تصيّير المشكل واضحاً والبيان يحصل بكلّ ما يزيل الإشكال من كلامٍ أو كتابةٍ أو إشارة أو فعل أو سكوت على فعل ثمّ يسوق لكلّ قسمٍ مثالاً أو مثالين[68] ص328

نلاحظ ممّا سبق أنّ مفهوم البيان عند جلّ الأصوليين وإن اختلفوا في تسميّة الأنواع والتقسيمات أنّها تنحو منحىً واحداً ألا وهو تصيير الخفيّ جليًّا مع العلم أنّه ليس من شرط البيان أن يحصل التّبيين أحد وهذا ينطبق تماما على المفهومين اللغوي والقرآني.

2. 1. 1. 5. البيان عند البلاغيين:

يرى الجاحظ أنّ البيان" اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضّمير، حتّى يقضي السّامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدّليل لأنّ مدار الأمر والغاية الّتي إليها يجري القائل والسّامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت به الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[49] ص76.

ويرى الجاحظ أنّ وجوه البيان تنحصر في خمسة دلالات[49] ص76. وهي:

- الدّلالة باللّفظ وهي ما يتميّز به الإنسان عن سائر الحيوان.

- الدّلالة بالإشارة باليد وبالرّأس وبالعين وبالحاجب وبالمنكب.

- الدّلالة بالخطّ، ولذلك قالوا القلم أحد اللّسانين.

- الدّلالة بالعقد وهو الحساب دون اللّفظ والخطّ.

- الدّلالة بالنَّصبة: وهي الحالة النّاطقة بغير اللّفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السّماوات والأرض.

ومعنى هذا أنّ الجاحظ كان يدرك قيمة هذه الدّلالات في الفهم والإفهام أي في البيان.

وعرّف ابن رشيق القيرواني البيان بقوله:"البيان الكشف عن المعنى حتّى تدركه النّفس من غير عقلة، وإنّمـا قيل ذلك لأنّه قد يأتي التّعقيد في الكلام الّذي يدلّ ولا يستحقّ اسم البيان"[70] ص407. ويقول إنعام طوّال عكاوي معلّقا على هذا التّعريف، إلاّ أنّ البيان عنده—ابن رشيق- فنّ من الفنون كالمجاز والاستعارة والتّشبيه والتّجنيس لهذا ضاق معه أفق البيان"[71] ص271.

أمّا عبد القاهر الجرجاني فإنّه فيما يظهر لم يفرق بين الألفاظ التّالية: البلاغة، الفصاحة والبيان، والبراعة وكلّ ما شاكل ذلك ممّا يعبّر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلّموا وأخبروا السّامعيـن عن أغراضهـم ومقاصدهم، وراموا أنْ يعلّموهم ما في نفوسهـم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم[58] ص20.

ويرى السّكاكي أنّ البيان هو:" معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزّيادة في وضوح الدّلالة عليه، وبالنقصان ليتحرّز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[72] ص70.

ويقول في موضع آخر:" هو معرفة إيراد المعنى الواحد طرق مختلفة بالزّيادة في وضوح الدّلالة عليه، والنّقصان بالدّلالات الوضعيّة غير ممكن"[72] ص14.

نلاحظ أنّ السكاكي يرى أنّ البيان جزء من البلاغة التي تتمثل في علم البيان، المعاني، والبديع ولا تنفصل عنه إلاّ بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركّب ونجد القزويني في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة يرى أنّ البيان هو العلم الّذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه.

فالبيـان عند السّكاكـي والقزويني إذن أخذ طابعاً علميّاً أصبح يـدلّ على التّشبيه والمجاز والكناية بعد أن كان يشمل فنون البلاغة كلّها فعندما يدرس السّكاكي الآية الرّابعـة والأربعين من سورة هود« قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سمـاء أقلعي وغيض المـاء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين »[14]

يقول" النّظر في هذه الآية يكون من أربع جهات، من جهة علم البيان وهو النّظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتّصل بها "[72] ص172.

فمسائل علم البيان عندهم تنحصر فيها لأنّ مهمّة علم البيان قاصرة على إيراد المعنى الواحد بأساليب تختلف وضوحاً و خفاءً في الدّلالة على المعنى المراد، فتارةً من طريق التّشبيه كقولك " زيد بحر" وتارةً عن طريق المجاز فتقول " أرأيت بحراً في منزلنا؟ " نريد زيداً مثلاً، فتشبيهه بالبحر في الإمداد ثمّ تستعير له لفظاً "البحر" وتارةً أخرى من طريق الكناية فتقول " محمّد كثير الرّماد " و"هو مهزول الفصيل وجبان الكلب " فهذه الثّلاثة دالّة على معنى الجود، لأنّ كثرة الرّماد من كثرة إطراق الحطب للطّبخ من أجل الضيّوف، وهزال الفصيل يكون بإعطاء لبن أمّه للضيوف أو بنحرها لهم، وجبن الكلب يكون لكثرة الواردين عليه من الضيوف وأوضح هذه الطّرق في إيراد المعنى الطّريق الأوّل ويليه في الوضوح الطريق الثّاني ثمّ الثّالث.

نستشفّ من هذا العرض البسيط أنّ البيان عند علماء البلاغة له مفهومان، مفهوم قديم والّذي وافق مفهوم البيان في اللّغة وفي التّنزيل العزيز الحميد والّذي ينحصر في الإيضـاح والكشف والتّفصيل، ومفهوم حديث ضيّق الزّوايا ينحصر في صور بلاغيّة معدودة كالتّشبيه والاستعارة والكناية والمجاز وما كان في معناه.

2.1.2. وجـوه البيـان في القرآن الكريـم:

للقرآن الكريم وجهان من البيان، فالأوّل يتمثّل في الصّورة البلاغيّة الفنيّة أي له بيان من النّاحية النّظمية كقوله تعالى:« مثلهم كمثل الّذي استوقد نارًا »[16]. أعقب هذا المثل تفاصيل صفات

المنافقين بتصوير مجموعها في صورةٍ ولاسيّما إن كانت محسوسة لأنّ النّفس إلى المحسوس أميل، يقول الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور معلّقا على هذه الآية صفات المنافقين في الآيات السّابقة: « وإتماماً للبيان يجمع المتفرّقات في السّمع، المطالة في اللّفظ في صورة واحدة، لأنّ الإجمال بعد التّفصيل وقعًا من نفوس السّامعين»[30] ص302. لأنّ من شأن ضرب الأمثال عند العرب تبيّن خبيّات المعاني وعليه يقول الزّمخشري في" الكشّاف "، ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنّظائر شأن ليس بالخفيّ في إبراز خبيّات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتّى تريك المتخيّل في صورة المحقّق والمتوهّم في معرض المتيّقن والغائب كالشّاهد [30] ص302.

أمّا الوجه الثّاني فيخصّ النّاحية التّأويلية التّفسيريّة، وهذا ما تطرّق إليه الإمام الشّنقيطي في تفسيره وذكر لهذا الوجه تسعة عشر نوعًا وسنكتفي في هذا المقام بذكر البعض فقط على سبيل التّمثيل تفاديًا للإطلالة وبشيء من التّصرف:

من أنواع البيان التّي تضمّنها هذا الكتاب المبارك: بيان الإجمال الواقع بسبب الاشتراك في اسم كقوله تعالى:« ثلاثة قروء »[16]. لأنّ القرء مشترك بين الطّهر والحيض، وقد أشار تعالى إلى أنّ المراد بأقراء العدّة الأطهار بقوله:« فطلقوهنّ لعدّتهنّ»[73]. فاللاّم للتّوقيت ووقت الطّلاق المأمور به في الآية الطّهر لا الحيض، وتدلّ له قرينة زيادة التّاء في قوله ثلاثة قروء بلا هاء لأنّ العرب تقول: ثلاثةُ أطهارٍ، وثلاثُ حيضاتٍ[74] ص07، و" مثال الإجمال بسبب الاشتراك في فعل قوله تعالى:« والّليل إذا عسعس »[75]. فإنّه مشترك بين إقبال اللّيل وإدباره، وقد جاءت آيةٌ تؤيد أنّ معناه في الآية أدبر في قولـه تعالـى:« والّليل إذا أدبر والصّبح إذا أسفر».

ومثال الإجمال بسبب الاشتراك في حذف قوله تعالى:« ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوةٌ »[16]، فإنّ الواو في قوله تعالى:« وعلى سمعهم » وقوله:« وعلى أبصارهم »، محتملةٌ للعطف على ما قبلها وللاستئناف، ولكنّه تعالى بيّن في سورة الجاثيّة أنّ قوله هنا:« وعلى سمعهم » معطوف على« قلوبهم » وأنّ قوله:« وعلى أبصارهم غشاوةٌ » جملة مستأنفة مبتدأ وخـبر، فيـكون الختم علـى القلوب والأسمـاع والغشاوة على خصوص الأبصار..." [74] ص09.

ويقول في نوع آخـر:

- ومن أنواع البيان الّتي تضمّنها هذا الكتاب المبارك أنْ يُذكَر شيء في موضع ثمّ يقع سؤال عنه وجواب في موضع آخر كقوله تعالى:« الحمد لله ربّ العالمين»[76].فإنّه لم يبيّن هنا ما المراد بالعالمين، ولكنّه وقع سؤال عنهم وجواب في موضع آخر، وهو قوله تعالى: «قال فرعون وما ربُّ العالمين، قال ربُّ السّموات والأرض وما بينهما»[27].

- ومن أنواع البيان الّتي تضمّنها أيضا أنْ يذكُرَ وقوع شيء في القرآن ثمّ يذكر في محلّ آخر كيفيّة وقوعه كقوله تعالى:« وإذْ واعدنا موسى أربعين ليلةً ثمّ اتّخذتم العجلَ من بعده »[74] ص14. فإنّه لم يبيّن هنا كيفيّة الوعد بها، هل كانت مجتمعةً أو مفرّقةً ولكنّه بيّنها في الأعراف بقوله: « وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشرٍ ميقاتَ ربِّه أربعينَ ليلةً ».

- ومن أنواعه أيضًا أن يُذكر أمرٌ في موضعٍ، ثمّ يذكر في موضع آخر شيء يتعلّق بذلك الأمر، كأنْ يذكر له سبب أو مفعول أو ظرف مكان أو ظرف زمان أو متعلّق فمثال ذكر سببه في قوله تعالى:« ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدَّ قسوةً »، فإنّه لم يبيّن هنا سبب قسوةِ قلوبهم ولكنّه بيّنه بقوله:« فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهم وجعلنا قلوبهم قاسيةً »[27]، وقوله:« فطال عليهمُ الأمدُ فقست قلوبُهم ».

- ومن أنواع البيان كذلك تفسير اللّفظ بلفظ أشهر منه وأوضح عند السّامع كقوله في حجارة لوط:« وأمطرنا عليهم حجارةً من سجّيل»[14]. فإنّه تعالى بيّن في الذاريّات في القصّة بعينها أنّ المراد بالسّجيل الطّين، وذلك في قوله تعالى:« قالوا إنّا أُرسلنا إلى قوم مجرمين، لنرسل عليهم حجارةً من طين»[74] ص24.

وبعد أن ذكر أنواع البيان التّسعة عشر نوعاً قال: واعلم أنّ أقسام البيان في هذا الكتاب المبارك بالنّسبة إلى المنطوق والمفهوم أربعة، لأنّ كلاً من المبيّـن باسم المفعول والمبيّن باسم الفاعل قد يكون منطوقًا، وقد يكون مفهومًا، فالمجموع أربعة من ضرب حالتي المنطوق في حالتي المفهوم.

الأولى: بيان منطوقٍ بمنطوق كبيان قوله تعالى:« إلاّ ما يُتلى عليكم »[40]. بقوله تعالى:« حرّمت عليكم الميتة»[27].

الثانيّة: بيان مفهوم منطوق بمنطوق كبيان مفهوم قوله تعالى:« هدًى للمتّقين »[16] بمنطوق قوله تعالى:« والّذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمًى »[42]، وقوله:« ولا يزيد الظّالمين إلاّ خسارًا »[77].

الثّالثة: بيان منطوق بمفهوم كبيان قوله تعالى:« حرّمت عليكم الميتة والدّم »[27]، بمفهوم آية الأنعام فإنّ تحريم الدّم مطلقًا منطوق هنا، وقوله تعالى في سورة الأنعام:« أو دمًا مسفوحًا»[23]، يدلّ بمفهوم مخالفته على أنّ غير المسفوح ليس كذلك فيبيّن هذا المفهوم أن المراد بالدّم في الآية الأولى غير مسفوح، ومن أمثلته بيان قوله:« والزّاني »[78] بمفهوم الموافقة في قوله:« فعليهنّ نصفُ ما على المحصناتِ من العذاب »[47]. فإنّه يفهم مفهوم موافقته أنّ العبد الذّكر كالأمة في ذلك يجلد خمسين، فيبيّن هذا المفهوم أنّ المراد بالزّاني خصوص الحرّ[74] ص24.

الرّابعة: بيان مفهوم بمفهوم ومثاله قوله تعالى:« والمحصنات من الّذين أوتوا الكتاب»[27]. على القول بأنّ المراد بالمحصنات الحرائر، كما رويَّ عن مجاهد، فإنّه يدلّ بمفهومه على أنّ الأمة الكتابيّة لا يجوز نكاحها، ويدلّ أيضًا مفهوم قوله تعالى:« ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فممّا ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات»[47]، مفهوم قوله المؤمنات يدلّ على منع تزويج الإماء الكافرات ولو عند الضّرورة وهو بيان مفهوم بمفهوم[74] ص30.

2. 2. نشـأة البيـان العربـي:

لقد صار إطلاق كلمة "البيان"يرتبط في أذهاننا اليوم بأنّها قسم من أقسام البلاغة المعروفة، وهي علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، وفي الحقيقة أن كلمة "البيان" أوسع من ذلك وأشمل وهذا ما يشير إليه الدّكتور عبد العزيز عتيق حيث يقول:" فالواقع أن البلاغة العربيّة قد مرّت بتاريخ طويل من التّطور حتّى انتهت إلى ما انتهت إليه، وكانت مباحث علومها مختلطة بعضها ببعض منذ نشأة الكلام عنها في كتب السابقين الأوّلين من علماء العربيّة وكانوا يطلقون عليها علم البيان "[79] ص07.

وبما أنّ العرب اشتهروا بالفصاحة واللّسن وكانوا يتباهون ويفتخرون بالبيان وطول اللّسان، وتصريف الكلام وشدّة الاقتدار عليه، وكيف لا يتباهون بالبيان، وكان من اتّصف به يعلو كعبه وترتفع منزلته ويسود قومه "ويخبرنا الجاحظ في كتاب شرائع المروءة أنّ العرب كانت تسود على أشياء...كان أهل الجاهلية لا يسودون إلاّ من تكاملت فيه ستّ خصال، السّخاء والنّجدة والصّبر والحلم والتّواضع والبيان وصار في الإسلام سبعاً".

فلمّا كان البيان ذا منزلةٍ رفيعةٍ كان شرطاً من شروط السيّادة بين العرب، أمّا الكلام عن نشأته فالآراء فيه مختلفة إلاّ أنه ينبغي أن نميّز بين فترتين، فالفترة الأولى تتمثّل في استعمال العرب بأساليب مختلفة في آثارها الأدبيّة، من استعارة وتشبيه وكناية ومجاز، وقصر وفصل ووصل وغيرها من ألوان البيان وهذه الفترة تمتدّ من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الإسلامي والفترة الثانيّة تتّصل في معرفتهم العلميّة بأوضاع هذه المصطلحات ومعانيها البلاغية وظهرت إرهاصات هذه الفترة تقريباً في القرن الثّالث الهجري في كتاب " الإيضاح " للإمام القزويني.

بناءً على هذا التميّز نقول: أنّ الملاحظات البيانيّة بدأت تنشأ عن العرب من العصر الجاهلي ثمّ مضت تنمو بعد ظهور الإسلام وتكثر الأسباب، منها إصابة الألسنة باللّكنة واللّحن وتحضّر العرب، واستقرارهم في المدن والأقطار المفتوحة عليهم ونهضتهم العقليّة، ثمّ ما ظهر في ذلك العصر من خصومات سياسيّة وعقائديّة وما ينتج عنها من جدل شديد، وتلك الطّوائف كالخوارج والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم ممّن برعوا في الكلام وأصوله تزويقاً وتنميقاً، فكان من الطّبيعي أن ينمو النّظر في بلاغة الكلام، وأن تكثر الملاحظات المتّصلة بحسن البيان كما نجدها في تراجم بعض الشّعراء لابن سلام الجمحي، وغيرها من المؤلّفات الّتي تطرّقت إلى هذه المواضيع من قريب أو من بعيد، وهكذا إلى أنْ ظهر بشر بن المعتمر(ت:210هـ) وهو أوّل معتزليّ خطا خطوةً ملحوظةً في هذا السبيل- سبيل البيان- فعنه نقل" الجاحظ" صفحات نثر فيها " بشر" ملاحظات دقيقة في البلاغة، واستعان بها العلماء من بعده في بلورةِ الأصول والقواعد البيانيّة يقول الجاحظ:« مرّ بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلّة بن مخرمة السكوفي الخطيب، وهو يعلّم فتيانه الخطابة، فوقف بشر، فظنّ إبراهيم أنّه إنّما وقف ليستفيد أو ليكون رجلاً من النّظارة، فقال بشر، اضربوا عمّا قال صفحاً واطووا عنه كشحاً، ثمّ دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه »[49] ص135. وكانت أوّل صحيفة في أصول البلاغة وعناصر البيان.

وممّا قاله بشر في هذا المجال:"... فإنْ أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك إلى أن تفهم العامّة معاني خاصّة، وتكسوها الألفاظ الواسطة الّتي لا تلطف عن الدّهماء ولا تجفوا عن الأكفّاء فأنت البليغ التّام"[49] ص136.

لعلّ أكبر متطلّع في الاعتزاليّة ظهر بعد" بشر بن المعتمر" وعناصر البيان العربي تكاد تخطو في مهدها نحو القصد المنشود هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت: 255هـ) فأولى البلاغة العربيّة اهتماماً فائقاً، صار من حذّاق المعلّمين والمرشدين إلى البيان العربي ويتجلّى عمله خاصّةً في كتابه" البيان والتبيّن" الّذي احتوى على قدرٍ كبيرٍ من الملاحظات المتّصلة بالبيان العربي.

ويقول عبد العزيز عتيق في هذا الشّأن:« ومجملُ القول في الجاحظ من جهة البلاغة أنّه ألمّ في كتبه بالأساليب البيانيّـة من تشبيـه واستعـارة وكناية وحقيقـة ومجاز، ولكنّه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، وإنّما جاء تعريفــه لها والدّلالة عليها عن طريق الأمثلة والنّماذج البلاغيّة » [79] ص11.

تلك الأساليب البيانيّة الّتي تطرّق إليها عن طريق الأمثلة كالكناية، الإيجاز والاستعارة وغيرها من الصوّر البيانيّة الّتي دفعت الكثير إلى القول بأنّ الجاحظ هو الواضع الأوّل لعلم البيان وفي هذا الصّدد يقول عبد المنعم خفّاجي:«... فهي على كلّ حال- الصوّر البيانيّة الّتي تطرّق إليها- ذات أثر كبير في نشأة البيان، وهي الّتي أوحت إلى كثير أنْ يعدّوا الجاحظ الواضع الأوّل لعلم البيان، ومن الخطأ التّهوين بأمر الجاحظ في البيــان، كما ذهب إليه بعض المحدثين »[79] ص08. ويقول في موضوع آخـر:« ولم نعلم أنّ باحثاً أفرد البيان العربي بالتّأليف قبل الجاحظ، إنّما كان كلّ ما هنالك آراء مبثوثة متفرّقة لكثيرٍ من رجال البيان والأدب، وكانت خسارةُ البيان في عدمِ تدوينها تكاد تكون فادحةً بالغةً منتهاها، ونجده في" الكتاب" لسيبويه و" مجازات القرآن" لأبي عبيـدة و"الشّعـر والشّعراء" لابن سلاّم الجمحي فإنّما هو قليلٌ من كثيرٍ إذا قيس بما جمعه الجاحـظ في كتبـه ومؤلّفاتـه» [79] ص14.

ثمّ جاء من بعد الجاحظ متأثّراً بخطاه وإن لم يكن معتزليًّا مثله ابن قتيبة الدّينوري (ت: 276هـ) ففي كتابه« تأويل مشكل القرآن » يتحدّث أوّلاً عن إعجاز القرآن كردّ على الطّاعنين في أسلوبه، جهلاً منهم بأساليب البيان العربي ثمّ ينتقل إلى الحديث عن موضوعات البيـان حيث يقول: « وللعرب المجــازات في الكـلام، ومعناها طرق القول ومآخذه ففيها الاستعـارة والتّمثيل والقلب والتّقديم والتّأخير والحـذف والتّكرار والإخفاء والإظهار والتّعريض والإفصاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع والجميع خطاب الواحـد والواحـد والجميع خطاب الاثنين إلخ...»[49] ص126.

وكذلك من الكتب الّتي اهتمّت بالمباحث البلاغيّة من أجل تفسير الإعجاز البلاغي للقرآن كتاب:« النّكـت في إعجـاز القـرآن » لأبي الحسن علي بن عيسى بن عبد الله المعـروف بالرّمانـي (ت: 386هـ) وعلى سبيل المثـال تطرّقـه إلى ظاهرة الحـذف في قولــه تعالى:« وسيق الّذيـن اتّقـوا ربّهـم إلى الجنّـة زمراً حتّى إذا جاءوها وفتّحت أبوابها »[80]، كأنّـه قِيل حصلوا على النّعيـم المقيم الّذي لا يشوبـه التّنغيـص والتّكديـر، وإنّما صار الحذف هنا في مثـل هذا أبلـغ من الذكـر لأنّ النّفس تذهـب فيـه كلّ مذهب، ولو ذكـر الجواب لقصـر على الوجه الّذي تضمّنه البيـان.

وهناك مُمارسات نقديّة على أسس بلاغيّة ظهرت في القرن الرّابع الهجريّ تعرّض فيها أصحابها إلى مباحث من علم البيان وعلى سبيل المثال كتاب« الموازنة بين أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي البصري(ت: 370هـ)، كتاب" العمدة " لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني(ت: 456 هـ)، ظلّ الأمر كذلك حتىّ ظهر عبد القاهر الجرجاني(ت: 474هـ)، فاقتطف ثمار هذه الجهود واتّخذ منها مادّة استعان بها في وضع نظريّة علم البيان، ويظهر ذلك جليّا في كتابيه" دلائل الإعجاز" و" بأسرار البلاغة " فكان بحقّ وعاءً لعناصر البيان وهذا ما جعل الأستاذ" عبد العزيز عتيق" يصفة بقوله:«... والحقّ يقال أنّه فريد في بابه فهو بحث في البيان العربي، غير مسبوق ولا ملحوق، وإنّه ليدل فيما يدلّ على ألمعيّة صاحبه وغزارة علمه، وسلامةِ ذوقه وعقليّته الجبّارة المبتكرة »[79] ص23.

أمّا الزّوايا الّتي قصد بحثها من النّاحية البيانيّة فلا يمكن سردها لكثرتها إلاّ أنّنا نشير إلى بعضها بإيجاز.

- الاستعارة فقد تطرّق إلى حدّها وأقسامها وأنواع الاستعارة المفيدة.

- التّشبيه وأقسامه كما تكلّم عن التّشبيه الّذي يحتاج إلى تأويل.

- التّمثيل والفرق بينه وبين التّشبيه ومواطنه.

- الحقيقة والمجاز وكذا أنواع المجاز والفرق بينه وبين الاستعارة ومنزلتها منه...

ثمّ ظهر بعد عبد القاهر الجرجاني" جار الله محمود بن عمر الزّمخشري"(ت: 538 هـ) الذي كان له أثر كبير في ميدان البيان العربي وتجّسدت عبقريّته البيانيّة في تفسيره المسمّى "بالكشّاف" وهو في الواقع خير تطبيق على كلّ ما اهتدى إليه عبد القاهر الجرجاني في كتابيه "أسرار البلاغة" و" دلائل الإعجاز" لذلك نجده ينبّه عن أهميّته ودور البيان في معرفة مراد كلام الله جلّ جلاله حيث يقول:« لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطّرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلاّ رجل قد برع في عمليّتين مختصّتين بالقرآن هما علم المعاني وعلم البيان»[81] ص24.

وهكذا بمنهاج عبد القاهر في كتابيه، وبطريقته التّعليميّة، وكذا بتطبيق الزّمخشري لآراء عبد القاهر الجرجاني في تفسيره "الكشّاف" استطاع الرّجلان أن يتطرّقا إلى جلّ عناصر البيان العربي.

2. 3. مجمع الصّلة بين البيان والإعجاز القرآني:

2. 3. 1. بين الإعجاز والبيان:

إنّ لغة القرآن تقوم على ميزانٍ دقيقٍ و نظامٍ قويمٍ بما يصيب النّفس من الدّهشة والإعجاب لقدرة الحروف وتناسقها وانسجامها حرفاً، حرفاً وإيقاعها رنّةً، رنّةً لتأديّة المعنى بما يلائم الحسّ والذوق، فينفذ إلى الرّوح، وهي رغم قوّتها وعمقها ميّسرة كما ذكرت الآية:« وقد يسّرنا القرآن للذّكر».

ولمّا كان الوجه الّذي أقبل به القرآن على العرب وجه تلك البلاغة المعجزة فقد كان من إعجازه أن يأتي بأفصح ما تنتهي إليه لغات العرب جميعاً، ووجوه مستنبطة من البيان ككلّ (دائرة البيان) فلذلك نرى العلاقة بين الإعجاز والبيان متلاحمةً متوالدةً كلّ منها يضفي على الآخر صفة التّكامل والقوّة" ولا يكون استجلاء مظاهر ذلك الإعجاز يحتاج إلى تأمّل العقل الثّابت، وصفاء الشّعور المؤمن والسرّ الكامن في خصوبة الجوانب البلاغيّة وإعجاز القرآن الكريم يرجع إلى أنّه مغمور بالجمال البياني، والدقة العلميّة غمراً "[82] ص172.

من هنا كان وجه من وجوه نظم القرآن أن يجمع بين البيان والإعجاز، فلا تكون الآية الدالّة على صدق الرّسول منفصلة عن البيان كما كان ذلك في رسالة موسى وعيسى (عليهما السّلام) إذ كانت آيات موسى التّسع وإحياء عيسى عليه السّلام للموتى شيئاً منفصلاً تماماً عن صلب التّوراة والإنجيل ومهيمناً عليهما وجامعاً لحقائقهما فقد اجتمع في صلبه البلاغ المبين الّذي يسنّ حقائق الكون وينظّم العلاقات الاجتماعيّة والسياسيّة مبتعداً في ذلك لتصحيح النّظريات العلميّة والكشف عن أخطائها وكفى بهذا إعجازًا إذ أنّ القرآن حمل من الشّكل والمعنى ما جعله معجزًا في بيانه قبل أي وجه آخر مضافاً إلى البيان الّذي يعدّ علماً قائماً بذاته فبتلاحمهما نجد الإعجاز البياني شكلي ومعنوي فمنزلة البيان في بحث الإعجاز القرآني منزلة الرّوح من الجسد فلا فضيلة لكلامٍ على آخرٍ إلاّ بما يكون فيه من اللّطائف من الفصاحةِ والبلاغةِ الّتي بها نعرف فضائل التّنزيل ويعرف بها إعجازه وتدرك بها فصاحة أسلوبه وانسجام تأليفه، فالمتفقّه في أسرار البلاغة يحلّق مع آيات الله المتلوّة يتملّى رائع بيانها، وباهر إعجازها فيكشف بذلك عن ملامح الصورة الأدبيّة الّتي تصور المعنى الذّهني والحالة النّفسية، والمشهد المنظور متّخذة من الوجدان الفنّي سبيلاً إلى الوجدان الدّيني فالإعجاز لا يكون إلاّ بالبيان الّذي يخرجه إلى الوجود.

من خلال حديثنا عن الإعجاز والبيان نخلص إلى أنّ هذا الإعجاز البياني هو إعجازٌ بيانيٌّ علميٌّ في تحدّيه للإنس والجنّ قاطبةً على الإتيان بمثله في بيان تشريعه عبادةً ومعاملةً، ومعنى هذا أنّ الإعجاز البيانيّ العلميّ هو إعجازٌ متميّز عن الإعجازين البيانيّ الفنّي والأدبي والبيان الّذي مقصوده الوجه البلاغي بالمدلول الاصطلاحي والمقصود من عبارة إعجاز بياني علميّ ليس هو طرق ظواهر الإعجاز فحسب بل المقصود هو عمليّة الخطاب البيانيّ المعجز فالبيان إذن نوعان:

الأوّل: بيان بالمفهوم الواسع، وخير مثال عليه ما ورد في الآيات المحكمات الّتي تكاد تنعدم فيها الصوّر البلاغيّة وألوانها كما أنّها ترد على التّفصيل في غالب الأحيان، وهي ثابتة دائماً على المعنى الواحد الّذي لا يقبل التّأويل أبداً.

أمّا الثّاني: فهو البيان بالمفهوم الاصطلاحي البلاغي، وهو المعهود لدى أئمّة البلاغة، وهو ما يعرف بكونه قسماً من أقسام البلاغة من معنى وبيان وبديع، والبيان بهذا المصطلح وهذا المدلول هو أعلق بالآيات المتشابهات في القرآن الكريم ذلك أنّ هذه الأخيرة تحمل في طيّاتها أكثر من دلالة ومعنى ولا يناسبها في هذا المقام إلاّ البيان بالمفهوم الاصطلاحي البلاغي، وهذه الآيات هي ما يمثّل جانب التّطور والتّجديد في معاني وفهوم القرآن الكريم[31] ص61. ويفصّل الأستاذ عمّار ساسي بقوله:" الإعجاز البياني كان يعني به الفنّي والأدبي عند جماعة من الأدباء أمّا أهل البلاغة فكانوا يعنون به البلاغي الاصطلاحي وهي كلّها مفاهيم محدودة الجوانب ولمّا رأيت ذلك ذائعا أدليت بالإعجاز البياني بالمفهوم الواسع والشّامل وعليه قلت بنوعين من الإعجاز البياني"[31] ص61.

- إعجاز بيانيّ فنّي بلاغي اصطلاحي وهو المعهود.

- إعجاز بيانيّ بالمفهوم الواسع وهو الخاصّ بالآيات المحكمات (التّشريع).

وللتّوضيح أكثر يمكننا تلخيص ما سبق في هذا الرّسم البياني:

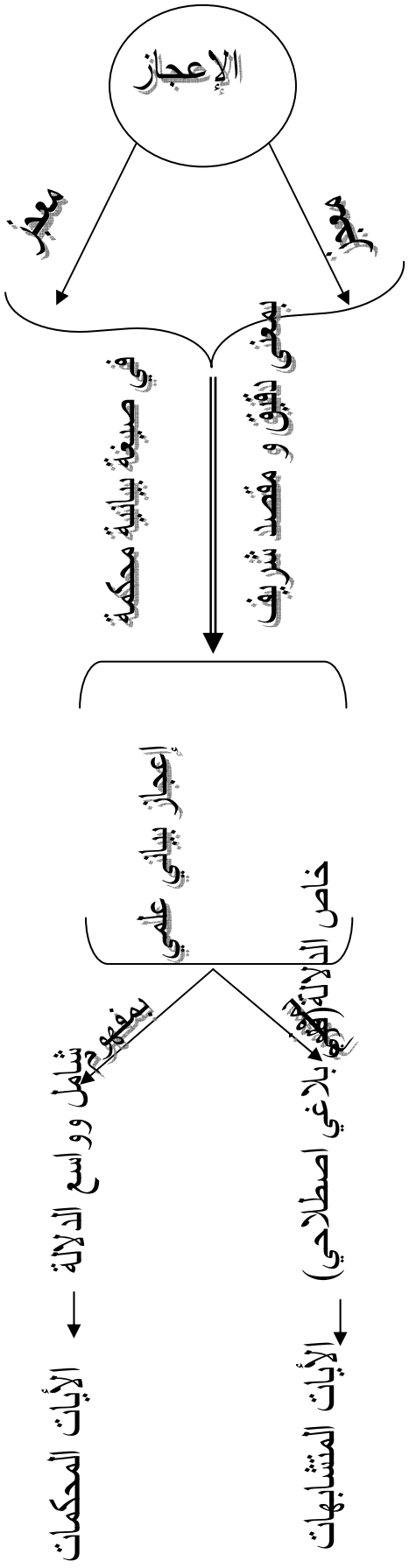

فاتّساع سلطان القرآن على القلوب أعظم دليل على اتّساع مدى الإعجاز القرآني مضافاً إليه اقتناعاً البيان وهذا ما يشكّل القالب الّذي تحدّى بـه الله سبحانه وتعالـى الثّقلين قاطبةً فعجزوا عن المباراة لهذا التّحدي البياني.

نستنتج ممّا سبق أنَّ البيـان في الحقيقة هو اسمٌ جامعٌ وشاملٌ لكلِّ ما أبان عن الأشياء والمعاني ظاهرها وخفيَّها مصوغاً وفق سنن العرب فـي كلامها فتقسيم البلاغـة إلى معانٍ وبيان وبديـع قتلٌ لروح البيـان العربي وتعطيـلٌ لوظيفتـه في صورته ومفهومه الواسع والعودة للبحث في هذا المجال مساهمةً في إقامة بنان البيان الّذي أنزل به القرآن وحافظ على اللُّغة العربيَّة في ظلّ البحث عن الحقيقة العلميّة المبلورة في صيغة بيانية تخص المقام عن القصد معا على غير ما نجده فـي كلام العرب كأن يغيب المقام عن المقصد على عكس ما نجده في القرآن من تلازم بينهما وهذا لا شك سرٌّ من أسرار إعجاز البيان القرآنـي، فالمقاصد العامّة هـي ما يساهم في الحفاظ على النّظام لجلب المصالح ودرءِ المفاسد وإقامةِ المساواة، أمَّا المقال فهو ما تقوم عليه البلاغة وهو ما يعبّر عنه بمقتضى الحال: يقول الأستاذ عمّار ساسي:« كلاهما يملك الدّور الأساس في تحديد المدلول وتصويب المعنى وعلى هذا السيّاق والمعنى هـي آيات القرآن الكريم المحكمات والمتشابهات ولنا في ذلك الأمثلة الكثيرة من القرآن »[31] ص43.

2. 3. 2. ربط النّحو بالبلاغــة

من خلال ما تحدّثنا في الفصول السّابقة نلاحظ أنّ البيان وعاءٌ للإعجاز، والبلاغة وسيلة إليه وهذا ما يظهر جليًّا في مبدأ ربط النّحو بالبلاغة من أجل بلورة الصّيغة البيانيّة في اللّسان العربي، الّذي تحكّم به في شكلها ومضمونها إذ أنّ للّسان العربيّ كامل السيطرة على استقامة النّصوص وذلك بتوخي معاني النّحو فيها بين الكلم.

ولا يتّضح مفهوم ارتباط النّحو بالبلاغة العربيّة إلاّ إذا تتّبعنا آراء عبد القاهر الجرجانـي في كلّ ما يتعلّق بنظريّته اللّغويـة في محاولة بلـورة معنى الارتباط وأهميّة ذلك في اللّغة والوقوف على معاني الإعجاز، فالجرجاني يبيّن من خلال اهتمامه بتوضيح العلاقة الوطيدة بين النّحو والبلاغة بنظم الكلم وتركيزه على فهم حقيقة النّظم، فالكلمة المفردة إن تجعل في سيّاق من الكلام يفهم به المقصود صراحةً أو تقديراً فهذا لا يزيد عن كونها صوتاً إذْ أنّ الفائدة الخبريّة والإبلاغيّة لم تتمّ والاتّصال انعدم والتّفاهم انتفى.

لقد أدرك عبد القاهر الجرجاني أنّ الإعجاز القرآنـي لا يكمن في ألفاظ القرآن لأنّ ألفاظه هي ألفاظ العربية نفسها، ولا يعجز أحد من العرب من أن يأتي بلفظٍ من ألفاظه، وقد« ربط الجرجاني العمليّة النّظميّة من حيث هي المآل النّهائي الّذي تتوخّـاه الأدبيّـة وتتبلوّر فيه بعلم النّحو إدراكاً منه أنّ النّحو قبل أن يكون مسطرة تعيين شكلي هو روح بنائيّة تتّسق فعاليّتها مع نظام العقل في إدراك الوقـائع الكلاميّة، وتترابط على منواله المنظومة اللّفظية في وظيفتها »[83] ص28. فهو لا يتردّد في أن يجرد اللّفظ من المعنى، ويسلبه كلَّ مزيّةٍ ويمحّصه هيئة تقبل كلّ وضع تبعاً للمعنى، فما الحسن والفصاحة للمفردات إنّما بالنّظر إليها وهي مجاورة لأخواتها في التّركيب فإذا تأمّلنا في قوله تعالى:« وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، وغيـض الماء، وقضي الأمـر، واستوى على الجودي وقيل بعداً للقوم الظّالمين » فإنّ الإعجاز يبدو فيها مبهراً وقد وقف عبد القاهر الجرجاني عند هذه الآيـة في كتـابه " دلائل الإعجاز" فبيّن أنّ الأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ومجاورة الأولى للثّانية، وإنّ الفضل ناتج ما بين الكلم والحاصل من مجموعها بما فيه الفائدة الجمّة وهي قمَّة ما توصّلت إليه الدّراسات الأسلوبيّة الحديثة.

« وهكذا ينفرد الجرجاني، فيغدو مجالاً عنيداً مقتفياً منهج المتكلّمين معتمداً المنطق والعقل معدّدًا الوجوه الممكنة للإعجاز مفنّدًا له، منتهياً إلى غايته الّتي سخّر لها كلّ الأدلّة الّتي عكف منها ليقرّر في نهاية المطاف أنّ الإعجاز يكمن في النّظم، ونفى نفياً قاطعاً أن يكون فيما يسمّى بمتن اللّغة ممّا طريقه المعجم ولا فيما طريقه الإعراب الّذي يرسم صحّة التّركيب في الكلام»[84] ص178. فالجرجاني يبحث بدقّة متناهيّة عن العلائق بين المعاني الجزئيّة« الّتي تستدعـي مسألة حسّاسة يشكّل الموقف منها الأساس الّذي يحدّد المواقف الأخرى المتعلّقة بسائر المستويات النّقدية فاللّفظ والمعنى يشكّلان نسغ الحياة الجاري فـي عروق الكلام [85] ص113.

من خلال هذا القول نلاحظ أنّ عبد القاهـر الجرجاني يركّز بشدّة على العلاقة بين البنيّة المعنويّة والبنيَّة اللّفظِية بما يتوافقُ مع مذهبه الفكري والإعجازي الّذي ينطلقُ من خلفيّة ترئسيه للمعنى.

ويلخِّصُ الدّكتور جعفر دكّ الباب هذا المبدأ(ربط النّحو بالبلاغة) بقوله:«... أدّت تلك الظروف الموضوعيّة إلى بروز حاجة ماسَّة للخروج عن الوضع الّذي آلت إليه الدِّراسة النحويَّة المتخصّصة، فعمد الإمام السيرافي- وهو معتزلي- إلى شرح الكتاب مؤكّدًا جانب الوظيفة الإبلاغية للّغة وظهر مع أبي علي الفارسي- وهو معتزلي أيضاً –اتّجاه جديد أخذ يستعرض الآراء في كلّ مسألة ويأخذ ما يراه صوابًا منه دون التّقيد المسبق بآراء معيّنة- وتابع تلميذه- ابن جني- وهو

معتزلي- هذا الخطّ وعمّقه وشعر ابن جني بأنّه من أجل الخروج من هذا الوضع الّذي وصلت إليه الدّراسة النحويّة المتخصصّة يجب استكشاف النّظام العامّ للّغة وراح في سبيل ذلك يبحث في كتابه الخصائص عن الأصول العامّة للنّحو، وأمّا الإمام عبد القاهر الجرجاني وهو متكلِّمٌ على مذهب الأشعري فقد بلغ السّير في طريق استكشاف النّظام العامّ للّغة وتصدّى بحزم للتيّار الّذي اهتمّ باللّفظ دون المعنى وأكّد الوظيفة الإبلاغيّة التّي تؤدّيها اللّغة، ودعا إلى عدم فصل البلاغة عن النّحو فكان كتابه - دلائل الإعجاز- بداية مرحلة جديدة في تاريخ علوم اللّغة العربيّة هي مرحلة تأكيد الوظيفة الإبلاغية للّغة عن طريق ربط النّحو بالبلاغة..." [86] ص23.

في هذه الفقرة يلخّص الدّكتور جعفر دكّ الباب مراحل تبلوّر مبدأ ربط النّحو بالبلاغة والدّواعي الّتي أدّت لظهور وبروز معالمَه والّتي يعود إليها الفضل والشَّرف حينما« أسند فيها المسند إلى المسند إليه حتّى نظمت الجملة أحسن النّظم، وبنى النّص أحسن بناء فحقّق الغرض وحصلت الفائدة الجمّة، وهي قمّة ما توصّلت إليه الدّراسات الأسلوبيّة الحديثة و قد يخطئ المحلّلون الباحثون حيث ينسبون جماليّة النّص في اللّسان العربي ومزيّته إلى الاستعارة والكناية والتّشبيه وسائر ضروب المجاز»[87] ص73.

2. 4.خلاصـة

من خلال تطرّقنا لمفهوم البيان في مجالات مختلفة وبتتبّعنا في ذلك التّرتيب الزّمني من السّابق إلى اللاّحق من أجل استقصاء الإضافات التّي طرأت على المصطلح نلاحظ أنّ(مصطلح البيان) في عمومه اتّخذ مفهوم الكشف والظهور والإيضاح والفصاحة وبمرور الزّمن وبعد أن تشعبت الدّراسات في العلوم العربيّة وتطورت أخذ المصطلح مفهوم جزء من أجزاء البلاغـة، فحدّ بذلك اتّساعه وشموله إلاّ أنَّ البيان في حقيقته اسم جامع ومدلول واسع وعلم قائم بذاته يعدّ بذلك في أعلى درجات الفصاحة ومفتاحاً للعلوم العربيَّة فهو الوعاء مقارنة بالبلاغة التّي تعتبر وسيلة له وهذا ما يظهر جليًّا في البيان القرآني الّذي يحمل خصائص بنيّة العربيّة وموضحاً لنظامها اللّغوي ومبيّنا للوظيفة الأساسيّة للّغة ألا وهي الإبلاغ.

إنّ للبيان الفضل في الكشف عن دور المقصد في تحديد التّعريف العلمي له والّذي تتمّ المحافظة من خلاله على علم فقه المقاصد.

ونشير كذلك إلى أنّ الإعجاز البياني أسبق من الإعجاز العلمي بمفهوم الكشوفات الجديدة، لأنَّ العرب كانوا آنئذ متميّزين بالفصاحة فظهرت بذلك عصمتها في السيَّاق القرآني الّذي أسكت كلّ مجادل ومهاتر. فحقيقة البيان لا تستقى إلاّ من معين اللّسان العربي المبيـن ومن القرآن الكريم، ومن آثار أئمّة البلاغة والبيان العربي.

الفصل 3

المتشابه

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيرًا وبشيرًا بكلامٍ عربيّ فصيح، وذلك من حكمته جلّ شأنه أن جعل القرآن جلّه محكماً فجعلها أمّ الكتاب الّتي لا يقع الاختلاف في فهمها سلامةً من التّنازع والفرقة وصيانة لكيانها، قال سبحانه وتعالى: « كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيّا لقوم يعلمون»[42]، أمّا بعضها الآخر فجعله الله من المتشابه لحكمة.

والمتشابه في القرآن الكريم قسمان: متشابه لفظي ويطلق عليه في علوم القرآن" علم الآيات المتشابهات" أو"علم المتشابه" وهذا قسم من علوم التّفسير، أمّا القسم الآخر فهو"المحكم والمتشابه" ويقصد بالمتشابه هنا آيات الصّفات والأفعال وغيرها ممّا يصعب تحديد كنهها، وجميع الأئمة قديماً وحديثاً الّذين صنّفوا في المتشابه راعوا هذا التّقسيم، على سبيل المثال نجد الإمام السيوطي في كتابه: " الإتّقان في علوم القرآن " يخصّص النّوع الرّابع والخمسون في الآيات المشتبهات، ونلاحظ أن أغلب التّصنيف في الضّرب الثّاني من المتشابه المقابل للمحكم وذلك راجع إلى أنّ أهل الفرق يتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة بالتّوجيه الّذي يخدم أفكارهم وأهواءهم ونظريّاتهم فكان هؤلاء خطرًا على المسلمين من خصومهم فبدأت بذلك الملل والنّحل والفرق تظهر، وأخذ كلّ فريق يؤوّل الكتاب تأويلاً يوافق مشربه ولمّا كانت هذه الفرق جلّها ذات أصل سيّاسي فقد امتزج تأويلهم للقرآن بالعمل السياسي وتكاثر هذا الفكر حتى بلغ القمّة في القرنين الرّابع والخامس الهجريّ فاستوجب ذلك انتشار الزندقة وأصحاب الفتن الذين تقوّلوا على الله ما لم يقله، فاستدعى كلّ ذلك أن يقف الجهابذة والأئمّة الأعلام بالمرصاد، وذلك ببيان القرآن وإظهار إعجازه وكشف غموضه وتقريب متشابهه وذلك كلّه للحفاظ على الشّريعة ووقايتها من كلّ مفسد ومنافق عليم اللّسان يجادل بمتشابه القرآن، فكشفوا عن زيفهم وهدموا معاقل باطلهم، ونذكر من بين هؤلاء الجهابذة الّذين سخّروا أنفسهم للدّفاع عن القرآن وتوضيح متشابهه في القرن الرّابع والخامس الهجري.

*أبو الحسن الأشعري (ت: 333هـ).

*أبو المنصور الماتردي (ت: 333هـ).

* الإمام الخطابي (ت: 338هـ).

*عبد القاهر الجرجاني (ت: 491هـ).

*الإمام الكرماني (ت: 500هـ).

- وهكذا كثرت المؤلّفات في هذا النّوع من المتشابه.

3. 1. ماهيّة المحكم و المتشابه

3. 1. 1. تعريف المحكم

قال أبو عبد الله النكرباذي فيما نقله عن الإمام السيوطي في الإتّقان في تعليل تقديم العلم بالمحكم. لأنّ المحكم أصل أسبق، ولأنّ المحكم يعلم مفصلاً والمتشابه لا يعلم إلا مجملاً.

وقوله تعالى:« هن أمّ الكتاب» إخبار عن الآيات المحكمات بصيغة المفرد والأمر الجامع الّذي يقصد والأصل المتعيّن منه[88] ص179.

المحكم مستمدّ لغة من قول العرب: حاكمت وحكمت وأحكمت بمعنى: رددت، ومنعت، قال الرّاغب: "حكم أصله منع منعًا لإصلاح"[3] ص181، والمحكم على وزن مفعل بمعنى أحكم فهو محكم وفي الحديث في صفة القرآن:" وهو الذكر الحكيم أي المحاكم لكم وعليكم أو هو المحكم الّذي لا اختلاف فيه، ولا اضطراب وهو ما لم يكن متشابهًا لأنّه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره والعرب تقول حكمت أو أحكمت بمعنى رددت ومنعت، فالحكم إنّما أطلق عليه الاسم لأنّه من المهام الّتي تناط به منع الظلم، وحَكَمَةُ اللّجام إنّما سميّت كذلك لأنّها تمنع الفرس عن الاضطراب وهم يصفون البناء بأنّه محكم إذا كان وثيقا يمنع من يتعرّض له، ويطلقون الحكمة على التدبير وعمق التّفكير لأنّه يمنع صاحبه ممّا لا ينبغي له، ولا يليق به.

وفي حديث ابن عباس قرأت المحكم على مهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم، يريد المفصّل من القرآن لأنّه لم ينسخ منه شيء، وقيل هو ما لم يكن متشابهًا لأنّه أحكم بيانه بنفسه، ولم يفتقر إلى غيره[5] ص85.

لقد ذكر العلماء للمحكم تعريفات كثيرة فيما يخصّ مفهومه الاصطلاحي: فقالوا هو:

- ما اتّضح معناه، واستقلّ بنفسه.

- ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللّفظ، ولا من حيث المعنى، وهو المشار إليه في المعنى اللّغوي[89] ص205.

وممّا سبق من التعريفات اللّغوية والاصطلاحية نلاحظ أن مشتقّات حكم تشترك في معنى واحد، وهو المنع حسيّاً أو معنوياً ممّا لا يليق ولتقويم ما أعوجّ ولإصلاح ما فسد.

2.1.3. تعريف المتشابه:

ذكرت مادّة(ش. ب.هـ) في كتاب اللّه العزيز الحميد في تسع آيات كريمة منها ثلاث آيات في سورة البقرة وهي:

- « كلّما رزقوا منها من ثمرةٍ قالوا هذا الّذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها»[16].
- « إنّ البقر تشابه علينا»[16].
- « كذلك قال الّذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم»[16].

ومنها آية في سورة آل عمران:

- « وهو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وآخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه »[56].

ومنها آية في سورة النّساء:

- « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم »[47].

ومنها آيتان في سورة الأنعام:

- « وجنّات من أعناب والزّيتون والرمّان مشتبها وغير متشابه »[23].
- « والنّخل والزّرع مختلفا أكله والزّيتون والرّمان متشابهاً وغير متشابهٍ »[23]

ومنها آية في سورة الرّعد:

- « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم »[90].

ومنها آية في سورة الزّمر:

- « الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله »[80].يقول الأصفهاني في المفردات:« التّشبه والشّبه والتّشبيه حقيقتهما في المماثلة من جهة الكيفيّة كاللّون والطّعم وكالعدالة والظّلم، والشّبهة هو أن لا يتميّز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التّشابه عينًا كان أو معنًى »، قال: « وأتوا به متشابهاً» أي يشبه بعضه بعضًا لونًا لا طعمًا وحقيقةً، وقيل متماثلاً في الكمال والجودة، وقرئ قولـه:« مشتبهًا وغير متشابه » وقرئ:« متشابهًا » جميعًا ومعناهما متقاربان، وقال: « إنّ البقر تشابه علينا» في صيغة الماضي فجعل لفظه مذكّرا. وقوله:« تشابهت قلوبهم » أيّ في الغيّ والجهالة، قال:« وأخر متشابهات » والمتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره إمّا من حيث اللّفظ أو من حيث المعنى، فقال الفقهاء المتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن مراده وحقيقة ذلك أن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق ومحكم على وجه ومتشابه من وجه. فالمتشابه في الجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللّفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما والمتشابه من جهة اللّفظ ضربان: أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك إمّا من جهة غرابته نحو الأبّ ويَزِّفون، وإمّا من جهة مشاركته في اللّفظ كاليد والعين، والثّاني يرجع إلى جملة الكلام المركّب وذلك ثلاثة أضرب، ضرب لاختصار الكلام نحو:« وإن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النّساء » وضرب لبسط الكلام نحو:« ليس كمثله شيء » لأنّه لو قيل ليس كمثله شيء كان أظهر للسّامع، وضرب لنظم الكلام نحو: « أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا قيّمًا » تقديره الكتـاب قيّمًا ولم يجعل له عوجًا، والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف يوم القيامة، فإنّ تلك الصفات لا تتصوّر لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه أو لم يكن من جنس من جنسه والمتشابه من جهة المعنى واللّفظ جميعا خمسة أضرب: الأول من جهة الكميّة كالعموم والخصوص نحو:« اقتلوا المشركين» والثاني من جهة الكيفية كالوجـوب والندب نحو: « فانكحوا ما طاب لكم » والثالث: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو:« اتقوا الله حقّ تقاته »، والرابع: من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها نحو:« وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها» وقوله:« إنّما النّسيء زيادة في الكفر» فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذّر عليه معرفة تفسير هذه الآية، والخامس: من جهة الشروط التّي بها يصحّ

الفعل أو يفسد كشروط الصّلاة والنّكاح، وهذه الجملة إذا تصورت علم أنّ كل ما ذكره المفسّرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التّقاسيم نحو قول من قال المتشابه "آلم"، وقول قتادة: المحكم النّاسخ والمتشابه المنسوخ، وقول الأصمّ المحكم، ما أجمع على تأويله، والمتشابه ما اختلف فيه. ثمّ جميع المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل للوقوف عليه كوقت الساعة وخروج دابّة الأرض وكيفيّة الدّابة ونحو ذلك، وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلقة، وضرب متردّد بين الأمرين يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم، وهو الضرب المشار إليه بقوله عليه السّلام في علي رضي الله عنه:« اللّهم فقّهه في الدّين وعلّمه التّأويل » وقوله لابن عبّاس مثل ذلك.

وإذا عرفت هذه الجملة اعلم أنّ الوقف على قوله:« وما يعلم تأويله إلاّ الله » ووصله بقوله: « والرّاسخون في العلم » جائزٌ وأنّ لكلّ واحد منهما وجهًا حسبما دلّ عليه التّفصيل المتقدّم، وقوله: « الله نزّل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا » فإنّه يعني ما يشبه بعضه بعضًا في الإحكام والحكمة واستقامة النّظم، وقوله: « ولكن شبّه لهم » أي مثّل لهم من حسبوه إيّاه، والشّبه من الجواهر ما يشبه لونه لون الذّهب"[03] ص254.

أمّا ابن منظور فقد أورد ما يلي:« الشّبه والشّبه والشّبيه »: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشّيء الشيء: ماثله، وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم، وأشبه الرّجل أمّه، وذلك إذا عجز وضعف، وأشبهت فلانًا وشابهته واشتبه عليّ وتشابه الشّيئان واشتبها: أشبه كلّ واحد منها صاحبه، وفي التّنزيل: مشتبهاً وغير متشابه. وشبهته إيّاه وشبّهه به مثله: والمشتبهات من الأمور: المشكلات، والمتشابهات، المتماثلات، وتشبه فلان بكذا، والتّشبيه: التّمثيل، وفي حديث حذيفة: وذكر فتنة فقال تشبه مقبلة وتبين مدبرة، معنى ذلك أن الفتنة إذا أقبلت شبهت على القوم وأرتهم أنّهم على الحقّ حتّى يدخلوا فيها و يركبوا ما لا يحلّ، فإذا أدبرت وانقضت بأن أمرها فعلم من دخل فيها أنه كان على الخطأ، والشّبه: الالتباس، والصور مشتبهة ومتشبهة: مشكلة يشبه بعضها بعضا، وبينهم أشباه أي أشباه يتشابهون فيها، وفي التّنزيل العزيز« منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وآخر متشابهات »، قيل معناه يشبه بعضها بعضًا، قال أبو منصور: وقد اختلف المفسّرون في تفسير قوله « وأخر متشابهات » فرويّ عن ابن عبّاس أنّه قال: المتشابهات:« ألم »، وما اشتبه على اليهود من هذه ونحوها، قال أبو منصور: وهذا لو كان صحيحا عن ابن عبّاس كان مسلمًا له، ولكن أهل المعرفة بالأخبار، وهنوا إسناده، وكان الفرّاء يذهب إلى ما رويَّ عن ابن عبّاس، ورويّ عن الضحّاك أنّه قال: المحكمات ما لم ينسخ والمتشابهات ما قد نسخ، وقال غيره: المتشابهات:تعني الآيات التي نزلت

في ذكر القيامة والبعث وهي على أضرب، ضرب يتمثّل في قوله تعالى:« وقال الّذين كفروا هل ندلّكم على رجل ينبّؤكم إذا مزّقتم كلّ ممزّق إنّكم لفي خلق جديد أفترى على الله كذبًا أم به جنّة» وضرب قوله: وقالوا:« أئذا متنا وكنّا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأوّلون» فهذا الّذي تشابه عليهم، فأعلمهم الله الوجه الّذي ينبغي أن يستدلّوا به على أنَّ هذا المتشابه عليهم كالظّاهر لو تدبّروه فقال: وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم الّذي جعل لكم من الشّجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون، أو ليس الّذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم، أي إذا كنتم أقررتم بالإنشاء والابتداء فيما تنكرون من البعث والنّشور، وهو قول كثير من أهل العلم وهو بيّن واضح، وممّا يدلّ على هذا القول قوله عزّ وجلّ:« فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله »، أي أنّهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم فأعلم الله أنّ تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ، والدّليل على ذلك قوله: هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتي تأويله، يريد قيام السّاعة وما وعدوا من البعث والنّشور، والله أعلم، وأمّا قوله:« وأتوا به متشابهاً »، فإنّ أهل اللّغة قالوا معنى متشابهاً يشبه بعضه بعضاً في الجودة والحسن وقال المفسّرون: متشابها يشبه بعضه بعضًا في الصّورة ويختلف في الطعم، ودليل المفسرين قوله تعالى:« هذا الّذي رزقنا من قبل » لأنّ صورته الصّورة الأولى، ولكنّ اختلاف الطعم مع اتّفاق الصورة أبلغ وأغرب عند الخلق، لو رأيت تفّاحًا فيه طعم كلّ الفاكهة لكان نهايةً في العجب، وفي الحديث في صفة القرآن آمنوا بمتشابهه واعلموا بمحكمه، المتشابه: ما لم يلتق معناه مع لفظه، وهو على ضربين: أحدهما إذا ردّ إلى المحكم عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته، فالمتتبّع له مبتغ للفتنة لأنّه لا يكاد ينتهي إلى شيء تسكن نفسه إليه، وتقول في فلان شبه من فلان، وهو شبه، وشبيهه[5] ص394.

وجاء في قوله كذلك: وسألته عن قوله تعالى:« وأتوا به متشابهًا »، فقال: ليس من الاشتباه المشكل إنّما هو من التّشابه الذّي هو بمعنى الاستواء، وقال اللّيث: المشتبهات من الأمور المشكلات، وتقول: شبّهت عليّ فلان إذا خلط عليك، واشتبه علي الشّيء، تقول: أشبه فلان أباه وأنت مثله في الشّبه والشّبيه[5] ص394.

وجاء في معجم الصّحاح للرّازي أنّ:« ش. ب. هـ- أشبه وشبّه لغتان بمعنى، يقال هذا شبه أي شبيه وبينهما- شبه- بالتّحريك والجمع مشابه على غير قياس كما قالوا محاسن ومذاكير و(الشبه) الالتباس و(المشتبهات) من الأمور المشكلات، و(المتشابهات) المتماثلات، و(التشبيه) التّمثيل و(أشبه) فلانًا و(شابهه) و(اشتبه) عليه الشّيء »[53] ص328.

من خلال هذه التعاريف اللّغوية الثلاثة نلاحظ أنّ كلاً من الأصفهاني وابن منظور وعبد القادر الرازي قد تطرق إلى تعريفين مهمّين، هما المتماثل والمشكل الذّي ينبئ ظاهره عن غير مراده، أمّا ما يهمّنا من هذين التّعريفين فهو ما يخصّ التّعريف الثّاني الذّي يعني المشكل والمبهم الّذي لا يظهر معناه مباشرة.

ويقول ابن قتيبة:« وأصل التّشابه » أن يشبه اللّفظ اللّفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان، قال الله عزّ وجل في وصف ثمر الجنّة:« وأوتوا به متشابهًا » أي متّفق المناظر، مختلف الطّعوم وقال:« تشابهت قلوبهم » أي يشبه بعضها بعضًا في الكفر والقسوة، ومنه يقال: اشتبه عليَّ الأمر إذا أشبه غيره فلم تكد تفرّق بينهما،...[91] ص101.

وقد جاء هذا المفهوم في القرآن الكريم وذلك وصفًا له حيث قال الله تعالى:« الله نزّل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا»، فقد تشابهت آياته في التنزّه عن كلّ وصف يلحقه بكلام المخلوقات وتماثلت في كلّ وصف يوصف به كلام رب العالمين موحيّة أنّها تنزيل من حكيم حميد.

وقد يكون التّشابه بمعنى الالتباس أو الإشكال، قال ابن قتيبة:« وشبّهت عليّ »، إذا لبّست الحق بالباطل... ومثل المتشابه« المشكل » وسميّ مشكلاً لأنّه أشكل أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله[91] ص102.

فيلحظ عند وجود المماثلة يستلزم وجود الالتباس والّذي سببه صعوبة التّمييز وعدم التّفريق بين المتشابهين، والمتشابه الّذي هو قسيم المحكم جاءت فيه أقوال منها:

- المتشابه: ما استأثر الله بعلمه كقيام السّاعة، وخروج الدجّال والحروف المقطّعة في أوائل السّور.

- المتشابه: ما لا يستقلّ بنفسه إلاّ بردّه إلى غيره.

- المتشابه: ما لا يدرك إلاّ بالتّأويل[92] ص346.

ويقول عبد الوهّاب خلاّف:" المراد بالمتشابه في اصطلاح الأصوليّين، اللّفظ الّذي لا تدل صيغته بنفسها على المراد منه، ولا توجد قرائن خارجية تبيّنه، واستأثر الشّارع بعلمه فلم يفسّره"[93] ص175.

ثمّ يضيف شارحا هذا التّعريف بأنّ المتشابه بهذا المعنى ليس في النّصوص التّشريعيّة منه شيء، فلا يوجد في آيات الأحكام أو أحاديث الأحكام لفظ متشابه لا سبيل إلى علم المراد منه، ولا يوجد في مواضع من النّصوص القرآنيّة كالحروف المقطّعة الموجودة في أوائل السّور، فهذه الحروف الهجائيّة المقطّعة في أوائل بعض السّور لا تدلّ بنفسها على المراد منها، ولم يفسّر الله سبحانه وتعالى ما أراده منها فهو أعلم بمراده وكذا الآيات الّتي يفهم من ظاهرها أنّ الله عزّ وجلّ يشبه خلقه في بعض الصفات الّتي ورد ذكرها في بعض الآيات: كاليد والعين، والمكان مثلاً كقوله تعالى:" يد الله فوق أيديهم " وقوله:" واصنع الفلك بأعيننا ووحينا "... فهذه الآيات كذلك في ظاهرها تشبيه الخالق بخلقه لا يمكن أن يفهم منها معنى ألفاظها اللّغوية، لأنّ الله سبحانه وتعالى منزّه عــن اليد والعين، والمــكان وكلّ ما يشبه خلقه، فليس كمثله شيء وهو السّميع البصير"[93] ص176.

وقال الكرماني في كتابه البرهان: التّشابه له معنيان الأوّل بمعنى المماثلة أمّا الثّاني فهو الالتباس أو الإشكال فالمتشابه هو ما احتاج فهمه إلى تأمّل وتدبّر لأنّ لفظه يحتمل أكثر من معنى أو لأنّه يدلّ على بعض ما استأثر الله تعالى بعلمه مثل قيام الساعة، أو لأنّه على ما يحسن فيه تفويض علمه إلى الله تعالى مثل آيات الصّفات والأفعال"[94] ص41.

والملاحظ في اختلاف معاني المتشابه أنها ليست من اختلاف التّضاد بل هي من اختلاف التنوّع الّذي يجوز أن تحتمله الآية السابعة من سورة آل عمران فالعلماء متّفقون على أنَّ المحكم هو الواضح الدّلالة والمتشابه هو الخفيّ الدّلالة غير أنّهم اختلفوا: هل يمكن معرفة المتشابه؟ وبصيغة أخرى هل يمكن حصر الآراء المختلفة حول إمكانية معرفة المتشابــه وعدم إمكانيّة معرفته؟ للإجابة عن هذا التساؤل نجد ثلاثة اتّجاهات:

الاتّجاه الأوّل: يرى عدم إمكانيّة تعيّين المتشابه ويعتبره من الأمور الّتي استأثر الله تعالى بعلمها ولا سبيل إلى معرفة تحديد المراد منها استنادًا إلى قوله تعالى:« وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا »، إنّ هذا الاتجاه يوجب الوقف عند لفظ الجلالة(الله) ويرى أنّ الواو ليست للعطف وإنّما هي للاستئناف، قال السيوطي:« ويدلّ على صحة مذهب الأكثرين »، ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره والحاكم في مستدركه عن ابن عبّاس أنّه كان يقرأ، « وما يعلم تأويله إلاّ الله ويقول الرّاسخون في العلم آمنّا به » فهذا يدلّ على أنّ الواو للاستئناف لأنّ هذه الرّواية وإن لم تثبت بها القراءة، فأقلّ درجتها أن تكون خبرًا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن" ابن عبّاس" فيقدّم كلامه في ذلك على من دونه، ويؤيّد ذلك أنّ الآية دلّت على من دونه،

ويؤيّد ذلك أنّ الآية دلّت على ذمّ متّبعي المتشابه ووصفهم بالزّيغ وابتغاء الفتنة وعلى مدح الذين فوّضوا العلم إلى الله...[92] ص347.

الاتّجاه الثّاني: يرى إمكانيّة معرفة المتشابه ويقرّر أنّه لابدّ أن يكون في جملة الرّاسخين في العلم من يعلم المتشابه، ويعتبرون أنّ الواو للعطف وأنّ الوقف في قوله تعالى:« والرّاسخون في العلم » فهذا الاتّجاه إذن يذهب إلى أن ليس في القرآن ما لا يمكن معرفته، يقول ابن قتيبة:« ولسنا ممّن يزعم أنّ المتشابه في القرآن لا يعلمه الرّاسخون في العلم... ولم ينزل الله شيئا من القرآن إلاّ لينفع به عباده ويدل به على معنى أراده فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره لازمنا للطّاعن مقال، وتعلّق علينا بعلّة »[91] ص99، وقال في موضع آخر:« ولو لم يكن للرّاسخين في العلم حظٌّ في المتشابه» إلاّ أن يقولوا:« آمنّا به كلّ من عند ربّنا » لم يكن للرّاسخين فضل على المتعلّمين، بل على جهلة المسلمين، لأنّهم جميعًا يقولون:« آمنّا به كلٌّ من عند ربِّنا ».

الاتّجاه الثّالث: يرى أنّ التوفيق بين الاتّجاهين ممكن فهؤلاء لا ينكرون أن يكون في المتشابه ما لم يعلمه إلاّ الله، ويكون الغرض منه الإيمان به وأنّه من عند الله، كما أنّه لا ينكر أن من المتشابه ما يعلمه ألوا العلم، وبالتّالي: إنّ" الواو" عند هؤلاء تحتمل أن تكون عاطفة وتحتمل أن تكون استئنافية يقول محي الدين الدرويش:" والقول الفصل فيها: يجوز أن تكون الواو عاطفة والراسخون معطوفة يعلمه إلاّ الراسخون على الله" والمعنى: لا يهتدي إلى تأويله إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم وتمكّنوا منه، ويجوز أن يتمّ الوقف على قوله(إلاّ الله) وتكون الواو استئنافية والرّاسخون مبتدأ خبره جملة" يقولون" وعلى القول الأوّل تكون جملة يقولون حالية، أي قائلين وقد نشأ عن هذا الاختلاف في التّفسير انقسام العلماء إلى فريقين أصحاب تأويل وأصحاب ظاهر"[95] ص394. ويتأكّد هذا الرّأي ويتقوّى بما أورده من تقسيمه المتشابه من حيث معرفته ثلاثة أضرب.

- ضرب لا سبيل للوقوف عليه ولا يمكن معرفته وهو ممّا استأثر الله تعالى بعلمه، وهذا كوقت السّاعة وخروج الدّابة وظهور الدجّال والحروف المقطّعة وما يوهم التّشبيه من صفات الله.

- ضرب يمكن معرفته و للإنسان سبيل إلى الوقوف عليه، وهذا ما يوجد في القرآن من ألفاظ غريبة وأحكام مغلقة.

- ضرب متردّد بين الأمرين، يجوز أن يختصّ بمعرفته بعض الرّاسخين في العلم ويخفى على من دونهم وهو الضّرب المشار إليه بدعائه لابن عبّاس رضي الله عنه بالقول:« اللّهم علّمه التّأويل وفقّهه في الدّين».

والذي يمكن ملاحظته أنّ الرّأي الثّالث أقرب للعقل والجمع بين الأدلّة والأخذ بها جميعًا أولى من الأخذ ببعض وترك البعض الآخر كما هو معلوم عند الأصوليّين، وذلك لأنّ هذا الرّأي انطلق من تقسيم المتشابه وتحديد معانيه على حسب السيّاق والمقام، فالواقع يثبت أنّ في القرآن غوامض لا يعلم حقيقة كنهها إلاّ الله عزّ وجلّ، كما يوجد غوامض خفيّة يمكن إزالتها من قبل من رسخت أقدامهم في العلم بمشيئة الله.

3. 1.3. الفرق بين المحكم والمتشابه:

لقد أوردنا فيما سبق تعريف المحكم والمتشابه لغةً واصطلاحًا فلاحظنا من خلال تعريفاتهما أنّ الفرق بينهما بيّن واضح ونستدلّ في ذلك بآراء الباحثين والعلماء في هذا الباب:فقد أشرنا سابقاً إلى أنّ الإحكام لغةً يعني: الإتقان البالغ ومنه البناء المحكم الّذي أتقن. فلا يتطرّق إليه الخلل أو الفساد، أمّا اصطلاحًا فقد اختلف الأصوليّون في تعريفه إذ أوردوا له تعاريف كثيرة، فذكر السيوطي في كتابه الإتقان حوالي سبعةً وعشرين قولاً، أمّا المتشابه فمأخوذ من الشّبه، وهو التّماثل بين شيئين أو أشياء، ولمّا كان التّماثل بين الأشياء يؤدّي إلى الشكّ والحيرة ويوقع في الالتباس، توسعوا في اللّفظ، وأطلقوا عليه اسم "المتشابه"، يقال: اشتبه الأمر عليه، أي التبس عليه، أمّا اصطلاحًا فقد اختلف فيه أيضًا.

ولمّا كان للإحكام والمتشابه معانٍ متعدّدة، لغةً واصطلاحًا، وهذه المعاني تصلح في موضع لا تصلح فيه المعاني الأخرى، ولكلّ كلمة مع صاحبتها مقام، فقد ورد في القرآن الكريم ثلاث آيات:**الأولى**: تدلّ على أنّ القرآن محكم كلّه، هي قوله تعالى:« آلر كتاب أحكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير»[14].

الثانية: تدل على أنّ القرآن متشابه كلّه، وهي قوله تعالى:« الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم»[80].

الثالثة: تدلّ على أنّ القرآن بعضه محكم، وبعضه متشابه، هي قوله تعالى:« هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب وآخر متشابهات »[56].

لقد حمل الإحكام في الآية الأولى –الآية الأولى من سورة هود- معنى الإتقان، وأحكمه أتقنه، ومنعه من الفساد، فالقرآن بهذا المعنى كلّه محكم أي نظمت آياته نظماً فلا يطرأ عليه شيء يخلّ بفصاحته وبلاغته، وذلك هو الإحكام من جهة اللّفظ والصيّاغة، وكذلك من جهة المعاني فلا يلحقه تناقض، ولا يوصف خبر منه بكذب، بل كلّ تشريع فيه منطو على مصلحة وحكمة، ولمّا كان من

معاني التّشابه التّماثل والالتباس دلت الآية الثانية- الآية الثالثة والعشرين- من سورة الزمر على أنّ القرآن الكريم كلّه متشابه، في كونه أحسن الحديث وفي كونه كتابا متشابها مثاني بتكرار المواعظ والوعد والوعيد.

أمّا الآية الثّالثة- الآية السابعة من سورة آل عمران- تدلّ على أنّ بعض القرآن محكم وبعضه متشابه، فهي موضوع البحث وهي الّتي خاض فيها العلماء، فمن مقل، ومكثر، ومن باحث، ومفوّض ممسك ومن خلال هذه الآية نلاحظ أنّ المحكم والمتشابه متقابلان فإذا نظرنا إلى الفروق بينهما وجدناها متفاوتة، فقد اتّضح ذلك جليّاً من خلال التّعريفات التي أوردها العلماء وعلى رأسهم الإمام السيوطي. وسنكتفي بعرض بعض الفروق الواضحة هنا استنادًا للتّعريفات الّتي أوردها العلماء في كلّ من علم المحكم والمتشابه:

- المحكم ما عرف المراد منه، ولو بالتّأويل، والمتشابه: ما استأثر الله تعالى بعلمه، كقيام السّاعة، وخروج الدجّال، والحروف المقطّعة في أوائل السور، فهي ممّا لا يهتدي العقل إليها، وكلّ ما لا يهتدي العقل إليه فهو متشابه غامض المعنى المقصود.

وفي هذا المقام نستشهد برأي الأستاذ: خالد بن عثمان السبت بقوله:" القرآن كلّه محكم وكلّه متشابه باعتبار وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار آخر هذه القاعدة بها ينحل عن القارئ لكتاب الله تعالى إشكال معروف، وهو أن الله تعالى وصف كتابه في بعض المواضع بأنّه محكم، كما وصفه في بعض المواضع بالتّشابه، وفي ثالث بأنّ بعضه محكم وبعضه متشابه[89] ص661.

- المحكم ما استقلّ بنفسه، ولا يحتاج إلى بيان، لأنّه أصل من الأصول، والمتشابه ما يحتاج في فهمه إلى ردّه لبعض الأصول.

- المحكم الواضح المعنى الّذي لا يتطرّق إليه إشكال، والمتشابه الّذي يحتاج إلى أمارة أو قرينه تحدّد معناه.

- المحكم: الفرائض والحدود، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وما يجب الإيمان والعمل به، والمتشابه: القصص والأمثال وما يجب الإيمان به ولا يعمل به.

- وقال الماوردي المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه بخلافه، كأعداد الصلوات، واختصاص الصيّام برمضان دون شعبان.

- المحكم ما لم تكرّر ألفاظه والمتشابه مقابله.

ومن خلال تعداد الباحثين للفروق وللتعريفات نخلص إلى أن المتشابه ينقسم إلى أضرب أو أنواع ومع ذلك فإن الآيات المحكمات هن أمّ الكتاب أي أصله الذي يتضمّن وجوه الأحكام والمعاني من الحرام والحلال والواجب والوعد والوعيد والزّجر والأمر وغير ذلك ممّا تتضمّنه النّصوص القرآنيّة المحكمة بوضوح، أمّا الآيات المتشابهات فلا يعلمهنّ أكثر النّاس أو كلّهم، لما فيهنّ من لبس ولاحتمال مدلولها مقاصد كثيرة يصعب الركون إلى أحدها أو اعتماده.

إنّ المحكم والمتشابه خرجا من مشكاة واحدة فالإيمان بمحكمه والإيمان بمتشابهه على حدّ سواء، ومن آمن بهذا وتوقّف في هذا دخل في من قال الله عزّ وجلّ فيهم« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزيٌّ في الحياة الدّنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون»[16].

2.3. تفسير الآية السابعة من سورة آل عمران:

قال الله تعالى:« هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات، فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذكّر إلاّ أولوا الألباب »[56].

إنّ هذه الآية الكريمة اشتملت على تقسيم آيات القرآن، وكذا مراتب الأفهام في تلقّيها واختتمت بتذيّيل مسوق مساق الثّناء على الرّاسخين في العلم وذلك لاهتدائهم إلى صحيح الفهم، وأمّا سبب نزولها فيذكر ابن إسحاق:" أنّه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلّم وفد نجران ستون راكباً فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم في الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والّذين لا يصدرون إلاّ عن رأيه... فكلّم منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو حارثة والعاقب والأيهم وهو من النصرانيّة على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون: المسيح هو الله، في ذلك من قولهم واختلف أمرهم في فهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية[96] ص117.

فيفهم من هذا السياق أنّ الآية نزلت في مجادلة وفد نجران إذ توجّه الكلام هنا إلى إزالة شبهتهم في شأن زعمهم اعتراف نصوص القرآن بإلهيّة المسيح، إذ وصف بأنه روح الله، وأنّه يحيي الموتى، وأنّه كلمة الله وغير ذلك فبيّن القرآن وخصوصا هذه الآية لما تعلّقوا به تعلق من اشتباه

وسوء تأويل، فقوله تعالى:« هو الّذي أنزل عليك الكتاب » هذا كلام مستأنف مسوق لتفصيل آيات الكتاب وأنّها قسمان قسم يفهمه النّاس، وقسم لا يفهمونه لقصورهم وعجزهم، وبداية هذا الاستئناف استهلّ بقصر صفة إنزال القرآن على الله تعالى لتكون الجملة مع كونها تأكيداً وتمهيداً، إبطالاً أيضاً لقول المشركين:« إنّما يعلّمه بشر » قال محمّد الطّاهر بن عاشور:" ومن بدائع البلاغة أن ذكر في القصر فعل أنزل الّذي هو مختصّ بالله تعالى ولو بدون صيغة القصر إذ الإنزال يرادف الوحي ولا يكون إلاّ من الله ما لو قال:« هو الّذي آتاك الكتاب » وقوله تعالى:« منه آيات محكمات » والضمير منه عائد على القرآن وهو خبر مقدم و(آيات محكمات) مبتدأ.[30] ص154، يقول ابن كثير: "يخبر الله تعالى أنّ في القرآن آيات محكمات أي بينات واضحات الدّلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدّلالة على كثير من النّاس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى ومن-عكس انعكس، ولهذا قال:« هنّ أمّ الكتاب» أي أصله الّذي يرجع إليه عند الاشتباه وأصل الإحكام المنع[97] ص313. وذلك أنّ الآيات المحكمات الواضحات تمنع تطرّق ما يضاد المقصود واستعمل الإحكام في الإتّقان والتّوثيق.

قال الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور:أطلق المحكم في هذه الآية على واضح الدلالة على سبيل الإستعارة لأنّ في وضوح الدّلالة منعاً لتطرق الاحتمالات الموجبة للتردّد في المراد، ووصف القرآن الكريم في بعض الآيات بأنّه محكم كافّة، لا تقتصر هذه الصفة على بعضه دون بعض كقوله تعالى: « كتاب أحكمت آياته ثمّ فصّلت من لّدن حكيم خبير»[14]. كما جاء في تفسير التحرير والتنوير [30] ص154. قوله جلّ جلاله:« وإنّه في أمّ الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم »[60]، ومعنى هذا الإحكام العامّ الّذي وصف به القرآن كلّه الإتقان والجودة والتّوثيق.

ويقول الشّيخ ابن عثيمين عن هذا الإحكام في تفسيره:" ومعنى الإحكام الإتقان والجودة في ألفاظه ومعانيه فهو في غاية الفصاحة والبلاغة أخباره كلّها صدق نافعة، ليس فيها كذب ولا تناقص، ولا لغو لا خير فيه وأحكامه كلّها عدل وحكمة ليس فيها جور ولا تعارض ولا حكم سفيه[98] ص45.

وقوله تعالى:« وأخر متشابهات » وهي ما استأثر الله بعلمها لعدم انّضاح حقيقتها الّتي أخبر عنها(وذلك مثل قيام السّاعة وخروج يأجوج ومأجوج والدّجال وعيسى عليه السّلام والحروف المقطّعة) أو ما احتملت أوجهاً[99] ص259. من مواضيع أخرى واسعة سعة المحكم وشموله، ووصف الكتاب كذلك في القرآن الكريم بأنّه كلّه متشابه كقوله تعالى:« الله نزّل أحسن الحديث كتاباً

متشابها مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » [80]. ومعنى ذلك أنّه يشبه بعضه بعضاً في الحسن ويصدق بعضه بعضاً.

يقول الشيخ ابن عثيمين: ومعنى هذا التّشابه أنّ القرآن يشبه بعضه بعضاً في الكمال والجودة والغايات الحميدة. [98] ص45.

ويلحظ أنّ الآية أشارت إلى أنّ آي القرآن وصفت بصفة ثانيّة بقوله تعالى:« هنّ أمّ الكتاب» ويستلزم هذا أنّ المتشابهات هي أضداد المحكمات.

ثمّ أعقب ذلك بقوله تعالى:« فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله».

يقول محي الدّين الدّرويش:" الفاء في فأمّا استئنافيّة مسوقة لتفصيل موقف النّاس منه، وأمّا حرف شرط وتفضيل "[95] ص394. فعلمنا أنّ المتشابهات هي الّتي لم يتّضح المقصود منها ونجد الإمام ابن عثيمين جعل هاتين الصّفتين" المحكمات " و" المتشابهات " من النّوع الثّالث باعتبار أنّ القرآن الكريم يتنوّع من حيث الإحكام والتّشابه إلى ثلاثة أنواع فقال:" النّوع الثّالث: الإحكام الخاصّ ببعضه مثل قوله تعالى:« هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات... »، ومعنى هذا الإحكام أن يكون معنى الآية واضحاً جليًّا، لا خفاء فيه، مثل قوله تعالى:« يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »[100]. ومعنى هذا التّشابه أن يكون معنى الآية مشتبها خفيًّا بحيث يتوهّم منه الواهم ما لا يليق بالله تعالى أو كتابه أو رسوله..." [98] ص45.

وعلى سبيل المثال أن يتوهّم واهم فيما يتعلّق برسول الله توهُّماً خاطئًا كاحتجاج النّصارى بأنّ"عيسى" ابن الله بقوله تعالى:« رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"[47]. وتركوا الاحتجاج بقوله:« إن هو إلا عبد أنعمنا عليه » وبقوله:« إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون »[60]. وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرّحة بأنّه خلقٌ من مخلوقات الله وعبدٌ ورسولٌ من رسُل الله.

وبناءً على ما سبق فالفاء في « فأمّا » استئنافية مسوقة لتفصيل موقف النّاس منه، نستطيع القول بأنّ هذه الآية جاءت لتفصيل إجمال استلزمته الآيات السابقة لأنّ الله لمّا قسّم الكتاب إلى محكم ومتشابه كان هذا التّقسيم باعتبار دلالة الألفاظ على المعاني، فمن الطبيعي أنّ النّفس تميل إلى حبّ الاستطلاع لمعرفة تلقّي النّاس لهذا المتشابه فاقتصر الله عزّ وجلّ على بيان حال الّذين في قلوبهم زيغٌ

بأنّهم يقصدون المتشابه بغيّة هدم الدّين، ويفهم بمفهوم المخالفة، حال تقسيمهم، وهم الّذين لا زيغ في قلوبهم، وقوله:" فيتّبعون" مجاز عن الملازمة والمعاودة أي يعكفون على الخوض في المتشابه، وهذا الّذي ذهب إليه الشّيخ الطّاهر بن عاشور في تفسيره[30] ص161، وقد ذكر الله علّة الإتباع، وهو طلب الفتنة وابتغاء تأويله على الوجه غير المراد، والابتغاء على زنة افتعال الّذي يدلّ على التكلّف وشدّة الطّلب، وقد تضمّنت الآية بغيتين وهما: ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، والتّأويل هنا لم يقصد به وجه الحقّ بل قصد به تطويع أي الذّكر الحكيم حسب فهمهم ليوافق ما عندهم من زيغ وضلال، فهؤلاء الّذين تعلّقوا بتأويل المتشابه لم يكن تعلّقهم ابتغاء البيان ولا طلباً للهداية، بل كان تأويلهم تحصيلاً للفساد والضّلال المدمّر، يقول الشيخ الطّاهر بن عاشور:" وليس طلب تأويله في ذاته بمذمّة بدليل قوله:« وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم » وإنّما محلّ الذمّ أنّهم يطلبون تأويلاً ليسوا أهلاً له فيؤوّلونه بما يوافق أهواءهم وهذا ديدن الملاحدة وأهلِ الأهواء..."[30] ص162.

وقوله تعالى:« وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا وما يذكّر إلاّ أولوا الألباب ».

يقول جمال الدّين القاسمي:" وما يعلم تأويله إلا الله وحده، والرّاسخون في العلم أي الثابتون المتمكّنون، مبتدأ خبره « يقولون آمنّا به » أي بالمتشابه على ما أراد الله سبحانه وتعالى: "كلّ" من المتشابه والمحكم« من عند ربّنا وما يذكّر إلاّ أولوا الألباب » أي العقول الخالصة من الرّكون إلى الأهواء الزّائفة وهو تذييل سبق منه تعالى مدحاً للراسخين بجودة الذّهن وحسن النّظر"[99] ص256.

واختلف العلماء في الوقف ههنا فقيل الوقف على لفظ الجلالة« إلاّ الله » ومنهم من قال: يوقف على قوله:« والرّاسخون في العلم » وذلك لاختلافهم في أصل الواو أهي عاطفة أم استئنافية ونجد من العلماء من فصل في هذا المقام فقالوا التّأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان أحدهما: التّأويل بمعنى حقيقة الشّيء وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى:« ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجّداً وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقاً »[101]. أي: حقيقة ما أخبروا به، فإن أريد بالتّأويل هذا فالوقف على لفظ الجلالة لأنّ حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ ويكون قوله:« والرّاسخون في العلم » مبتدأ. « ويقولون آمنّا به » خبره، وأمّا إن أريد بالتّأويل المعنى الآخر وهو التّفسير والتّعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى:« نبّئنا بتأويله »[101]. أي تفسيره فإن أريد هذا فالوقف على قوله:« والرّاسخون في العلم » ومال إلى هذا التفصيل ابن كثير[97] ص315. وممّا نستشفه من الآية ما يلي:

- الله عزّ وجلّ هو المعبود بحقٍّ وحده، فهو المستغني، عن كلّ ما سواه والمفتقر إليه كلّ ما عداه.

- آيات القرآن الكريم منها ما هو محكم ومنها ما هو متشابه.

- المتشابه يتنوّع: فمنه ما لا يعلم البتّة كأمر الرّوح والسّاعة، وعلى هذا النّوع يحمل قول من قال:" إنّ الرّاسخين في العلم لا يعلمون علم المتشابه ومنه ما يمكن حمله على وجه في اللغة ومناح في كلام العرب فيتأوّل ويعلم تأويله.

- لفظ التّأويل لفظ مشترك فبسبب الاشتراك اعتقد كلّ من فهم منه معنًى بلغته أنّ ذلك هو المذكور في القرآن.

- العالم الحقيقي لا يتوهم أنّه يدرك كلّ شيء، وأقرب النّاس إلى التسليم يعجز العقل البشري عن إدراك كثير من الأشياء.

- قلوب أهل الرّسوخ والتّمكين نقيّة طاهرة وقلوب أهل الزّيغ والضّلال غارقة في الظّلمات.

- علامة الرّسوخ تقديم الإيمان على التّأويل والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ طلباً للفتح في فهم القرآن والرّاسخون يقولون فيما علموه أو لم يعلموه:« آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا ».

بيّنت الآية السّابعة من سورة آل عمران أحوال الخلق بالنّسبة إلى تلقيّهم لكتاب الله تعالى، فمنهم أهل الحقّ الّذين لا يتزعزع إيمانهم ومنهم أهل الزّيغ الّذين لا همَّ لهم سوى تأويل ما تشابه منه.

لا يعلم حقيقة وكنه تأويل المحكم والمتشابه إلاّ الله وليس في وسع العلماء حصر تأويل نهائي لمعاني القرآن الكريم.

توحي الآية بطلب فهم الآيات من مظانّها أي بسؤال أهل الذّكر الرّاسخين في العلم.

طلب العلم بالمحكم مقدّم على ابتغاء العلم بالمتشابه لأنّ الله جعل المحكمات أمّ الكتاب، نقل الإمام السيوطي عن ابن الحصار:" قسّم الله آيات القرآن إلى محكم ومتشابه وأخبر عن المحكمات أنّها أمّ الكتاب لأنّ إليها تردّ المتشابهات "[92] 353. ومن المعقول أنّ ردّ المتشابهات إلى المحكمات لا يكون إلاّ بمعرفة المحكمات أوّلاً.

وممّا سبق نلاحظ أنّ ما جاء في متن الآية السابعة من سورة آل عمران أنّ من بين آيات القرآن الكريم آيات محكمات واضحة الدلالة، بيّنة الهدف محدّدة فيما تدلّ عليه، وفيما تهدف إليه، فقد بيّنت هذه الآيات أصل القرآن في كونه منقسمًا إلى آيات محكمات وأخر متشابهات، فالمحكمات هي الأصل الّذي تردّ إليه الآيات الأخرى الّتي ليست في مثل وضوحها، فهي تحمل أكثر من معنى، ويمكن أن يراد بها أكثر من هدف، وبعض هذه الآيات تعالج موضوعات لا يقف على حقيقتها ولا يدرك كنهها إلاّ الله، وبعضها الآخر تعالج موضوعات أخرى يستطيع الرّاسخون في العلم من المؤمنين أن يدركوا المراد بها، وأن يتبيّنوا معانيها ومدلولاتها، هذا حسب تقسيم العلماء لها، والنّاس في موقفهم من هذه الآيات صنفان، فريق منهم يؤمن بها كلّها فهم المراد بها أو لم يفهمه، وفريق كلّ همّه أن يتعقّبها ليثير بها الفتنة، ويُؤَلها ما لا تحتمل زعما منهم أنّ تأويلهم لها الأصحّ رغم سوء القصد فيه وتضارب الآراء بينهم حول الموضوع الواحد، ومن هذا نلاحظ أنّ الطريق الّذي سلكوه في تأويلهم وعدم إشارتهم بانفتاح المعنى دون تقييد نهائي، وإثبات قاطع، إضافةً إلى ما يهدفون إليه من فتنة النّاس عن دينهم وعدم خلوص نيّاتهم فيما قالوه جعلهم ليسوا أهلاً لهذا العمل الذّي خصّ به الله تعالى عباده العلماء منهم بل الرّاسخون في العلم المخلصين للإسلام، ومن هذا نلاحظ أنّ الآية في حدّ ذاتها تقرّر أنّ هؤلاء ليسوا أهلاً لما زعموه لأنفسهم، ونتيجة لقصدهم الشيء وصفتهم الآيات بأنّ في قلوبهم الزّيـغ، وفي نفس هذه الآية التي تتحدّث عن الزّائغة قلوبهم فإنّها تجمع كذلك صفة من هم أهل لفهم هذه الآيات من الدّين آتاهم الله رسوخا في الفهم والعلم، ورغم رسوخهم في العلم وتشوّقهم إلى المعرفة فهم يؤمنون بما أنزل عليهم ممّا فهموا معناه أو لم يفهموا على السّواء، وتجدهم مردّدين في ثقة ويقين « آمنّا به كلّ من عند ربّنا »، ويقول الله عزّ وجلّ في شأنهم « وما يذكّر إلاّ أولوا الألباب»، وما نجده في الآيات المواليّة من الثامنة والتاسعة ما هو إلا دليل على عبوديتهم الحقّة فعباد الله الطائعين يتوجهون إلى الله بالدّعاء لأنّه مخّ العبادة فيقولون في امتثال واستسلام وخضوع « ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنّك أنت الوهّاب، ربّنا إنّك جامع النّاس ليوم لا ريب فيه إنّ اللّه لا يخلف الميعاد»، في هذه الآيات نجدهم يطلبون دوام الهداية والتّوفيق ويتوسّلون إليه بأن يحفظهم من أن تزيغ قلوبهم فتنحرف، وهم يلحّون في دعائهم على طلب الرّحمة فهو وحده الوهّاب، لما هم مقدمون عليه بعد الموت فيقولون:« ربّنا إنّك جامع النّاس ليوم لا ريب فيه ».

3. 3.الحكمة والمقصد من وجود المتشابه في القرآن الكريم:

يقول الإمام الزّمخشري في الكشّاف:" لو كان كلّه محكمًا لتعلّق النّاس به لسهولة مأخذه لأعرضوا ممّا يحتاجون فيه إلى الفحص والتّأمل من النظر، والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطّلوا الطّريق الّذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلاّ به، ولما في المتشابه من الابتلاء والتّمييز بين

الثّابت على الحقّ والمزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء في استخراج معانيه وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمّة ونيل الدرجات عند الله، ولأنّ المؤمن المعتقد أنّ لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف، إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهرة، وأهمّه طلب ما يوفّق بينه ويجريه على سنن واحدة ففكّر وراجع نفسه وغيره فتح الله عليه وتبيّن له مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوّةً في يقينه"[102] ص383.

حقيقةٌ أنّ المتشابه يحرّك العقول ويدفع الهمم إلى التّفكير لأنّ الحاجة تولّد الفكرة فالقرآن لو كان كلّه واضحًا لوقع العجز وتمكن التقليد في دمائنا فقد أنزل الله سبحانه وتعالى الآيات المتشابهات اختبارًا ليقف المؤمن عندها ويردها إلى عالمه، فيعظم به ثوابه، ويرتاب بها المنافق، فيستحقّ العقوبة كما أشار سبحانه وتعالى في كتابه إلى وجه الحكمة في ذلك بقوله:« فأمّا الّذين آمنوا فيعلمون أنّه الحقّ من ربّهم وأمّا الّذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً»[103] ص77، ثم قال: جوابًا لهم:« يضلّ به كثيرًا ويهدي به كثيرًا»، فأمّا أهل السّعادة فيعلمون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، فيستوجبون الرّحمة والفضل وأمّا أهل الشّقاوة فيستوجبون الملامة.

ولمّا كان كلام العرب على ضربين: أحدهما، الموجز الّذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والثّاني: المجاز والكنايات والإشارات والتلميحات وهذا الضرب الثّاني هو المستحلي عند العرب في كلامهم، لقد أنزل الله القرآن على هذين الضربين ليتحقّق عجزهم عن الإتيان بمثله قال: عارضوه بأي الضربين ليتحقّق عجزهم عن الإتيان بمثله فكأنّه قال: عارضوه بأي الضربين شئتم، ولو نزل كلّه محكماً واضحاً لقالوا: هلاّ نزل بالضرب المستحسن عندنا ومتى وقع في الكلام إشارة وكناية أو تعريض أو تشبيه، كان أفصح وأعذب.

أراد الله عزّ وجلّ أن يشغل أهل العلم بردّه إلى المحكم، فيطول بذلك فكرهم ويظهر بالبحث اهتمامهم ولو أنزله محكما لاستوى فيه العالم والجاهل، فشغل العلماء به ليعظم ثوابهم وتعلو منزلتهم، ويكرم عند الله مآبهم كما أنّه تحريض لهم على التّنافس والتّسابق في سبيل المعرفة حتى يظهر التفاضل بينهم، ويبرز التفاوت في درجاتهم إذ لو كان القرآن كلّه محكمًا[103] ص78. لما ظهر هذا التنافس ولما ظهرت الفروقات الفردية لديهم، ويشير ابن قتيبة إلى هذا حيث يقول:" إنّ القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد والإشارة إلى الشيء وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلاّ اللّقن"[91] ص88. وهكذا فقد اشتمل القرآن على هذه الفنون جميعها تحدّياً وإعجازاً لهم إذ كان فخرهم ورياستهم بالبلاغة وحسن البيان.

تحقيق ما هو مقصود- أصالة- من القرآن وهو الإعجاز المثبت لصدق النبوّة ومن متطلّبات الإعجاز أن يكون في القرآن أمور لا تدرك إلاّ بعد عناء وبذل جهد، قال الشيخ محمّد الطّاهر بن عاشور:"هناك معان أودعت في القرآن ليكون وجودها معجزة قرآنية"[30] ص150.

بحكم أن القرآن صالح لكلّ زمان ومكان لذلك أودع فيه آيات متشابهة حتّى تتلاءم مع ما يمكن أن يحدث في عصر من العصور فإقامة دليل على عجز الإنسان وجهالته، مهما عظم استعداده، وغزر علمه وأقام الشّاهد على قدرة الله الخارقة، وأنّه وحده هو الّذي أحاط بكلّ شيء علماً وأنّ الخلق جميعاً لا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء.

لقد أراد الله عزّ وجلّ أن يشغل أهل العلم برده إلى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويظهر بالبحث اهتمامهم، ولو أنزله محكما لاستوى فيه العالم والجاهل، فشغل العلماء به ليعظم ثوابهم وتعلو منزلتهم ويكرم عند الله مآبهم. إنّ الّذي نراه في القرآن وإن كان يحوي على شيء من المتشابه فإنّه غير محجوب عن أنظار الناظرين ولا محجوز عن فهم المتدبّرين والمتذكّرين، قال تعالى:« كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب...».

3. 4.المتشابه في ظلّ الدّراسات اللّغوية:

يقول عبد الوهّاب خلاّف:" غير الواضح من الدّلالة من النّصوص هو ما لا يدلّ على المراد منه بنفس صيغته، بل يتوقّف فهم المراد منه على أمر خارجي إن كان لا يزال خفاؤه إلاّ بالبحث والاجتهاد فهو الخفيّ أو المشكل، وإن كان لا يزال خفاؤه إلاّ بالاستفسار من الشّارع نفسه فهو المجمل، وإن كان لا سبيل إلى إزالة خفائه أصلاً فهو المتشابه[93] ص169.

إنّ المراد بالمتشابه في اصطلاح الأصوليين اللّفظ الّذي لا تدلّ صيغته بنفسها على المراد منه، ولا توجد قرائن خارجيّة تبيّنه واستأثر الشّارع بعلمه فلم يفسّره، والمتشابه بهذا المعنى ليس في النّصوص التّشريعيّة منه شيء.

إنّ فهم النّص يتوقّف على معرفة أساليب البيان في اللّغة العربيّة وطرق الدّلالة فيها على المعاني ولتوضيح هذا نجد أنّ العلماء قد قسموا اللّفظ بالنّسبة إلى المعنى إلى أربعة تقسيمات ترتبط بما سمّوه بيان التّفسير وهي كالتالي كما ذكرها الأستاذ سليمان بن الشيخ:

- باعتبار وضع اللّفظ للمعنى، وهو أربعة أنواع: الخاصّ، العامّ، المشترك والمؤوّل.

- باعتبار استعمال اللّفظ في المعنى وهو أيضاً أربعة أنواع: الحقيقة، المجاز، الصّريح والكناية.

- باعتبار دلالة اللّفظ على المعنى حسب ظهور المعنى وخفائه ومراتب هذا الظهور، النّص، المفسّر والمحكم وأربعة مراتب: الخفاء وهي الخفيّ، المشكل، المجمل والمتشابه.

- باعتبار كيفية دلالة اللّفظ على معناه وطريقة فهم المعنى المراد من اللّفظ، وهو أربعة أنواع أيضاً: الدال بالعبارة، الدال بالإشارة، والدال بالدلالة والدال بالاقتضاء[104] ص43.

وهذا ما نستطيع توضيحه بهذا الرسم البياني:

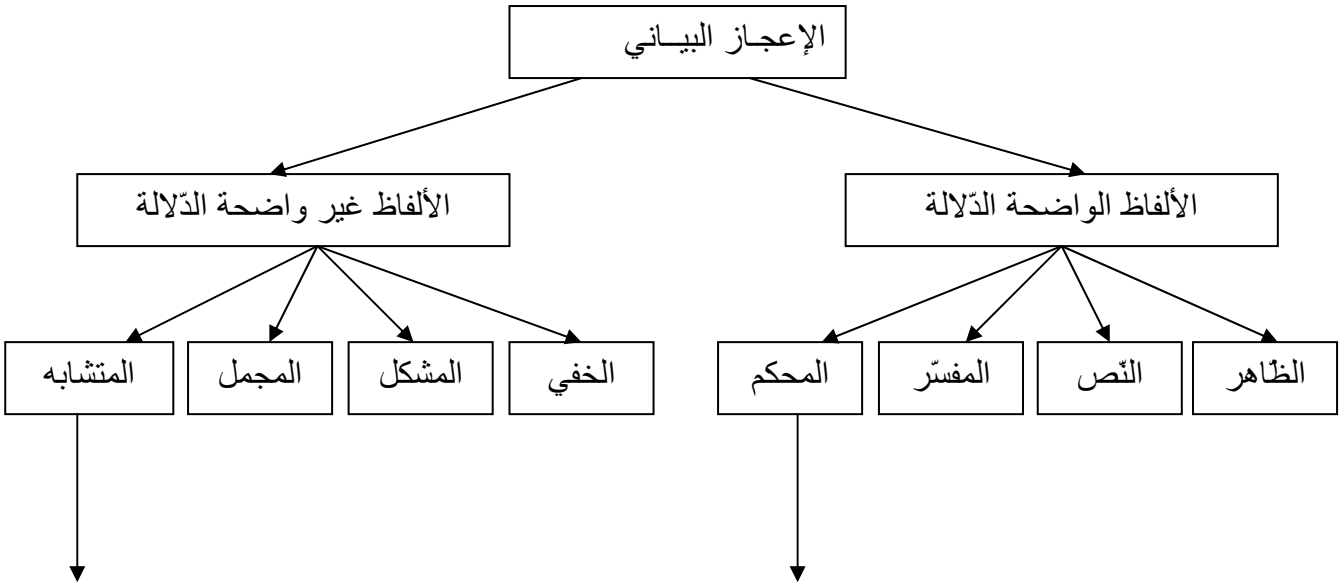

من هذا الشّكل نلاحظ أن [illegible] قسم ثابت وآخر متغيّر فالقسم الثابت [illegible] ضلّت الإنسانيّة، وقسم المعرفة المتغيّر لابدّ من البحث فيه، فالمحكم فيه إشارة إلى الثابت والمتشابه فيه إشارة إلى المتغيّر، فالمحكم عرّفوه بالموقوف على الدّلالة الواحدة غير القابلة للتّأويل أمّا المتشابه فقد عرّفوه بالحامل لأكثر من دلالة والقابل للتّأويل على مرّ الزمن وهذا الشّكل يبين لنا مدى انفتاح النّص المتشابه على عكس المحكم:

النّص القرآني

↙ ↘

محكم متشابه

↓ ↓

محدود مفتوح

↓ ↓

ثابت متغيّر

↓ ↓

ساكن متحرّك

ولمّا كانت المعرفة الإنسانيّة إلاّ جزءًا صغيرًا من هذا العالم الكبير القائم على ناموس الثّابت والمتغيّر في الحياة كما يقول الأستاذ عمّار ساسي: ولغة الإنسان جزء هام وعمود صلب قائمة عليه المعرفة الإنسانيّة التي هي بدورها قائمة على ناموس الثّابت والمتغيّر، وهي مكرهة في ذلك شاءت أم أبت بين الأصيل والدّخيل بالوقوف على دلالة اللّغة في التّراث والحداثة[87] ص07.

فالنّصوص القرآنيّة إذن هي متمايزة بين مجالين لا ثالث لهما قطعي الدّلالة كما يتعلّق ذلك والعقيدة وظنّي الدّلالة ناتج عن اجتهاد مراع للضّوابط على أن لا يكون فهمه مناقضًا لمفهوم الصّحابة مثل ما نجده في الآية: الثّانية والأربعين من سورة يس:« وخلقنا من مثله ما يركبون » فالأوّلون يرون أنّ المقصود من لفظ: ملكه يعود على ما يركب وأتوا بذلك مثالا وهو الدّواب أمّا المعاصرون فيرون أنه: يحتمل أن يكون المركوب سيّارة، طائرة، باخرة،...فالفهم الأوّل ليس خطأ لكن القرآن حمّال لأوجه ولا نعني بالمتغيّر هنا تغيّر الفهم عن الأصل الأوّل تمامًا وإنّما يحتمل التنوّع في الفهم.

3. 5. نظرة على كتب المتشابه:

إنّ التّطبيق على موضوع المتشابه بالمعنى الّذي ذهبنا إليه في بحثنا هذا، وهو أن تحمل الآية أو النّص القرآني تأويلين مختلفين أو أكثر أي أنّ هذه الآيات عكس المحكمات الّتي تتميّز بالتّأويل الموحّد بين العلماء ولا تحتمل الآية نفسها أكثر من تأويل واحد، ولضبط الآيات المتشابهات بالمعنى الّذي نحتاجه في دراستنا سعينا جاهدين في اختيار النّماذج التطبيقيّة، ولهذا الغرض اتّجه تركيزنا إلى عدّة مصادر لفتت انتباهنا عناوينها، لكن جلّ هذه الكتب وبعد اطّلاعنا عليها وجدناها تركّز على المتشابه من الآيات من حيث الألفاظ بين ما ورد في القرآن كلّه، أمّا المتشابه الّذي هو عكس المحكم فلم تكثر فيه التّصانيف بالدّرجة الّتي كانت عليها في المتشابه اللّفظي، ونستطيع تعليل السبب بأنّ المتشابه اللّفظي سهل التّصنيف لأنّ الباحث فيه يأتي بالآية ويبحث عمّا يشبهها من الآيات.

ومن المصادر الّتي وجدناها في موضوع المتشابه اللّفظي كتاب:" درّة التّنزيل وغرّة التّأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز لمؤلّفه:(الخطيب الإسكافي وبرواية ابن أبي الفرج الأردستاني) ففي مقدّمته يوضّح أنّ المتشابه الّذي يقصده هو المتشابه اللّفظي كما ورد ذلك عنه في خطبة الكتاب:"... تدعوني دواعٍ قويّة يبعثها نظر ورويّة، في الآيات المتكرّرة بالكلمات المتّفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة، تطلّباً لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخصّ الكلمة بآياتها دون أشكالها، فعزمت عليها بعد أن تأمّلت أكثر كتب المتقدّمين والمتأخّرين، وفتّشت على أسرار معاني المتأوّلين المحققّين المتبحّرين، فما وجدت أحداً من أهلها بلغ غاية كنهها، كيف ولم يقرع بابها، ولم يفتر لهم عن نابها، ولم يفسّر عن وجهها، ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقاناً، وصار المبهم المتشابه وتكرار المتكرر تبياناً، ولطعن الجاحدين رداً، ولمسلك الملحدين سدًّا، وسمّيته: "درّة التّنزيل، وغرّة التّأويل [105] ص05. نلاحظ أنّ هذا المرجع اهتمّ صاحبه بالمتشابه اللّفظي ولم يرد في الكتاب نظر إلى المتشابه من حيث التّأويل، أمّا المرجع الآخر الّذي نظرت فيه ووجدته مشابهاً في غرضه لهذا المرجع فهو ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيه متشابه اللّفظ من آي التّأويل للإمام الحافظ العلاّمة: أحمد بن إبراهيم بن الزّبير الثّقفي العاصمي الغرناطي، والّذي حقّقه الباحث: سعيد الفلاّح في رسالة:" دكتوراه حصل عليها بتقدير حسن جدّاً وطبعت في جزئين عام 1983 الموافق لـ 1403هـ وتكفّلت دار الغرب الإسلامي بطبعه، أمّا عن الكتاب فهو كما قال محقّقه في خاتمته:" كشف الغطاء عن مؤلّف عظيم وكنز ثمين من كنوز المكتبة الإسلاميّة تناول فيه صاحبه علماً جليلاً من علوم القرآن الكريم، علم متشابه القرآن الّذي كان وما يزال معترك الأقران على مدى الأزمان".

لقد أشار محقّق هذا المؤلّف إلى قيمة هذا البحث كون العلماء الّذين كتبوا فيه قلّة قليلة فيقول في مقدّمته مثلاً:"... فموضوعه في تفسير متشابه الكتاب، وهو فنّ قلّ فيه التّصنيف عامّة وندر منه

المطبوع خاصّة، وذلك بشهادة الجلّة من العلماء بل إنّ هذا الكتاب يعتبر من أوفى وأبسط وأحسن ما ألّف في مسائله ومباحثه...[106] ص06.

من خلال هذا المصدر نلاحظ أنّه مؤلّف يلفت الانتباه بأنّ الكتابة في علم المتشابه اللّفظي قليلة لكنّنا نقول أنّ البحث والتّأليف في المتشابه من حيث التأويل أقلّ منه بكثير أمّا المراجع الأخرى الّتي حصلنا عليها، ولم نجد فيها ضالّتنا كذلك في مجال المتشابه، متشابه القرآن للقاضي عبد الجبّار بن أحمد الهمذاني المتوفى سنة 415هـ والّذي حقّقه الدّكتور عدنان محمّد زرزور بجامعة دمشق وتكفّلت دار التّراث بالقاهرة بنشره، أمّا الكتاب فلم يهتم بالمتشابه اللّفظي كالمصادر السّابقة الّتي نظرنا إليها إلاّ أنّ مذهب الاعتزال بادٍ في طيّاته فمحقّقه يدلي برأيه فيه فيقول:" إنّنا اليوم بحاجةٍ إلى التّراث الأصيل لجميع الفرق الإسلاميّة، نأخذ منه اليوم ما يؤكّد وحدة الفكر الإسلامي وشموله، بعد أن توزّع أو كان على أيدي المتأخّرين من أشياع هذه الفرق، ولسنا نقصد من نشر كتب المعتزلة الّذين شوّهت آراؤهم على أيدي الأشاعرة، ودعاة الجبر والتّواكل في العالم الإسلامي إلى الانتصار لفرقة على أخرى، أو على إحياء آراء فرقة خاصّة من هذه الفرق، لأنّها جميعاً تستوي عندنا في عدم إحاطتها بنظرة الإسلام للوجود، وتصوّره المفرد لعلاقة الإنسان بالله وبالكون، ولا تخلو فرقة واحدة من الغلّو في جانب، والتّفريط في جانب آخر، ولكنّ " تركيز" كلّ منها على جانب بعينه، يعيننا اليوم على فهم أدقّ وأعمق لجوانب العقيدة الإسلاميّة...[107] ص04.

لقد حاول محقّق هذا الكتاب أن يضيء على هذا المصدر بشيء من التّوضيح حتّى يجعل هذا المرجع مفيداً في جانب التّصنيف بين الآيات المحكمات والمتشابهات، أمّا الكتاب الآخر الّذي أشار إلى جمع الآيات المتشابهات فهو كتاب وثّق نصوصه وعلّق عليه أبو عبد الأعلى خالد بن محمّد بن عثمان فأمّا مؤلّف الكتاب فهو إمام أهل السنّة والجماعة أبي عبد الله بن محمّد بن حنبل بعنوان "الردّ على الجهميّة والزّنادقة فيما شكّوا فيه من متشابه القرآن وتأوّلوه على غير تأويله"، ويوضّح الأمور الّتي غمض فهمها على الجهميّة والزّنادقة فيما شكّوا فيه من متشابه القرآن بحيث لم يتوقفوا بحكمهم على تلك الآيات بأنّها متشابهة فقط إنّما ذهبوا إلى أنّ هناك تناقضًا بين الآيات المتشابهات وأنّها تحمل أفكارًا متناقضة يقول محقّق هذا الكتاب:" وكتاب: "الردّ على الزّنادقة والجهميّة" يعدّ من أوائل الكتب الّتي صنفت في الردّ على الفرق الّتي خالفت سبيل السّلف وهو يعدّ - في حد ما بحثت - أوّل ردّ على هاتين الفرقتين: الزّنادقة، الجهميّة، وتوالت بعده عدّة ردود عليهما في القرون التاليّة...[108] ص14، وهو الكتاب الّذي أخذنا منه النّموذج الأول للتّحليل أي موضوع أصل الخلق أمّا كتاب " الإنصاف في التّنبيه " على المعاني والأسباب الّتي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، الإمام النّحوي اللّغوي أبي محمّد عبد الله بن محمّد ابن السيّد البطليوسي، الذي حقّقه الدكتور محمّد

رضوان الدّاية. وهو كتاب عرض فيه صاحبه عدّة قضايا مثل: الخلاف العارض من جهة اشتراك الألفاظ واحتمالها للتّأويلات الكثيرة، وكذا الخلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز، الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص، وأبواب أخرى كذلك في طيّات بعض هذه الأبواب نجد إشارة إلى الآيات المتشابهات من حيث التّأويل، كما أنّ الإمام السيوطي أشار إلى الموضوع في باب من أبواب كتابه: الإتقان في علوم القرآن وكذا الزّركشي في كتابه البرهان، وقد أشار الكرماني في مقدمة كتابه إلى فصل المتشابه من حيث التّأويل وتعريفه وتوضيحه، ثمّ عالج في كتابه المتشابه من حيث اللّفظ.

أمّا ما نجده من الكتابات الواضحة في ذلك فهو محاولة تصنيف الآيات المتشابهات وذلك في الفترات الأخيرة من خلال كتاب أضواء على متشابهات القرآن للشّيخ خليل ياسين والكتاب في جزئين يتحدّث فيه صاحبه عنه فيقول في مقدّمته: "ولمّا كانت هذه الارتباكات فاشيّة، وأسئلة النّاس حول متشابهات القرآن متتاليّة، رأيت لزاماً أن أتوجّه إليهم بهذا السّفر فقد جاء بحمد الله وحسن توفيقه كفيلاً لدفع الشّبهات ورد الاعتراضات بأجلى بيان وأسطع برهان متجنبًا فيه العصبيّة... [109] ص04، وسعى صاحب المؤلّف لأن يكون الكتاب واضحًا فاختار منهجيّة السّؤال والجواب في تصنيف الآيات المتشابهات بحسب موقع الغموض فيها.

3. 6.خلاصة:

من خلال هذا الفصل حاولنا معرفة الآيات المتشابهات وتفريقها عن المحكمات ثمّ أتينا إلى معنى الآية السّابعة من سورة آل عمران وبعد هذه التمهيدات تطرقنا إلى المبحث الخاص بربط الآيات المتشابهات بالبحث اللّغوي فبيّنا من خلاله أن المتشابه يعني المتغيّر الذي يحتمل دلالات مختلفة فهو عكس الثابت الذي يعني ضدّ المحكم.

الفصل 4
دراسة وتحليل الآيات المتشابهات" بيانيا "

في هذا الفصل(التّطبيقي) حاولنا أن نحلّل الآيات النّماذج وفق المنهج العلمي اللّغوي: (الوصفي الوظيفي) كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك في مقدّمة هذا البحث في مبدأين أساسيين هما مبدأ رفض التّرادف ومبدأ ربط النّحو بالبلاغة، هذا المنهج الّذي دعا إليه الدكتور جعفر دكّ الباب والّذي ينبع من اتّجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللّغوي الّذي بلوره ابن جني في الخصائص وعبد القاهر الجرجاني في الدّلائل في نظريتين لغويتين متتامّتين[110] ص10.

في هذا الفصل حاولنا تطبيق هذين المبدأين على الآيات النّماذج الّتي اخترناها للدّراسة معتمدين في ذلك على المبدأ الأوّل والّذي هو: رفض ظاهرة التّرادف من خلال أربعة معاجم أساسيّة ومختلفة وهي على التّوالي: الصّحاح للجوهري، مقاييس اللّغة لأحمد بن فارس، معجم مفردات ألفاظ القرآن للرّاغب الأصفهاني والمعجم الوسيط، نبتغي من خلال ذلك تحديد المفردة ومعناها والغرض الّذي وضعت من أجله مفردة معيّنة ولم توضع مفردة أخرى تقاربها في المعنى: كلّ من أجل الوصول إلى الإجابة عن تساؤلنا الّذي طرحناه في مقدّمة هذا البحث أي من أجل الكشف عن مدى تأثير الصّيغة البيانيّة في بلورة معنى الآية وللغرض نفسه اعتمدنا مبدأ ثانيا وهو ربط النّحو بالبلاغة.

وقد رتّبنا المواضيع الّتي اخترناها للدّراسة والتّحليل ترتيباً تصاعديًّا من أوّل الخلق إلى مشاهد يوم القيامة وأخذنا منها تسع آيات للتّطبيق وهي على التّوالي: أصل الخلق وفيه خمس آيات(الآية العشرون من سورة الرّوم، الآية الحادية عشرة من سورة الصّافات، الآية الرّابعة عشرة من سورة الرّحمن، الآية الثانيّة عشر من سورة المؤمنون، الآية السادسة والعشرون من سورة الحجر).

ندرس كلّ واحدة على حدة ثمّ نجري تقابلاً بينها لتوضيح التّشابه الوارد فيها، ولتنفيذ ما ذهب إليه بعضهم إلى فهم خاطئ لمحتوى كلّ آية ودلالة ألفاظها، وإظهارمدى الدقّة المتناهيّة في ضبط مصطلحات القرآن وانسجامها.

أمّا الموضوع الثّاني يخصّ الحقائق العلميّة والظواهر الكونيّة من خلال الآية(الثامنة والثّمانون من سورة النّمل) والثّالث هو ما عنوناه بقدرة الله في خلقه من خلال الآية الرّابعة والخمسون من سورة الأنعام، وختمنا هذه المواضيع بعنوان أخير سمّيناه: مشاهد من يوم القيامة، واخترنا له الآية السّابعة والتّسعون من سورة الإسراء. ولبلوغ المرام اعتمدنا على جملة من التّفاسير المتخصّصة والمناسبة وهي تفسير الرّازي، النّسفي والزّمخشري، كلّ هذا بغيّة الكشف عن سرّ اللّسان العربي وإثبات أنّ الفهم الصحيح للسان العربي هو أوّل مفتاح لفهم القرآن الكريم لأنّه أنزل بلسان عربيٍّ مبين كما جاء ذلك صريحاً في الكتاب العزيز.

4. 1. مدوّنة الآيات المختارة للتّطبيق مع تحديد الموضوع لكلّ نموذج:

4. 1. 1. **الموضـــوع الأوّل**: أصــل الخـــــلق:

الآيـــات: 1- « خلقكم من تراب » [111]

2- « من طين لازب » [112]

3- « من سلالة من طين » [113]

4- « من حمأ مسنون » [66]

5- « من صلصال كالفخّار »[55]

4. 1. 2. الموضـوع الثّـاني: الحقائق العلميّة والظواهر الكونيّة

الآية: « وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السّحاب »[18]

4. 1.3. الموضـوع الثّـالث: قــدرة الله في ملـــكه

الآية: « كتب ربّـكم على نفســه الرّحمة »[23]

4. 1. 4. الموضـوع الرّابـع: مشـــاهد من يوم القيـــــامة

الآية:« ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميًّا وبكمًّا وصمًّا »[114]

4. 2. جـــدول توضيحـــي للآيـــات النّمـاذج

اسم السورة	رقمها	الآية	رقمها	مكية أو مدنية	سبب النزول	الموضوع
الروم	30	" ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون"	20	مكية	لم يذكر	أصل الخلق
الصافات	37	"فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنّا خلقناهم من طين لازب"	11	مكية	لم يذكر	أصل الخلق
المؤمنون	23	" ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين"	12	مكية	وارد	أصل الخلق
الحجر	15	" ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون"	26	مكية	لم يذكر	أصل الخلق
الرحمن	55	"خلق الإنسان من صلصال كالفخار"	14	مدنية	لم يذكر	أصل الخلق

اسم السّورة	رقمها	الآيـــــــــــة	رقمـها	مكيّـة أو مدنيّـة	سبب النّزول	الموضـــوع
النّحـل	27	« وتـرى الجبـال تحسبـها جامـدةً وهـي تمـرّ مـرّ السّحـاب صنـع الله الّـذي أتقـن كـلّ شـيء إنّـه خبيـر بمـا تفعلون »	88	مكيّـة	لم يذكـر	الحقائـق العلميّة والظواهر الكونيّة
الأنعـام	06	« وإذا جـاءك الّـذين يؤمنـون بآيـاتنا فقـل سـلام عليـكم كتـب ربّـكم علـى نفسـه الرّحمـة أنّـه مـن عمـل منـكم سـوءًا بجـهالة ثـمّ تاب من بعـده وأصلـح فأنّـه غفـور رحيـم »	54	مكيّـة	وارد	قـدرة الله في ملكـــه
الإسـراء	17	« ومـن يهـد الله فهـو المـهتد ومن يضـلل فلـن تجـد لـهم أوليـاء من دونـه ونحشرهم يـوم القيامـة على وجوههم عميًّا وبكمًّا وصمًّا مأواهم جـهنّم كلّما خبت زدناهم سعيـرًا»	97	مكيّـة	لم يذكـر	مشاهـد من يـوم القيامـة

4. 3. الإبانة عن معاني الآيات النّماذج من خلال تفسير الجلالين

4. 3.1. النّموذج الأوّل

الآية الأولى: الآية العشـرون من سـورة الـــرّوم

« ومن آياته» تعالى الدّالة على قدرته « أن خلقكم من تراب » أي أصلكم آدم « ثمّ إذا أنتم بشر» من دم ولحم « تنتشرون » في الأرض [115] ص406.

الآية الثانيّة: الآية الحاديّة عشـر من سورة الصّـــافات

« فاستفتهم » استخبر كفّار مكّة تقريراً أو توبيخاً « أهم أشدّ خلقاً أم من خلقنا » من الملائكة والسّماوات والأرضين وما فيهما، وفي الإتيان بمن تغليب العقلاء « إنّا خلقناكم» أي أصلهم آدم « من طين لازب » لازم يلصق باليد المعنى أن خلقهم ضعيف فلا يتكبّروا بإنكار النّبي والقرآن المؤدّي إلى هلاكهم اليسير[115] ص446.

الآية الثالثة: الآية الثانيّة عشر من سورة المؤمنـــون

« لقد خلقنا الإنسان » آدم « من سلالة » هي من سللت الشّيء أي استخرجته منه وخلاصته « من طين » متعلّق بسلالة[115] ص342.

الآية الرّابعة: الآية السادسة والعشـرون من سورة الحجر

« ولقد خلقنا الإنسان » آدم « من صلصال » طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر«من حمأ» طين أسود « مسنون » متغيّر[115] ص133.

الآية الخامسة: الآية الرّابعة عشر من سورة الرّحمـــــان

« خلق الإنسان » آدم « من صلصال » طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر « كالفخّار » وهو ما طبخ من الطّين[115] ص263.

4. 3. 2. النّموذج الثّـــاني: الآية الثّامنة والثمانون من سورة النّمل

« وترى الجبال » تبصرها وقت النّفخة « تحسبها » تظنّها« جامدةً » واقفة مكانها لعظمها « وهي تمرّ مرّ السحاب » المطر إذا ضربته الرّيح تسير سيره حتّى تقع على الأرض فتستوي بها مبثوثة ثمّ تصير كالعهن ثمّ تصير هباءً منثورًا « صنع الله » مصدر مؤكّد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله أي صنع الله ذلك صنعا ً« الّذي أتقن » أحكم « كلّ شيء » صنعه « إنّه خبير بما يفعلون » بالياء والتّاء أي أعداؤه من المعصيّة وأولياؤه من الطّاعة[115] ص385.

4. 3. 3. النّموذج الثّالث: الآية الرّابعة والخمسون من سورة الأنعام

« وإذا جاءك الّذين يؤمنون بآياتنا فقل » لهم « سلام » « عليكم كتب » قضى « ربّكم على نفسه الرّحمة إنّه » أي الشّأن، وفي قراءة بالفتح بدل من الرّحمة « من عمل منكم سوءًا بجهالة منه حيث ارتكبه » « ثمّ تاب » رجع « من بعده » بعد عمله عنه « وأصلح » عمله « فإنّه » أي الله « غفور » له « رحيم » به وفي قراءة بالفتح أي بالمغفرة له[115] ص133

4. 3. 4. النّموذج الرّابع: الآية السّابعة والتّسعون من سورة الإسراء

« ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء » يهدونهم « من دونهم ونحشرهم يوم القيامة » ماشين « على وجوههم عميًّا وبكمًّا وصمًّا مأواهم جهنّم كلّما خبت » سكن لهبها « زدناهم سعيرًا » تلهّبًا واشتعالاً[115] ص191.

4.4 التّحليل الإفرادي في آيات أصل الخلق:

4. 4. 1. السيّـــــاق القبلي والبعدي للآيات:

4. 4. 2. الآيـــات:

« خلقكم من تراب »[111]

« من طين لازب »[112]

« من سلالة من طين »[113]

« من حمأ مسنون »[66]

« من صلصال كالفخّار »[55]

(أ)- « يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون* ومن آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمةً إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون » سورة الرّوم، الآيات 19- 20-21 [مكيّة].

(ب) ـ « إلاّ من خطف الخطفة فأتبعة شهابٌ ثاقب * فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم مّن خلقنا إنّا خلقناهم من طين لازب * بل عجبت ويسخرون » سورة الصّافات، الآيات: 10- 11- 12[مكيّة].

(ج)- « الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون * ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين* ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » سورة المؤمنون، الآيات: 11- 12-13[مكيّة].

(د) - « ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * وإنّ ربّك هو يحشركم إنّه حكيم عليم * ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون * والجانّ خلقناه من قبل نار السّموم » سورة الحجر، الآيات: 24- 25- 26- 27 [مكيّة].

(هـ)- « والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنّخل ذات الأكمام * والحبّ ذو العصف والرّيحان * فبأيّ آلاء ربّكما تكذبان * خلق الإنسان من صلصال كالفخّار* وخلق الجانّ من مارج من نار* فبأيّ آلاء ربّكما تكذبان » سورة الرّحمان، الآيات: 10- 16 [مدنيّة].

4. 4. 2. 1. الآية الأولى: « خلقكم من تراب» [111]

خلــق:

قال الجوهري:" الخلق التّقدير: يقال: خلقت الأديم إذا قدّرته قبل القطع ومنه قول زهير:

فلأنت تفري ما خلقت وبعـ ❁❁ ض القوم يخلق ثم لايفري

والخليقة- الخلق والجمع، الخلائق يقال هم خليقة الله، وهم خلق الله أيضا وهو في الأصل مصدر والخلقه بالكسر- الفطرة، ورجل خليق ومختلق أي تامّ الخلق معتدل "، « ومضغة مخلّقة أي تامّة الخلق »[116] ص210.

وجاء في معجم مقاييس اللّغة:" الخاء واللاّم والقاف أصلان أحدهما تقدير الشّيء والآخر ملاسة الشّيء " فأمّا الأوّل فقولهم: خلقت الأديم للسّقاء إذا قدرته قال:

لم يحشم الخالقات فريقها ❁❁ ولم يفض من نطاقها الشرب

ومن ذلك الخلق، وهي السجيّة، ورجل مختلـق تامّ الخلق والخلق خلق الكذب وهو اختلاقـه واختراعه وتقديره في النّفس»[116] ص210.

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن للرّاغب الأصفهاني:" الخلق أصله " التّقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشّيء من غير أصل ولا احتذاء قال:« خلق السّماوات والأرض »[23] أي أبدعها، بدلالة قوله « بديع السّماوات والأرض »[16] ويستعمل في إيجاد الشّيء من الشّيء نحـو:« خلقكم من نفس واحدة »[47]« خلق الإنسان من نطفة »[18]، « خلق الإنسان من سلالـة »[113] و« لقد خلقنـاكم »[41] « خلق الجانّ من مارج »[55] وليس الخلق الّذي هو الإبداع إلاّ لله تعالـى، ولهذا قال في الفصل الّذي بينه تعالى وبين غيره:« أفمن يخلق كمـن لايخلق أفلا تذكّرون »[18] قال: فأمّا الّذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال، كعيسى حيث قال:« وإذ تخلق من الطين كهيئة الطّير بإذني » والخلق لايستعمل في كافّة النّاس إلاّ على وجهين: أحدهما في معنى التّقدير كقول الشّاعر:

فلأنت تفري ماخلقت وبعـ ❁❁ ــض القوم يخلق ثمّ لايفري.

والثاني في الكذب نحو قوله:« وتخلقون إفكا »[39] إن قيل قوله تعالى:« فتبارك الله أحسن الخالقين »[113] يدلّ على أنّه يصحّ أن يوصف غيره بالخلق قيل إنّ ذلك معناه أحسن المقدّرين، أو يكون على تقدير ما كانوا يعتقدون ويزعمون أنّ غير الله يبدع، فكأنّه قيل: فاحسن أن ههنا مبدعين وموحدين، فالله أحسنهم إيجادًا على ما يعتقدون، كما قال:«خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم »[90]، و« لآمرنّهم فليغرنّ خلق الله »[47]، فقد قيل: إشارة إلى ما يشوهونه عن الخلقة بالخصاء ونتف اللّحية، وما يجري مجراه، وقيل معناه: يغيّرون حكمه، وقوله:« لا تبديل لخلق الله » فإشارة إلى ما قدّره وقضاه، وقيل: معنى:« لا تبديل لخلق الله »[111] تهيء: أي: لا تغيّروا خلق الله، وقوله: « وتذرون ما خلق لكم ربّكم »[117] فكناية عن فروج النّساء وكلّ موضع استعمل الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب ومن هذا الوجه امتنع كثير من النّاس من إطلاق لفظ الخلق على القرآن وعلى هذا قوله تعالى:« إن هذا إلاّ خلق الأوّلين »[117] وقوله:« ماسمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلاّ اختلاق »[118] « والخلق يقال في معنى المخلوق والخلق في الأصل واحد كالشُّرب والشَّرب والصُّرم والصَّرم لكن خصّ الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصّ الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة قال تعالى:« وإنّك لعلى خلق الأولين »[117] وذلك ما ذكره الأصفهاني في معجمه[119] ص220.

وجاء في المعجم الوسيط:خلقه: قدره وقاسه على مايريد قبل العمل، ويقال فلان يخلق ثمّ يفري: يقرر الأمر ثمّ يمضيه والله العالم صنعه وأبدعه، ويقال: خلق فلان الشّيء وخلق القول: افتراه، وفي التّنزيل:« إنّما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً ».

من خلال التّعريفات الموجودة في جلّ المعاجم الّتي أوردناها حول لفظ "خلق" نلاحظ إجماعاً على المعنى الدالّ على الخلق المستقيم بمعنى الإيجاد والإبداع من غير أصل ولا احتذاء وهناك إشارة إلى معنى آخر وهو الافتراء من خلق القول كذباً وزوراً كأنّ القائل به يخلق ماسيقول، وليس منه شيء واقع، ومن هذا نلاحظ أنّ كلا المفهومين يصبّان في الإيجاد والصّنع والإنشاء على غير مثال سابق.

وللوقوف على لفظ" خلق " آثرنا أن نجمع كلّ الآيات الّتي ورد فيها الفعل خلق بجميع اشتقاقاته من كامل نصوص القرآن الكريم ولمّا وجدناها بعدد كبير آثرنا أن نأتي في هذا المقام بأمثلة فقط للتّوضيح والتّبيين أمّا بقيّة الآيات فنتركها للملحق من آخر هذا البحث لكثرتها.

« هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » [16]

« ولا يحلّ لهنّ أن يكتمن ماخلق الله في أرحامهنّ »[16]

« وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً » [16]
« بل أنتم بشرٌ ممّن خلق يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء » [27]
« الحمد لله الّذي خلق السّماوات والأرض وجعل الظّلمات والنّور »[23]
« وهو الّذي خلق السماوات والأرض بالحقّ »[23]
« وخلق كلّ شيء فقدّره تقديراً »[120]

ومن أجل أن نلاحظ دقّة استعمال القرآن الكريم للألفاظ كلّ حسب موضعها من الكلام آثرنا أن نأتي بما هو أقرب للفظ المستعمل فشرحناه وحاولنا مقاربته في الآية الّتي نحن بصدد دراستها، فاخترنا بذلك ثلاثة ألفاظ، وهي على التّوالي: نشأ، صنع، وجعل، نبدأ بشرحها أولاً ثمّ نجري مقارنة بينها وبين الفعل" خلق ".

نشـأ: جاء في الصّحاح نشأ: «أنشأه الله: خلقه، والاسم النّشأة، وأنشأ بفعل كذا أي ابتدأ، وفلان ينشيء الأحاديث أي يضعها، النشء أوّل ما ينشأ من السحاب، وناشئة اللّيل: أوّل ساعـــاته»[116] ص116.

ويقول صاحب المقاييس، النّون والشّين والهمزة أصل صحيح يدلّ على ارتفاع في شيء وسمّو ونشأ السّحاب ارتفع وأنشأه الله رفعه ومنه « إنّ ناشئة اللّيل » يراد بها والله أعلم القيام والانتصاب للصلاة ومن باب النشء والنّشأ أحدث النّاس، ونشأ فلان في بني فلان، والناشيء الشابّ الّذي نشأ وارتفع وعلا وأنشأ فلان حديثاً»[52] ص429. وقال الإمام الرّاغب الأصفهاني:« والنّشء والنّشأة إحداث الشّيء وتربيّته» قال تعالى:« علمتم النّشأة الأولى »[120] يقال نشأ فلان والنّاشيء يراد به الشابّ وقوله:« إنّ ناشئة اللّيل هي أشدّ وطأً »[90] يريد القيام والانتصاب للصلاة ومنه نشأ السحاب لحدوثه في الهواء وتربيّته شيئًا فشيئًا قال تعالى:« وينشيء السّحاب الثقال» والإنشاء إيجاد الشّيء وتربيّته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان قال تعالى:« قل هو الّذي أنشأكم وجعل لكم السّمع والأبصار»[121]، وقال:« هو أعلم بكم إذ أنشاكم من الأرض »[122] فهذه كلّها في الإيجاد المختصّ بالله وقوله تعالى:« أفرأيتم النّار الّتي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون»[121] فتشبيه إيجاد النّار المستخرجة بإيجاد الإنسان وقولـه:« أو من ينشأ في الحليّة»[60] أي يربّى تربيّة كتربيّـة النّساء، وقريء « ينشأ » أي يتـربّى[119].

وجاء في المعجم الوسيط مايلي: نشأ الشّيء، نشأ ونشوءًا، ونشأةً: حدث وتجدّد الصّبي شبّ ونما، يقال نشأت في بني فلان نشأةً حسنةً نشأ الشّيء عن غيره نجم وتولّد، وأنشأ يفعل كذا شرع أو جعل يقال أنشأ فلان يحكي الحديث وأنشأ السحاب يمطر وأنشأ الشّيء أحدثه وأوجده يقال: أنشأ الله

الخلق وفي التّنزيل العزيز« وهو الّذي أنشاكم من نفسٍ واحدةٍ » وفيه « وينشئ السّحاب الثّقال » وأنشأ الشّاعر قصيدة أو الكاتب مقالة ألّفها والصّبي ربّاه يقال:« أنشئ في النّعـيم »[123] ص957.

من خلال سردنا لمعاني كلمة نشأ في المعاجم القديمة والمعجم الوسيط كنموذج للمعاجم الحديثة نلاحظ أنّ كلمة نشأ تعني بداية الشّيء وليس بالضّرورة بدايته من العدم كما في لفظ خلق فالخلق أدقّ وأبلغ وأقوى في مواضعه من النّشوء والّذي جاء في مجمله نتيجة حتميّة تمثّل البداية كما في السّحاب يكون نشؤه نتيجة تحوّلات طبيعيّة، أمّا مانلاحظة في المعجم الوسيط من تطوّر دلالي للفظ "نشأ" فهو تولّد الشّيء يعني أن لفظ نشأ اتّسع بمرور الزّمن ليشمل معنى التولّد كأن يتولّد شيء من شيء والنّتاج كأن ينتج شيء عن شيء.

أمّا ما جاء في شرح كلمة "صنع" من خلال المعاجم الأربعة ما يلي:

جاء في معجم الصّحاح: صنع: الصّنع بالضمّ: مصدر قولك صنع إليه معروفًا، وصنع به صنيعًا قبيحًا، أي: فعل، والصّناعة: حرفة الصّانع، وعمله الصّنعة، وامرأة صناع اليدين، أي: حاذقة ماهرة بعمل اليدين، واصطنعت عند فلان صنيعة، واصطنعت فلانًا لنفسي، وهو صنيعتي إذا اصطنعته وخرجته[116] ص524.

وجاء في مقاييس اللّغة: الصّاد والنّون والعين أصل صحيح واحد، وهو عمل الشّيء صنعًا، وامرأة صناع، ورجل صنع، إذا كانا حاذقين فيما يصنعانه، قال الشّاعر:

خرقاء بالخير لا تهدي لوجهتـه ❁❁ وهي صناع الأذى في الأهل والجار

والصنيعة: ما اصطنعته من خير، والتصنّع: حسن السمت، وفرس صنيع: وصنعه أهله بحسن القيام علـيه[41]

وجاء في المفردات ما يلي: صنع، الصنع: إجادة الفعل، فكلّ صنع فعل، وليس كلّ فعل صنعًا، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل، قال تعالى:« صنع الله الّذي أتقن كلّ شيء »[124]، « ويصنع الفلك »[14]، « واصنع الفلك »[14]، « أنّهم يحسنون صنعًا »[125]، « صنعة لبوس لكم »[126]، « تتّخذون مصانع »[117]، « لبئس ما كانوا يصنعون»[27]، « حبط ما صنعوا فيها »[14]، « تلقف ما صنعوا إنّما ما صنعوا...»[127]، « والله يعلم ما تصنعون »[39].

وللإجادة يقال للحاذق المجيد: صنع، وللحاذقة المجيدة: صناع، والصنيعة: ما اصطنعته من خير، وفرس صنيع: أحسن القيام عليه، وعبر عن الأمكنة الشريفة بالمصانع، قال تعالى:« وتتّخذون مصانع »[117] وكنّي بالرّشوة عن المصانعة، والاصطناع: المبالغة في إصلاح الشيء وقوله: « واصطنعتك لنفسي »[127]، « ولتصنع على عيني »[127]، إشارة إلى نحو ما قال بعض الحكماء، « إن الله تعالى إذا أحب عبدًا تفقّده كما يتفقّد الصّديق صديقه »[119] ص493.

أمّا في المعجم الوسيط فقد جاء ما يلي: صنع الشّيء صنعًا: عمله وبه صنعًا قبيحًا: أساء إليه، وله أو إليه معروفًا أسداه وفرسه نحوه: تعهده وأحسن القيام عليه، ويقال صنعه على عينه: إذا تولّى توجيهه في جميع أطوار حياته، وفي التّنزيل العزيز:« ولتصنع على عيني » وصنعه بعين فلان، قام بالعمل شمولاً برعايته، وفي التّنزيل العزيز:« واصنع الفلك بأعيننا ».

صنع: صنعًا: مهر في الصّنع، فهو صنيـع[123] ص545.

من خلال التّعريفات التي أوردناها في المعاجم نلاحظ أن لفظ صنع عند الجوهري من صنعت الشّيء وخرجته، أمّا أحمد بن فارس فيفضّل القول في ذلك بأن: الحذف في صنع الشيء معنى ذلك أنّ الصّنع ليس الفعل فقط إنّما هو الإتقان في إخراج الشّيء وتركيبه. أمّا الأصفهاني فيفصل أكثر إذ يقول صنع فعل وليس كلّ فعل صنع، ويضيف أنّ الصنع لا ينسب للحيوان على عكس الفعل الّذي ينسب إليه، أمّا في المعجم الوسيط فهو الإتّقان والاهتمام بفعل الشّيء أيضا.

ومن خلال هذا التّباين بين شرح كل واحد من أصحاب هذه المعاجم نلاحظ تدقيقاً في ذلك أي أنّ المتأخّر كان أكثر دقّـة، وهذا ما نستطيع أن نسمّيه بالتّطور الدّلالي.

<u>أمّا ما جاء في مفهوم لفظ "جعل" من خلال المعاجم الأربعة فهو كما يلي:</u>

جاء في الصّحاح للجوهري: جعل: جعلت كذا أجعله جعلاً ومجعلاً، وجعله الله نبيًّا أي صيّره، وجعلوا الملائكة إناثًا، أي سمّوهم[116] ص453.

وجاء في المقاييس: الجيم والعين واللاّم كلمات غير منقاسة، لايشبه بعضها بعضًا، فالجعل: النّخل يفوت اليد، والواحدة جعلة، وجعلت الشّيء صنعته: قال الخليل: إلاّ أن جعل أعمّ، تقول جعل يقول ولا تقول صنع[52] ص436.

وجاء في المفردات: لفظ عامّ في الألفاظ كلّها وهو أعمّ من فعل وصنع وسائر أخواتها، ويتصرّف على خمة أوجه:

الأوّل: يجري مجرى صار، وطفق، فلا يتعدّى نحو: جعل زيد يقول كذا قال الشّاعر:

فقد جعلت قلوص بني سهيل ❁❁ من الأكوار مرتعها قريب

والثّاني: يجري مجرى أوجد، فيتعدّى إلى مفعول واحد نحو قولـه عزّ وجلّ:« وجعل الظّلمات والنور »[23]، « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة »[18].

والثّالث: في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه، نحو:« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًـا »[18]، « وجعل لكم من الجبال أكنانًا »[18]، « وجعل لكم فيها سبلاً »[60].

والرّابع: في تصير الشّيء على حالة دون حالة، نحو:« الّذي جعل لكم الأرض فراشًا »[16] وقوله:« جعل لكم ممّا خلق ظلالاً »[18]، « وجعل القمر فيها نورًا »[77]، وقوله تعالى:« إنّـا جعلناه قرآنًا عربيًا »[60].

الخامس: الحكم بالشّيء على الشّيء، حقًّا كان أو باطلاً، فأمّا الحقّ فنحو قوله تعالى:« إنّـا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين »[128] وأمّا الباطل فنحو قوله عزّ وجلّ:« وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً »[23]،« ويجعلون لله البنات »[18]،« الّذين جعلوا القرآن عضين »[66].

والجعل والجعالة والجعيلة: ما يجعل للإنسان بفعله فهو أعمّ من الأجرة والثّواب[119] ص197.

وجاء في المعجم الوسيط: جعل الله الشّيء: جعلاً: خلقه وأنشأه، وفي التّنزيل العزيز: « وجعل الظّلمات والنّور »، وجعله، صنعه وفعله، وجعله على كذا، وفيه: وضعه وألقاه، ويقال ألم أجعلها بظهر، لم أجعل حاجتك وراء ظهري، بل جعلتها نصب عينيّ، وجعل الشّيء كذا، صيّره إيّـاه[123] ص130.

من خلال التّعريفات الّتي وجدناها من خلال المعاجم الأربعة المستعملة لاحظنا أنّ هناك شرحا وتفصيال للفظ من معجم إلى آخر فبداية بالجوهري نجده يحدّ المعنى بقوله: جعل الشّيء: مسيره، ويقتصر فقط على هذا المعنى أمّا أحمد بن فارس في مقاييسه فيوسّع نظرته بقليل عن الجوهري فيقول: جعل أعمّ من صنع ويوافقه في ذلك صاحب المفردات بقوله: جعل من فعل وصنع ويوسّع أكثر بقوله أنّها تأخذ خمسة معاني منها طفق/ صيّـر/ أوجد، أمّا المعجم الوسيط فيفصّل معنى لفظ جعل: بصنع، جعل الله الشّيء: خلقه وأوجده وهذا أكثر دقّـة من سابقيه بحيث يفصّل القول ويميّزه بحيث يقول أنّ استعمال الكلمة جعل للإنسان أن يغير الشّيء من وضع إلى وضع فيصيّره شكلاً آخر، أمّا إذا كان الفاعل هو الله عز وجل، فإنّه يحمل معنى الخلق والإنشاء، ومن خلال تباين

التّعريفات لهذا المصطلح فإنّنا نلاحظ أنّه كلّما كانت الفترة الزّمنية متأخّرة كلّما ازداد المصطلح دقة وهذا ما نستطيع أن نسمّيه بالتّطور الدّلالي.

4.4. 2. 2. 1مقارنـة بيـن لفـظ "خلـق" ولفـظ "نشـأ"، "صنـع" و"جـاء":

ومن أجل الكشف عن معاني الألفاظ الثلاث نأتي بالآية: « وخلقكم من تراب » ونحاول أن نضعها مكان اللّفظ الأصلي من أجل أن نتأكّد من مدى انعدام التّرادف بينها، فإذا ووضعنا مكان لفظ خلق لفظ نشأ، نقول: أنشأكم من تراب فنلاحظ أنّ هذه الجملة تختلف كثيرًا عن الآية في أصلها فالآية تحمل معنى الخلق على غير صورة سابقة أي الإيجاد على غير مثال، أمّا عندما نقول: أنشأكم من تراب فإنّنا نحتمل أن يكون الشّيء موجودًا والنّشوء هو نموّه وتطوّره كما أنّ النّشوء لا يعني البداية من العدم أو من شيء مماثل، وقد يكون ناتجًا منطقيًا أو حتميّةً طبيعيّة، كنشوء الدّخان عن النّـار، أمّا ما نلاحظه على كلمة خلق بالنّظر إلى الآيات التي جمعناها ونلاحظ أنّ الخلق يعني الإنشاء بالإضافة إلى قوّة خارقة تنقل وضعًا ما إلى وضع جديد لا يستوجب التّحول المنطقي، فعندما نعود إلى الآية: « خلقكم من تراب » فإنّه لا يتحتّم أن يكون كلّ ما هو موجود من أتربة على سطح الكرة الأرضيّة يتحوّل بالضرورة إلى خلقه الإنسان حتّى مع مروره بمراحل مختلفة، وليس بالضّرورة كل طين لازب هو الآخر متحول بالضرورة إلى إنسان، وكذلك السلالة من الطين، والحمأ المسنون والصلصال، فرغم التدقيق في هذه المراحل إلا أن الخلق لا يمكنه أن يكون من هذه العناصر إلا إذا اجتمع بقوة خارقة لا يستطيع أن يقوم بها قائم توفرت لديه شروط حصول الشيء، وبهذا نكون قد لاحظنا أن الإنشاء في الآية يفقدها خصوصية توضيح القدرة الإلهية، وبهذا نجد أن مصطلح نشأ لا يرادف مصطلح خلق. فمن خلال هذه الآية إذن نلاحظ أن الخلق غير الإنشاء، فالخلق مقرون بقوة خارقة أما الإنشاء فهو أقل درجة منه وقد يكون مرحلة تاليّة للخلق الّـذي هو الأساس.

أمّـا إذا ذهبنا إلى لفظ صنع وقارناه مع خلق من خلال الآية « خلقكم من تراب » فإنّنا نلاحظ أنّ الصّنع هو إخراج الشّيء وتركيبه في أحسن حلله، ولا يشترط فيه أن يكون على غير مثال يحتذى، كما أنّ الصّنع لا ينسب إلى غير العاقل، أمّا ما نجده في الآيات الكريمات من القرآن الكريم من آيات تضمّنت لفظ صنع كقوله تعالى:« ولتصنع على عيني » مثلاً فهنا نلاحظ نهاية الرّعاية الإلهيّة لعبده فكأنّ هذا الصّنع هو تكفّل الله عزّ وجلّ وتوليّ التّوجيه والعناية وحسن القيام عليه في جميع أطوار حياته، فنلاحظ من خلال هذه الآية أنّ الصّـنع يحمل معنى تكوين وتركيب مجموعة من الأشياء من أجل الوصول إلى ناتج آخر، فالصّنع إذن لا يحمل معنى الإبداع بالضّرورة، فما نلاحظه من خلال الآية« وخلقكم من تراب » عندما نضع لفظ صنع مكان اللّفظ" خلق " هو أنّ الصّنع جمع

وتركيب أوّلاً، كما أنّه لا يحمل القدرة الخارقة الّتي يحملها لفظ" خلق " فباستعمال لفظ "نشأ" يكون المعنى الحذق في التّركيب والتّكوين في أي مرحلة من المراحل أمّا في لفظ" خلق " فمعنى ذلك الإبداع على غير مثال، وخاصّة المرحلة الأولى من ظهور الشّيء، وهكذا نلاحظ أنّ اللّفظتين غير مترادفين فكلّ واحدة تحمل معنى. أمّا إذا جئنا إلى لفظ - جعل- وتعاملنا معه بنفس الطريقة كما في" نشأ " و" صنع " فإنّنا نلاحظ أنّ الجعل هو تصيير الشّيء وردّه إلى حال آخر، وقد سبق وأن أوردنا ما جاء في المقاييس قول الخليل بن أحمد أنّ كلمة جعل أعمّ من صنع[52] ص461. لقد أشرنا إلى أنّ الصّنع هو الإيجاد بتركيب وتكوين الأشياء ببعضها بعضا، أمّا إذا كان القائم بالفعل (جعل) هو الله سبحانه وتعالى فإنّها تقترب إلى معنى الخلق والإنشاء[123] ص130. كما أورد ذلك المعجم ولكن ما نلاحظه بين آيات القرآن الكريم الّتي ورد فيها لفظ الخلق والآيات الّتي ورد فيها لفظ" جعل " فإنّنا نلاحظ أنّ الخلق يكون في الإبتداء، أمّا جعل الشّيء فهو اختيار الهيئة الّتي يكون عليها الشّيء: معنى ذلك أنّ الخلق سابق للجعـل كما نجده في هذه الآيات مثلاً:

« وجعل الظلمات والنّور »[23]

« وجعل لكم السّمع والأبصار والأفئدة »[18]

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا »[18]

نلاحظ أنّ الآية الأولى لم يرد فيها لفظ "خلق" لأنّ خلق السماوات والأرض كان هو الأسبق، ثمّ جاء بعدّة مكمّلات أخرى فكان منها الظلمات والنّور، وفي الآية الثانيّة نرى أن خلق الإنسان ككلّ كان هو الأوّل فالسمع والأبصار والأفئدة كانت مكمّلات لهذا الخلق، وفي الآية الثالثة نجد أنّ الله عزّوجلّ خلق الإنسان أوّلاً ثمّ أوجد له عنصرًا يكمّله فخلق له من نفسه زوجًا، وهكذا نلاحظ أنّ لفظ " جعل " و" خلق " غير مترادفين. وبهذا نقرّر أنّ لفظ خلق هوأكثر صوابا في هذه الآية لما تحمله من دلالات دقيقة قد لا يرتقي إليها فهم من لم يتفقّه في معاني الألفاظ ولم يكن له تمييز للّسان العربي.

"تـراب":

جاء في الصّحاح مايلي:« التّراب فيه لغات، تراب، وتوارب وتورب وتيرب وترب وتربة وترباء وتيراب وتريب وتريب وجمع التّراب تربة وتربان والتّرباء الأرض نفسها وترب الشّيء بالكسر أصابه، التّراب ومنه ترب الرّجل افتقر، فكأنّه لصق بالتّراب، يقال تربت يداك، وهو على الدّعاء، وتربتُ الشّيء تتربا فتترب أي تلطخ بالتّراب[116] ص140.

ويقول أحمد بن فارس:" ترب: التّاء، والزّاء، والباء أصلان، أحدهما التّراب وما يشتقّ منه والآخر تساوي الشّئين، فالأوّل التّراب، وهو التّرب والتّوارب ويقال ترب الرّجل إذ افتقر كأنّه لصق

بالتّراب، وأترب إذا استغنى كأنّه صار له من المال بقدر التّراب والتّرباء الأرض نفسها، ويقال ريح تربة إذا جاءت بالتّراب قال:

لا بل هو الشّوق من دار نخولها ❁❁ سرًّا سحاب وسرًّا بـــارح[52] ص346.

أمّا صاحب المفردات فيقول:" التّراب معروف، قال تعالى:« أئذا كنّا تراباً »[90] وقال تعالى:« خلقكم من تراب »[129]، « يا ليتني كنت تراباً »[130] وترب افتقر كأنّه لصق التّراب قال تعالى:« أو مسكيناً ذا متربة »[131] أي ذا لصوق بالتّراب لفقره، وأترب: استغنى كأنّه صار له المال بقدر التّراب والتّرباء الأرض نفسها، والتّيرب واحد التّيارب والتّورب والتّوارب، التّراب وريح تربة: تأتي بالتّراب ومنه قوله عليه السّلام:« عليك بذات الدّين تربت يداك » تنبيهًا على أنّه لاتفوتك ذات الدّين، فلا يحصل لك ترويّة فتفتقر من حيث لاتشعر، ورياح ترب وريح فيها تراب والتّرب ضلوع الصّدر الواحدة، قال تعالى:« يخرج من بين الصّلب والتّرائب »[132] وقوله« أبكاراً عرباً أتراباً »[120]، « وكواعب أتراباً »[130]، « وعندهم قاصرات الطّرف أتراب »[118] نشأت معاً تشبيهاً في التّساوي والتّماثيل بالتّرائب الّتي هي ضلوع الصّدر أو لوقوعهنّ على الأرض، وقيل: لأنهن في حال الصّبا يلعبن بالتّراب "[119] ص165.

أمّا ما جاء في المعجم الوسيط حول مفردة تراب فهو كالتّالي:« مانعم من أديم الأرض (ج) أتربة، وتربان والتّرب: التّراب »[123] ص63.

فإنّنا نلاحظ أنّ مادّة تراب تعني الأصل من المادّة المكونة منها الأرض ببساطتها فمن اشدّ فقره قيل عنه ترب الرّجل وهذا تمثيل للصوقه بالتّراب كأنّه لا يعلو عنه بسبب فاقته الّتي جعلته قريبا من التّراب وتقال الكلمة أترب من نفس المصدر عن الرّجل إذا استغنى يعني كثر ماله فماله كالتّراب كثير والتّرباء الأرض نفسها لذا تعني مفردة التّراب في أصلها تربة الأرض أي المادّة الأساسيّة الّتي خلق فيها الإنسان وإليها يعود كما جاء ذلك في الحديث الشّريف:« كلّكم لآدم وآدم من تراب » فالتّراب إذن هو المادّة الأساسيّة الّتي خلق منها الإنسان كما ورد ذلك في الآية:« خلقكم من تراب »[111] فالتّراب هنا يعني به المادّة الضّروريّة للخلق وفي آيات أخرى ورد أصل الخلق من طين ومن حمأ ومن صلصال كالفخّار وغير ذلك من الموادّ الّتي يرجع أصلها إلى التّراب وفيما يلي جمعنا كلّ الآيات الّتي وردت فيها كلمة تراب وذلك من أجل الوقوف على المعنى الدقيق الّذي جاء في القرآن الكريم حسب مواضعه.

4. 4. 2. 2. الآية الثانيّة:« من طين لازب »[112]

الطّيــن:

قال الجوهري:« الطّين معروف، والطّينة أخصّ منه، وطيّنت السّطح، وبعضهم يذكره ويقول: طنت السّطح فهو مطين ».

وأنشــد:

فأبقى باطلي والجدّ منها ❁ ❁ كدكّان الدّرابنة المطين.

والطّينــة: الخِلقَــةُ والجبلّة، يقـال: فلان من الطّينة الأولى، وطان فلان كتابه: ختمه بالطّين. ويقول ابن السّكيت: طانه الله على الخير، وطانه أي جبله عليه[116] ص13.

وجاء في معجم مقاييس اللّغة:" الطّاء والياء والنّون كلمةٌ واحدة، وهو الطّين وهو معروف، ويقال طيّنت البيت، وطنت الكتاب، ويقال طانه الله تعالى على الخير أي جبله وكأن معناه والله أعلم من طنت الكتاب أي ختمته كأن طبعه على الخير وختم أمره به"[52]ص473.

أمّا ما جاء في مفردات ألفاظ القرآن:" الطّين: التّراب والماء المختلط، وقد يسمّى بذلك وإنّ زال عنـه قوّة المـاء، قال تعالى:« من طيـن لازب »[112] يقال: طنت كذا، وطيّنته، قـال تعالى: « خلقتني من نار وخلقته من طين »[52] ص76. وقوله تعالى:« فأوقد لي ياهامان على الطّين »[128] كما جاء في معجم الأصفهاني [119] ص533.

وجاء في المعجـم الوسيـط:" الطّيـن: مادّة تتكوّن من سيليكات وألومنيات بعض العناصر مختلطة ببعض الموّاد العضويّة، حبيباتها دقيقة متماسكة والتّراب المختلط بالماء، وقد يسمّى بذلك وإن زالت عنه رطوبة الماء، والوحل جمع أطيان، والطّينة القطعة من الطين كان يختم بها على الكتب والرّسائل ونحوها قديمًا والطيّان: صانع الطّين ومباشره "[123] ص591.

من خلال التّعريفات الموجودة في جلّ المعاجم التي أوردناها حول لفظ " طيــن " نلاحظ أوّلاً بين معجم الصّحاح للجوهري ومعجم مقاييس اللّغة لأحمد بن فارس تقاربًا كبيرًا في شرح معنى اللّفظ واستعمالاته، وهذا ما يدلّ على أنّ أحدهما أخذ عن الآخر وإذا عدنا إلى فترة حياتهما فنجد أنّ كلاهما عاش في نهاية القرن الرّابع للهجرة ولا يفصل بين وفاتهما إلاّ عامين حسب ما أُرِّخَ لذلك، فالجوهري صاحب الصّحاح توفيّ عام 393 هـ أمّا أحمد بن فارس صاحب معجم مقاييس اللّغة توفيّ عام 395 هـ، وما نلاحظه في شرحهما لفظة" الطّيـن " في معجميها أنّها مادّة تستعمل في التّطيين أي يطيّن بها

البيوت و السّطوح وغير ذلك، كما أنّها أخذت معنى من جبله الله الخير فيقال طانه الله على الخير، وكذلك طنت الكتاب إذا ختمته، كلّ هذه المعاني جاءت في كلا المعجمين.

أمّا صاحب المفردات فقد ذهب إلى تفسير لفظ الطّين في حدّ ذاتها فقال هو التّراب والماء المختلط، وأتى بعد ذلك بشواهد قرآنيّة وردت فيها مادّة " طيـن "، ولم يكرّر ما جاء في المعجمين السّابقين رغم تأخّره عنهما.

أمّا في المعجم الوسيط فنجد أنّه يدقّق في توضيح لفظة" الطّين " كونه مادّة تتكوّن من عناصر معيّنة، ويتمادى في شرح مكوّناتها ويأتي في الأخير فيرى أنّ لفظ الطّين كان يختم بها الكتب والرّسائل ونحوها في القديم، وهذا ما أشار إليه الجوهري وأحمد بن فارس في معجميهما.

إنّ ما نلاحظه مجملاً من خلال هذا التّباين بين التّعاريف ليس إلا دليلاً على أنّ الزّمن كفيل بالكشف عن العلوم والمعارف الجديدة فمفهوم اللّفظة أخذ دقّـة أكثر من السّابق نتيجة التّطور العلمّي على كلّ مستوى من الاكتشافات والعلوم الحديثة وفي الوقت ذاته لم تفقد اللفظة معناها الأوّل، وإنّما توسّعت في الاستعمال والدقّة في الشّرح.

وهذه بعض الآيات الّتي جمعناها من خلال الكتاب الشّريف تحتوي على لفظة" الطين " ونكتفي بخمس آيات لنورد البقيّة في هامش هذا البحث.

« أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير »[56]

« فسجدوا إلاّ ابليس قال أسجد لمن خلقت طينًا »[114]

« لنرسل عليهم حجارةً من طين »[133]

« فأوجد لي يا هامان على الطّين فاجعل لي صرحًا »[128]

« هو الّـذي خلقكم من طين ثمّ قضى أجلاً »[23]

<u>لازب:</u>

جاء في معجم الصّحاح" طين لازب ": أي: لازق، تقول منه لزب الشّيء يلزب لزوبًا بالضمّ، واللاّزب: الثّـابت، تقول: صار الشّيء ضربة لازب، وهو أفصح من لازم، قال النّابغة:

ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده ❁❁ ولا يحسبون الشرّ ضربة لازب.

وأصابتهم لزبة، أي شدّة وقحط والجمع اللّزبات بالتّسكين، لأنّه صفة والملزاب: البخيل الشّديد: وأنشد أبو عمرو:

لا يفرحون إذا ما نضخة وقعت ❁❁ وهم كرام إذا اشتدّت الملازيب[116] ص329.

أمّا ما جاء في معجم مقاييس اللّغة: لزب: اللاّم والزّاء والباء يدلّ على ثبوت شيء ولزومه، يقال اللاّزم لازب، وصار هذا الشّيء ضربة لازب أي لا يكاد يفارق: قال النّابغـة:

ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده ❁❁ ولا يحسبون الشرّ ضربة لازب.

واللّزبة: السّنة الشّديدة والجمع لزبان، كأنّ القحط لزب، أي ثبت فيها[52] ص246.

وقد جاء في معجم مفردات ألفاظ القرآن:" اللاّزب: الثّابت الشّديد الثّبوت، قال تعالى:« من طين لازب »[112]، ويعبّر باللاّزب عن الواجب، فيقال: ضربة لازب، واللّزبة السّنة الجدبة الشّديدة وجمعها اللّزبات "[119] ص793.

أما ما جاء في معنى كلمة لزب في المعجم الوسيط لزب الشّيء لزوبًا: ثبت: فهو لازب، يقال: صار الأمر ضربة لازب، واشتدّ، والطّين: لزق وتماسك، ويقال: لزب بالشّيء: لصق العامّ، قحط وأجدب فهو لازب، العقرب فلانًا، لزبًا: لسعته.

لزب: الطّين: لزبًا:لزب الشّيء:ضاق: قل، فهو لزب، يقال: طريق لزب وعيش لزب جمع لزاب،لزب: الشّيء لزبًا ولزوبًا: دخل بعضه في بعض وتماسك: يقال: لزب الطّين ونحوه، تلازب: الشّيء: تراكم،اللّزب: الطّريق الضيّق، اللّزبة: الشدّة والأزمة، يقال: أصابتهم لزبة: شدّة وقحط جمعها لزب ولزبات ولزبات[123] ص853.

بعد سردنا للتّعاريف الشّارحة للفظ لزب في المعاجم الأربعة التّي اعتمدنا عليها نلاحظ دائمًا أنّ الشّرح في الصّحاح ومقاييس اللّغة يتقارب إلى حدّ بعيد حتّى أنّهم استشهدوا بنفس البيت الشّعري فلفظ لزب غيرهما هو اللاّزق أي الشّديد التّماسك، واللّزبة السنّة الشديدة الجدباء كأنّ القحط لزب فيها أي ثبت فيها.

أمّا في معجم المفردات فيذكر صاحبه كذلك معنى الثّبوت الشّديد، ويقول: ويعبّر باللاّزب عن الواجب أي يرى أنّ الواجب ثابت على صاحبه الّذي يجب أن يؤدّيه.

أمّا في المعجم الوسيط فإنّنا كذلك نجد أنّ اللّفظ أخذ معنى الثّبوت والشدّة لكن ما نلاحظه على الأمثلة الواردة فيه فهي كثيرة الإستعمال، فهي بمعنى الثّبوت كما سبق وإن ذكرنا التّماسك والتّراكم والضّيق الّذي نقصد من ورائه مكان ضيق والضيق بمعني الشدّة والأزمة والقحط والجدب، فمن خلال المعجم الوسيط نجد أنّ اللفظ حافظ على معناه الأوّل لكن توسّع في استعمالاته.

أمّا فيما يخصّ جمع الآيات الّتي ورد فيها لفظ لزب فقد جاء في آية واحدة وهي:« إنّا خلقناكم من طين لازب»[112]

4. 4. 2. 3. الآية الثّالثـة:« من سلالة من طين»[113]

سلالــة:

قال الجوهري في صحاحه:« سلالة الشّيء: ما استلّ منه، والنّطفة سلالة الإنسان»[116] ص550.

وجاء في معجم مقاييس اللّغة:« سلّ: السين واللاّم أصل واحد، وهو مدُّ الشّيء في رفق وخفاء ثمّ يحمل عليه، فمن ذلك سللت الشّيء أسلُّه سلاً»، والسّلالة والإسلال السّرقة، وفي حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين كتب:«لا إغلال ولا إسلال» فالإغلال: الخيانة، والإسلال: السّرقة، ومن الباب: السّليل: الولد، كأنّه: سلّ من أمّة سلاً، قالت امرأةٌ من العرب في ابنها:

سُلّ من قلبي ومن كبدي ❁❁ قمرًا من دونه القمــر.

وممّا حمل عليه: السلسلة، سمّيت بذلك لأنّها ممتدّة في اتّصال، ومن ذلك تسلسل الماء في الحلف إذا جرى وماء سلسل وسلسال وسلاسل قال الأخطل:

إذا خلف من نجم عليها ظماءةً ❁❁ أمال إليها جدولاً يتسلسل[52] ص60.

أمّا ما جاء في مفردات الألفاظ مايلي: سلّ الشّيء من الشّيء: نزعه، كسلّ السّيف من الغمد، وسلّ الشّيء من البيت على سبيل السّرقة، وسلّ الولد من الأب، ومنه قيل للولد: سليل، قال تعالى: « يتسلّلون منكم لوادًا »[134]، وقوله تعالى:« من سلالة من طين »[113]، أي من الصفو الّذي يستلّ من الأرض، وقيل: السّلالة كناية عن النّطفة تصوّر دونه صفو ما يحصل منه[119] ص418.

أمّا ما جاء في الوسيط فهو:" ما استلّ من الشّيء وانتزع"، والنّطفة، وفي التّنزيل العزيز: « ثمّ جعل نسله من سلالة من مّاء مّهين »[135]، وجماعة من الكائنات الحيّة تتّفق في صفاتها العرقيّة الموروثة[123] ص462.

من خلال ما ورد في هذه المجموعة من المعاجم نلاحظ ما يلي: كلمة سلالة مأخوذة من الفعل سلّ أيّ سلّ شيء من شيء بمعنى أخذ شيء من شيء فتعريف الجوهري في صحاحه كان مختصرًا فقد حصر معنى اللّفظ في كون سلالة (ما استلّ من الإنسان والمتمثّلة في النّطفة).

أمّا أحمد بن فارس فيوسّع النّظر في لفظ سلالة فيذكر حديثًا نبويًا جاء عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيشرح الإسلال بالسّرقة أي سلّ الشّيء المسروق من الشّيء المسروق منه، ويضيف كذلك أنّ الولد سليل أمّه أي استلّ منها، ويصل إلى السّلسلة وتسلسل الماء إلى غير ذلك من شرحه.

فأمّا الرّاغب الأصفهاني فيقول أنّ: سلّ شيء من شيء كسلّ السيف من الغمد وسلّ شيء من البيت سرقته، وسلّ الولد من الأبّ، والصفو الّذي يستلّ من الأرض.

أمّا المعجم الوسيط فقد احتفظ بنفس المعاني الّتي وردت في المعاجم السّابقة إلاّ أنّه أضاف لها شرحًا ينحو الدّقة فمثّل بقوله جماعة من الكائنات الحيّة الّتي تتّفق في صفاتها العرقيّة الموروثة لأنّها استلّت من أصل واحد.

هذا بالنّسبة للفظ (سلالة) أمّا اللّفظ الّذي يسهل علينا فهم الآية فهو لفظ (طيـن) و بما أنّه سبق وأن بحثنا في هذا اللّفظ في النّموذج السّابق (الآية الحادية عشر من سورة الصافات) فلا داعي أن نكرّر ما سبق ذكره.

الآيات الّتي ورد فيها لفظ: سلالـــة

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين »[113]

« ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مّهين »[135]

« من حمأ مسنون »[66]

4. 4. 2. 4. الآية الرّابعة:« من حمأ مسنون»[66]

حمـــأ:

جاء في معجم الصّحاح للجوهري: الحمأ: الطّين الأسود، قال الله تعالى:« من حمأ مسنون » وكذلك الحمأة بالتسكين، تقول منه: حمأت البئر حمأ(بالتّسكين) إذا نزعت حمـــأتها.

وحمأت البئر حمأ بالتّحريك: كثرت حمأتها، وأحمأتها إحماءً: ألقيت فيها الحمأة، عن ابن السّكيت. وحمئـــت عليه: غضبت عليـه[116] ص56.

وجاء في المقاييس: الحاء والميم فيه تفاوت، لأنّه متشعّب الأبواب جداً، فأحد أصوله اسوداد، والآخرالحرارة، والثّالث الدنّو، والرّابع جنس من الصوت، والخامس القصد، فأمّا السّواد فالحمم الفحم، قال طرفة:

أشجاك الرّبع أم قدمـه ❁❁ أم رمـــاد دارس حممـــه.

ومنه اليحموم، وهو الدّخان، والحمحم، نبت أسود، وكلّ أسود حمحم، ويقال حممته إذا سخمت وجهه بالسّخام، وهو الفحم، ومن هذا الباب: حمّم الفرخ إذا طلع ريشه، قال:حمـــم فرخ كالشكير الجعد، وأمّا الحرارة فالحميم الحارّ، والاستحمام: الاغتسال به، ومنه الحمّ: وهي الألية تذاب، فالّذي يبقى منها بعد الدّوب حمّ واحدته حمة ومنه الحميم وهو العرق، وقال أبو ذؤيب:

تأبـى بدرتها إذا ما استغضبت ❁❁ إلاّ الحميم فإنّه يتبصّـع[52] ص23.

وجاء في معجم مفردات ألفاظ القرآن: الحمأة والحمأ: طين أسود منتن، قال تعالى:« من حمأ مسنون » ويقال: حمأت البئر: أخرجت حمأتها، وأحمأتها: جعلت فيها حمأ، وقريء« في عين حمئة » ذات حمأ[119] ص250.

وجاء في المعجم الوسيط: حمّ: التّنور ونحوه: حمًّا أوقده، والماء ونحوه: سخّنه، والشّحم ونحوه، أذابه، والأمر فلاناً، أهمّه، ويقال:حمّ حمّته، قصد قصده، والله كذا: قضاه وقدره.

حمّ: الماء ونحو، حممًا: سخن، والشّيء: اسودّ، والجرّة: احترقت من النّار، فهو أحمّ وهي حمّاء وجمعها حمّ[123] ص206.

في صحاح الجوهري يحمل لفظ" حمأ " معان عدّة أوّلها أساساً الطّين الأسود وحمأ البئر بصفة عامّة من كثرة حمأتها وكذلك من جرّاء ما ألقي فيها من الحمأة: وحمي فلان أي غضب ومعنى ذلك أنّ الإنسان إذا غضب ارتفعت درجة حرارته وشعر بغليان في دمه.

أمّا صاحب المقاييس فيفصّل أكثر في لفظ" حمأ " من اسوداد اللّون والحرارة والدنوّ والحضور وغيرها، أمّا ما جاء في المفردات فقد اعتمد أساسًا على معناها من خلال الآية« من حمأ مسنون » فقال أنّها طين أسود منتن أمّا المعجم الوسيط فتوسّع أكثر من المعاجم السابقة في شرح اللّفظ فزاد على ما سبق أنّ الأمر أهمّ صاحبه فمن هذا نلاحظ أنّ الحمأ أصله الحرارة الشديدة الّتي بلغت درجة كبيرة فأصبحت سوداء قاتمة، ومن خلال معنى هذا اللّفظ من المعاجم الأربعة الّتي اعتمدناها للدّراسة والتّحليل نرى أنّ المصطلح توسّع مفهومه ولم يقتصر على معانيه القديمة فحسب.

<u>الآيات الّتي ورد فيها لفظ: حمـأ:</u>

« ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون »[66]

« إنّي خالق بشرًا من صلصال من حمإ مسنون »[66]

« قال ألم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون »[66]
حمئة:« حتّى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة »[125]

مسنــون:

جاء في معجم الصّحاح:« السنن: الطّريقة، يقال: استقام [فلان] على سنن واحد، الحمأ المسنون: المتغيّر المنتن وسنة الوجه: صورته والمسنون: المصور، وقد سننته أسنّه سنًّا إذا صوّرته والمسنون: الممْلس وحكي أنّ يزيد بن معاوية قال لأبيه: ألا ترى، عبد الرّحمان بن حسّان يشبّب بابنتك؟ فقال معاوية: وما قال؟ فقال:

هي زهراء مثل لؤلؤة الغـ ❁❁ ـوّاص ميزت من جوهر مكنون.

فقال معاوية: صدق.

فقال يزيد: إنه يقول:

وإذا ما نسبتهـا لم نجـد ❁❁ في سناء من المكـارم دون.

قال: صدق.

قال: فأين قول:

ثمّ خاصرتها إلى القبّة الخضـ ❁❁ ـراء تمشي في مرمر مسنون.

فقال معاوية: كذب.

ورجل مسنون الوجه، إذا كان في أنفه ووجهه طول[119] ص573.

أما ما جاء في مقاييس اللّغة: السّين والنّون أصل واحد مطّرد، وهو جريان الشّيء واطّراده في سهولة، والأصل قولهم سننت الماء على وجهي أسنّه سنًّا، إذا أرسلته إرسالاً، ثمّ اشتقّ منه رجل مسنون الوجه كأنّ اللّحم قد سنّ على وجهه، والحمأ المسنون من ذلك، كأنّه قد صبّ صبًّا[52] ص60.

أمّا ما جاء في المفردات: السّنن جمع سنة، وسنة الوجه، طريقته، نحو:« سنّة الله الّتي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً »[136]، « ولن تجد لسنّة الله تحويلاً »[129]، فتنبيه أنّ فروع الشّرائع، وإن اختلفت صورها، فالفرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدّل وهو تطهير النّفس وترشيحها للوصول إلى ثواب الله تعالى وجواره، وقوله:« من حمأ مسنون »[66].
قيل متغيّر وقوله:« لم يتسنّه »[16] معناه: لم يتغيّر، والهاء للاستراحة[119] ص429.

من خلال ما جاء في المعاجم الّتي اعتمدناها بداية بمعجم الصحّاح للجوهري نلاحظ أنّ كلمة مسنون إذا كانت مضافة إلى كلمة أخرى تعني أحد العناصر المكوّنة لأصل جسم الإنسان كالحمأ كما

ورد في الآية السادسة والعشرين من سورة الحجر والّتي ورد في متنها:«...من حمأ مسنون» وحملت معاني كثيرة منها:« المتغيّر » وكذا الإتّقان في التّصوير والمسنون المصوّر معنى ذلك أنّ الإنسان لمّا خلقه الله سبحانه وتعالى أحسن تصويره وورد معناها في معجم مقاييس اللّغة بمعنى صبّ الشّيء صبًّا، أمّا ما ورد في معجم مفردات ألفاظ القرآن سنّة الوجه: طريقته، وقال في معنى مسنون في متن الآية من حمأ مسنون معنى: متغيّر، وقوله:« لم يتسنّه » معناه لم يتغيّر من خلال هذه التّعاريف نرى أنّ معنى كلمة مسنون بمفهوم (متغيّر) ورد عن الجوهري و الأصفهاني أمّا عند أحمد بن فارس فلم يرد ذلك.

الآيات الّتي ورد فيها لفظ: مسنــون:

« ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون »[66]

« إنّي خالق بشرًا من صلصال من حمإ مسنون »[66]

« قال ألم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون »[66]

4. 4. 2. 5. الآية الخامسة: « من صلصال كالفخّــار»[55]

صلصــال:

جاء في معجم الصحّاح:" الصّلصال: الطين الحرّ خلط بالرّمل فصار يتصلصل إذا جفّ، فإذا طبخ بالنّار فهو الفخّار، عن أبي عبيدة وصلصة اللّحام: صوته إذا ضوعف وتصلصل الحليّ أي صوّت "[116] ص571.

وجاء في معجم مقاييس اللّغة:" وأمّا الصوت فيقال صلّ اللّجام وغيره، إذا صوّت، فإذا كثر ذلك منه: قيل صلصل، وسميّ الخزف صلصالاً لذلك، لأنّه يصوّت ويصلصل "[55]

وجاء في معجم ألفاظ القرآن: تردّد الصوت من الشّيء اليابس، ومنه قيل: صلّ المسمار، وسمي الطّين الجافّ صلصالاً: قال تعالى:« من صلصال كالفخّار »[55]،« من صلصال من حمإ مسنون »[66]، والصلصلة، بقيّة ماء، سمّيت بذلك لحكاية صوت تحرّكه في المزادة وقيل: الصلصال المنتن من الطّين، من قولهم، صلّ اللّحم، قال: وكان أصله صلاّل، فقلبت إحدى اللاّمين وقريء أئذا صللنا أي: أنتنّا وتغيّرنا من قولهم: صلّ اللّحم وأصلّ "[119] ص489.

أمّـا في المعجم الوسيط فقد جاء كما يلي:" الصّلصال، الطّين اليابس، الصلصل، صخر طيني يحتوي على مادّة لاحمة هي السّليكا وتصلصل: صلصل: الغدير ونحوه: جفّ، الصلصل: ناصيّة

الفرس، ج(صلاصل) والصلصل: البقيّة من الماء في الغدير أو الإناء، وما ابيضّ من ظهر الفرس لانحتات الشّعرمنه "[123] ص145.

الآيات الّتي ورد فيها لفظ: صلصال:

« ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون »[66]

« إنّي خالق بشرًا من صلصال من حمإ مسنون »[66]

« قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون »[66]

« خلق الإنسان من صلصال كالفخّار »[55]

فخّــار:

جاء في معجم الصّحاح: الفخّار: الخزف[116] ص491.

وجاء في معجم مقاييس اللّغة:" الفاء والخاء والرّاء أصل صحيح وهو يدلّ على عظم وقدم من ذلك الفخر، وهو عدّ القديم، وممّـا شذّ عن هذا الأصل الفخّار من الجرّار معروف"[52]ص452.

وجاء في معجم مفردات ألفاظ القرآن: الفخّار: الجرّار، وذلك لصوته إذا نقر كأنّما تصوّر بصورة من يكثر التّفاخر، قال تعالى:« من صلصال كالفخّار »[55] كما جاء في معجم الأصفهاني[119] ص513.

أمّـا في المعجم الوسيط فجاء كما يلي:« الفخّار: أوان ونحوها تصنع من الطين وتحرق»، فخر: الرّجل: فخرًا، وفخّارًا، وفخارةً، تباهى بماله وما لقومه من محاسن، وتكبّر فهو فاخر، وفخور، الرّجل فخرًا، عليه في الفخر (فخر)- فخرًا: أنف: فهو فخر، أفخر: فلانًا على فلان فضّله.

فاخره: مفاخرةً، وفخّارًا: عارضه بالفخر، فهو مفاخر، فخّره: عليه فضّله.

افتخر: فخر، تفاخر: تعاظم وتكبّر، والقوم: فخر، بعضهم على بعض.

(استفخر الطّين)، صار فخارًا، الشيء، عدّه فاخرًا.

الفاخر: النّفيس من كلّ شيء، ويقال نبات فاخر: جيد، وثوب فاخر رفيع، والمفخرة: ما يفخر به، (ج) مفاخر[123] ص702.

الآيات الّتي ورد فيها لفظ:الفخّـار:

فهي آية واحدة وردت في سورة الرّحمان وهي: (أي هي الآية الّتي قمنا بدراستها):

« خلق الإنسان من صلصال كالفخّار »[55]

4. 5. النّحو والبلاغة في النّموذج الأوّل:

في هذا المبحث رأينا أن نستند إلى تفسير الآيات النمـاذج فبوضوح معاني الآيات تكون الـدراسة النّحوية والبلاغيّة أكثر وضوحا ولذلك اخترنا أربع تفاسير مختلفة من أجل ملاحظة الفـروقات.

4. 5. 1. تفسيـرالموضـوع الأول:

4. 5. 1. 1. الآية الأولى: من سورة الرّوم:" خلقكم من تراب": 20

الرّازي: ذكر ما هو حجّته ظاهرة على ذلك، ومن جملته خلق الإنسان من تراب وتقديره هو أنّ التّراب أبعـد الأشياء عن درجة الأحياء، وذلك من حيث الكيفيّـة فإنّه بارد يابس والحياة بالحرارة والرّطوبة، والأرواح الّـتي بها الحياة خفيفة، من حيث السّكون فإنّه بعيد عن الحركة والحيوان يتحرّك يمنةً ويسرةً وإلى خلف وإلى قدّام وإلى فوق وإلى أسفل، وفي الجملة والتّراب أبعد من قبول الحياة عن سائر الأجسام لأنّ العناصر أبعد من المركّبات لأنّ المركّـب أقرب درجة من الحيوان والعناصر أبعدها التّراب لأنّ الماء فيه الصّفاء و الرّطوبة والحركة وكلاهما على طبع الأرواح والنّـار أقرب لأنّها كالحرارة الغريزيّة منضجة جامعة، مفرّقة ثمّ المركّبات وأوّل مراتبها المعدن، فإنّه ممتزج وله مراتب أعلاها الذّهب، أصل الإنسان في خلق الإنسان، امتزاج التّراب بالماء - "لأنّ المحسوس من العناصر في الغالب هو التّـراب والماء ولاسيّما كونهما في الإنسان ظاهر لكلّ أحد فخصّ الظاهر المحسوس بالذّكر"[88] ص111.

النّسفي:« أن خلقكم » أي أباكم « من تراب ثمّ إذا أنتم بشر» أي آدم وذريّته « تنتشرون » تتصرّفون فيما فيه معاشكم وإذا للمفاجئة وتقديره ثمّ فجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض [137] ص269.

ابن كثير: يقول تعالى:« ومن آياته » الدالّة على عظمته، وكمال قدرته أنّه خلق أباكم آدم من تراب« ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون »، فأصلكم من تراب ثمّ من ماء مّهين، ثمّ تصوّر فكان علقة، ثمّ مضغة، ثمّ صار عظاماً، شكله على شكل الإنسان ثمّ كسا الله تلك العظام لحماً ثمّ نفخ فيه من الرّوح [138] ص1452.

4. 5. 2.استنتــاج:

من خلال هذه الآية نلاحظ أنّ المفسّرين الّذين سبق وأن أوردنا ما ذهبوا إليه في هذه الآية تحدّثوا عن أصل خلق الإنسان الّذي هو من التّراب فقد ذهب الرّازي إلى التّفصيل في شرح أصل الخلق فركّز على كيفيّة التّراب الّذي يخلق منه الإنسان أمّاالإمام النّسفي فقد وصف القدرة الإلهيّة الّتي تنقل الإنسان من كونه ترابا إلى بشر منتشر في الأرض أمّا ابن كثير فيعود إلى« ومن آياته » ليفسّر هذه الآية فيقول أنّ طريقة الخلق آية من آيات الله سبحانه وتعالى وبعد ذلك يذكر المراحل الّتي يمرّ بها الإنسان في أطوار خلقه من:

تراب ← ماء ←علقة ← مضغة ←عظام ← عظام مكسوّة باللّحم ← ثمّ نفخ الرّوح في هذا الجسم المكتمل.

من خلال هذه التفاسير لهذه الآية نلاحظ أنّ كلّ مفسّر فسّر بطريقته وركّز على مرحلة دون أخرى، على غير تناقض.

4. 5. 1. 2. الآيــة الثانيّــة:" إنّا خلقناهم من طين لازب"[112]

الرّازي: والمعنى أنّ هذه الأجسام قابلة للحياة إذ لو لم تكن قابلة للحياة لما صارت على ماهي عليه، إنّ قابلية تلك الأجسام باقيّة وأنّ قادريّة الله تعالى باقيّة لأنّ هذه القابليّة وهذه القادريّة من الصّفات الذاتيّة فامتنع زوالها، فثبت بهذين الطريقين أنّ القول بالبعث والقيامة أمر ممكن.

« إنّا خلقناكم من طين لازب » هو أنّا خلقنا أباهم آدم من طين لازب، وفيه وجوه أخرى وهو أن يكون المراد أنّا خلقنا كلّ إنسان من طين، وفيه وجوه أخرى وهو أن يكون المراد أنَّا خلقنا أباهم آدم من طين لازب، وتقريره أنّ الحيوان إنّما يتولّد من الغذاء والغذاء إمّا حيواني وإمّا نباتي أمّا تولّد الحيوان الّذي صار غذاء مثله مثل تولد الكلام" إنّ نبت هذا فنقول أنّ هذه الأجزاء الّتي منها ركب هذا الطّين اللاّزب قابلة للحياة والله تعالى قادر عليها "[88] ص125.

النّسفي: لاصق أو لازم وقريء به، وهذا شهادة عليهم بالضّعف لأنّ ما يصنع من الطّين غير موصوف بالصلابة و القوّة أو حجج عليهم بأنّ الطين اللاّزب الّذي خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أنّ يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا كنّا من تراب وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث[137] ص18.

الزّمخشري:" من طين لازب " إمّا شهادة عليهم بالضّعف و الرّخوة لأنّ ما يصنع من الطين غير موصوف بالصّلابة و القوّة أي احتجاج عليهم بأنّ الطين اللاّزب الّذي خلقوا منه التّراب فمن أين استنكروه أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا:" أئذا كنّا تراباً وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث و قيل: من خلقنا من الأمم الماضيّة وليس هذا القول بملائم، وقريء لازب ولا تب و المعنى واحد والثّاقب الشديد الإضاءة[102] ص702.

ابن كثير: قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحّاك: وهو الجيّد الّذي يلتزق ببعضه البعض، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة: هو اللّزج الجيّد، وقال قتادة: هو الّذي يلزق باليد، وقوله عزّ وجلّ« بل عجبت ويسخرون » أي: بل عجبت يا محمّد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث، وأنت موقن مصدّق بما أخبر الله تعالى[138] ص1572.

4. 5. 3.استنتاج

جاء معنى هذه الآية بين المفسّرين الأربعة كالتّالي: عند الرّازي المكوّنة للطّين اللاّزب قابلة للحياة والله تعالى قادر عليها أمّا عند النّسفي فذهب إلى إنّه خلق الإنسان من طين غير موصوف بالصّلابة والقوّة وهذا شهادة عليهم لضعفهم كأنّه معنى يهدف إلى التّحدي لهم على إنكارهم الغيب وقد ذهب الزّمحشري إلى ما ذهب إليه النسفى أمّا ابن كثير فجاء مؤكّداً لما ذهب إليه السّابقون ففصّل ذلك بإضافته للآية التّالية لها فقال:« بل عجبت ويسخرون » أي بل عجبت يا محمّد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث وأنت موقن مصدّق لما أخبر بـه الله سبحانه وتعالى.

4.5.1. 3. الآية الثالثة: " من سلالة من طين" [113]

الرّازي: قوله سبحانه وتعالى:« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » والسّلالة الخلاصة لأنّها تسلّ من بين الكدر، فعالة وهو بناء يدلّ على القلّة، كالقلامة والقمامة، واختلف أهل التّفسير في الإنسان فقال ابن العباس وعكرمة وقادة ومقاتل: المراد منه آدم عليه السلام، فـآدم سلّ من الطين وخلقت ذريّته من ماء مّهين، ثمّ جعلنا الكناية راجعة إلى الإنسان الّذي هو ولد آدم، والإنسان

شامل لآدم عليه السلام ولولده، وقال آخرون: الإنسان ههنا ولد آدم والطّين ههنا اسم آدم عليه السّلام، والسّلالة هي الأجزاء الطينيّـة المبثوثة في أعضائه الّتي لما اجتمعت وحصلت في أوعيّة المني صارت منيًّا، هذا التّفسير مطابق لقوله تعالى:« وبدأ خلق الإنسان من طين » ثمّ جعل نسله« من سلالة من ماء مّهين » وفيه وجه آخر، وهو أن الإنسان إنّما يتولّد من النّطفة التي تتولّد من الأغذية، هي إمّا حيوانيّة أو نباتيّة، والحيوانيّة تنتهي إلى النباتيّة، والنّبات إنّما يتولّد من صفو الأرض والماء، فالإنسان بالحقيقة يكون متولّد من سلالة من طين، ثمّ إنّ تلك السلالة بعد أن توارد على أطوار خلقيّة وأدوار الفطرة صارت منيّاً وهذا التّأويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيه الى التكلّفات[88] ص08.

النّسفـي:« ولقد خلقنا الإنسان » أي أدم « من سلالة » من الإبتداء والسلالة الخلاصة لأنها تسل من بين الكرد وقيل انما سمي التراب الذي خلق أدم منه سلالة لأنه سل من كل تربة « من طين » من للبيان كقوله من الأوثان[137] ص88.

الزّمخشري: السّـلالة الخلاصة لأنّها تسلّ من بين الكدر وفعالة بناء للقلّة كالقلامة والقمامة فإن قلت: ما الفرق بين مَن ومِن؟ قلت: الأولى ابتدائيّة و الثانيّة للبيان كقوله من الأوثان فإن قلت: ما معنى " جعلنا " الإنسان" نطفة " قلت:" معناه أنّه خلق جوهر الإنسان أولاً طيناً، ثمّ جعل جوهره بعد ذلك نطفة، القرار المستقرّ والمراد الرّحم وصفت بالمكانة الّتي هي صفة المستقرّ فيها كقوله: طريق سائر أو بمكانتها في نفسها لأنّها مكّنت بحيث هي وأحرزت[102] ص704.

ابن كثيـر: يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين، وهو آدم عليه السّلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون، وقال الأعمش: عن المنهال بن عمر عن أبي يحي عن ابن عباس:« من سلالة من طين » قال: من صفوة الماء وقال مجاهد« من سلالة » أي من مني بني آدم، وقال ابن جرري: إنّما سميّ آدم طيناً لأنّه مخلوق منه، وقال قتادة: النّسل آدم من الطين، وهذا أظهر في المعنى، وأقرب إلى السيّاق فإنّ آدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحمأ المسنون، وذلك مخلوق من التّراب كما قال تعالى:« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ».

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحي بن سعيد، حدثنا عوف حدثنا أسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبيّ (ص) قال:« إنّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والخبيث والطيّب وبين ذلك » وقد رواه التّرميذي من طرف عن ان الأعرابي به ونحوه وقال الترميذي حسن صحيح[138] ص1265.

4. 5. 1. 3. 1.استنتـاج

أصل آدم من الطّين وخلقت ذريّته من ماء مهين ثمّ جعل الكناية راجعة إلى الإنسان الّذي هو ولد آدم كما أشار كذلك أنّه السّلالة الّتي هي الأجزاء الطينيّة المبثوثة في أعضائـه وهذا رأيـه وأمّا الرأى الثّاني الّذي أشار إليه فقد جاء فيه أنّ الإنسان أنّما يتولّد من النّطفة الّتي تتولّـد بفضل الهضم وبذلك يتولّد من الأغذية وهي إمّا حيوانية أو نباتية فالنبات متولد عن التراب والماء، وكذا الإنسان يكون متولّد من سلالة من طين مرّت بمراحل الخلق كما انتهت إلى ماهي عليه.

أمّا النسفى فيقول في هذه الآية أن أصل استعمال هذا اللّفظ راجع لملدوله الّذي يعني أخذ شيئ من شيئ وهنا سلّ من كلمة تراب.

فقد ذهب إلى ماذهب إليه النسفي أمّا عند ابن كثير فيكون التفصيل أكثر فهو يوضح أنّ آدم علية السلام خلق من الطين اللاّزب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك ناتج عن التراب المخلوط بالماء.

نلاحظ أنّ الإمام الحافظ ابن كثير في شرحه لهذه الآية ربطها بآيات أخرى في وصف الخلق وهذا ماسنعود إليه في شرحنا للأيات الخمس مجملة فنرى العلاقة بينها

4. 5. 1. 4. الآيـة الرابـعة:"مـن حمـأ مسنون" [66]

الرّازي:الصلصال هو المنتن، إنّ قولهم صلّ اللّحم وأصلّ إذا انتن وتغيّر، وهذا القول عندي ضعيف، لأنّه تعالى قال:« من صلصال من حمأ مسنون » وكونه حمأ مسنون يدلّ على النتن والتغيّر، وظاهر الآية يدلّ على أنّ هذا الصلصال إنّما تولّـد من الحمأ المسنون فوجب أن يكون كونه صلصالاً مغايراً لكونه حمأ مسنون، ولو كان كونه صلصالا عبارة عن النّتن، والتغيّر لم يبق بين كونه صلصالاً، وبين كونه حمأً مسنوناً تفاوت، وأمّا الحمـأ فقـال اللّيث، الحمأة بوزن فعلة، والجمع الحمأ، والطين الأسود المنتن، وقال أبو عبيدة والأكثرون، حمأة بوزن كماة وقوله مسنون فيه أقوال؛ الأوّل: قال ابن السكيت سمعت أبا عمرو يقول في قوله:« مسنون » أي صغير، قال أبو الهيثم يقال سنّ الماء، فهو مسنون أي تغيّر، والـدليل عليه قوله تعالى:« لم يتسنّه » أي لم يتغيّـر، الثاني: المسنن المحكوك وهو مأخوذ من سننت الحجر إذا حككته عليه، والّـذي يخرج من بينهما يقال له السنن وسمّي المسنّ مسنّاً لأنّ الحديد يسنّ عليه، والثالث: قال الزّجاج: هذا اللّفظ مأخوذ من موضوع على سنن الطريق لأنّه متى كان كذلك فقد تغيّـر. الرّابع: قال أبو عبيدة: المسنون المصبوب، والسنّ

والصبّ يقال سنّ الماء على وجهه سنّا. الخامس: قال سبويه: المسنون المصوّر على صورة ومثال: من سنة الوجه وهي صورته، السادس: روى عن ابن عباس أنّه قال: المسنون الطّين الرّطب، وهذا يعود إلى قول أبي عبيدة لأنّه إذا كان رطباً يسيل وينبسط على الأرض، فيكون مسنوناً بمعنى أنّه مصبوب[88] ص183.

النسفي:« ولقد خلقنا الإنسان » أي آدم « من صلصال » طين يابس غير مطبوخ « من حمأ » صفة لصلصال أي خلقه من صلصال كائن من حمأ أي طين أسود متغيّر« مسنون » مصوّر، وفي الأوّل كان تراباً فعُجِن بالماء فصار طيناً فمكث فصار حمأً فخلص فصار سلالة فصُوِّر ويبس فصار صلصالاً فلا تناقض[137] ص272.

الزمخشري:« ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون»: الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل، وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخّار، قالوا: إذا توهمّت فيه صوته مدّاً فهو صليل، وإن توهمّت فيه ترجعيّاً فهو صلصلة، وقيل: هو تضعيف صلّ إذا أنتن، والحمأ: الطين الأسود، المتغيّر، والمسنون: المصوّر من سنة الوجه، وقيل المصبوب المفرغ أي: أفرغ في صورة إنسان كما تفرغ الصّور من الجواهر المذابة في أمثلتها، وقيل: المنتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به فالّذي يسيل بينهما سَنِين ولا يكون إلاّ منتنا "من حمأ" صفة لصلصال أي: خلقه من صلصال كائن من حمأ، وحق « مسنون » بمعنى: مصوّر أن يكون صفة لصلصال كأنّه أفرغ الحمأ فصوّر منها تمثال إنسان أجوف فيبس، حتى إذا نقر صلصل، ثمّ غيّره بعد ذلك إلى جوهر آخر[88] ص560.

ابن كثير:" من حمأ مسنون " أي الصلصال من حمأ وهو الطّين، والمسنون الأملس كما قال الشاعر:

ثمّ خاصرتها إلى القبّة الخضـ ❁❁ ـراء تمشي في مرمر مسنون.

أي أملس صقيل، ولهذا رويّ عن ابن عباس أنّه قال: هو التراب الرطب، وعن ابن عباس ومجاهد أيضاً والضحّاك أن الحمأ المسنون هو المنتن، وقيل المراد بالمسنون ههنا المصبوب[138] ص1015.

4. 5. 1. 4. 1.استنتــاج

نلاحظ من خلال تفسيرالرّازي أنّـه يرى أنّ الحمأ المسنون هو أصل الصلصال فيقول: وظاهر الآية يدلّ على أنّ هذا الصلصال إنّـما تولّد من الحمأ المسنون فوجب أن يكون كونه صلصالا مغايرا لكونه حمأ مسنون ثم يفرد تعريفا دقيقا لمفردتي: حمأ ومسنون كما وردنا في معني الأية، فيرى أن الحمأ هو: الطين الأسود المنتن.

المسنون: الطين الرطب كما ورى ذلك عن ابن عباس ويقول أبو عبيدة إذا كان رطبا يسيل وينبسط وبذلك يكون مسنونا أي مصيوبا وبالمعنى من ذلك أنه يكون في شكل معنى مقصود.

ويتفق النسفي مع الرازي في أصل الحمأ انه من الصلصال فيقول أن الحمأ صفة أصله الصلصال وهو المتغيّر اللّون أمّـا المسنون فهو المصوّر ويشير إلى نقطة مهمّة سنركّـز عليها في آخر دراسة هذا النّموذج وهي ربـط هذه الأنواع بالتراب أولاً عجنه بالماء فيصير بذلك طيناً وبعد مكوثه يصير حمأً وبعد الخلط يصير سلالة فيصور وييبس فيصير صلصالاً فلا تناقض بين هذه المراحل.

أمّـاعند الإمام الزمخشري فلا نجد توضيحاً دقيقاً في قوله: الصلصال هو الطين اليابس وهو غير مطبوخ وإذا طبخ فهو فخّـار، كما أنّه يوضح لفظ المسنونة بقوله المصبوب أي المفرغ في صورالإنسان كما تفرغ الصـور من الجواهر المذابة في أمثلتها، ويقول في ذلك: كانه إفرغ الحمأ فصور منها ثمثالا لإنسان أجوف فيبس حتى إذا انقر صلصل ثم غيره بعد ذلك إلى جوهرآخر.

أمّا مانستفيده من خلال تفسير ابن كثير فإنّنا نلاحظ أنّه أضاف معنى أملس إلى المسنون وبذلك نلاحظ أنّ بشرة الإنسان ملساء نسبةً إلى هذا الطين الأملس.

4. 5. 1. 5. الآية الخامسة: "من صلصال كالفخّار" [55]

الرّازي: وفي الصلصال وجهان: الأول: بمعنى المسنـون من صل اللّـحم إذ أنتن، ويكون الصلصال حينئذٍ من الصلول والثاني: من الصليل يقال صلّ الحديد صليلاً إذا حدث منه صـوت، وعلى هذا فهو الطين اليابس الّـذي يقع بعضه على بعض فيحدث فيما بينهما صوت، إذ هو الطين اللاّزب الحرّ الّذي إذا التزق بالشّيء ثمّ انفصل عنه دفعة سمع منه عند الانفصال صوت، فإن قيل الإنسان إذا خلق من صلصال كيف ورد في القرآن أنّه خلق من التراب وورد أنّه خلق من الطين،

ومن حمأ ومن ماء مهيـن إلى غير ذلك نقول: أمّا قوله من تراب تارةً ومن ماء مهين أخرى، فذلك باعتبارشخصين آدم خلق من الصلصال ومن حمأ وأولاده خلقوا من ماء مهين، ولولا خلق آدم لما خلق أولاده، ويجوز أن يقال زيد: خلق من حمأ بمعنى أن أصله الّذي هو جدّه خلق منه، وأمّا قوله من طين لازب، ومن حمأ، وغير ذلك فهو إشارة إلى أنّ آدم عليه السّلام خلق أوّلاً من التّراب، ثمّ صار طيناً ثمّ حمأ مسنون ثمّ طينا لازبًا، فكأنّه خلق من هذا ومن ذلك، والفخّـار؛ الطين المطبوخ بالنّـار وهو الخزف مستعمل على أصل الاشتقاق، وهو مبالغة الفاخر كالعلام في العالم، وذلك أنّ التّراب الّـذي من شأنه التفتت إذا صار بحيث يجعل ظرف الماء والمائعات ولا يتفتت ولا ينقع فكأنّه يفخر على أفراد جنسه[88] ص92.

النسفي:« خلق الإنسان من صلصال» طين يابس له صلصلة «كالفخّار» أي الطين المطبوخ بالنّار وهو الخذق ولا اختلاف في هذا وفي قوله من حمأ مسنون من طين لازب من تراب لاتّفاقها معنىً لأنّه يفيد أنّه خلقه من تراب ثمّ جعله طيناً ثمّ حمأً مسنونًا ثمّ صلصالاً.[137] ص190.

الزّمخشري: الصلصال: الطيـن اليابس لـه صلصلـة، والفخّار الطيـن المطبـوخ بالنّـار وهو الخزف[102] ص910.

ابن كثير: «خلق الإنسان من صلصال كالفخّـار» يذكـر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخّار وخلق الجانّ من مارج من نار وهو طرف لهبـها، قالـه الضحّاك عن ابن عباس، وبـه يقول عكرمـة ومجاهد قال صلى الله عليه وسلم:" خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نـار، وخلق آدم ممّا وصف لكم "[138] ص1809.

4. 5. 1. 5. 1.استنتـاج

يقول الرّازي أنّ الصلصال أصله الطيـن اللاّزب الحرّ الّذي إذا التزق ويضيف كذلك أن آدم عليه السـلام حذق أوّلاً من تراب ثمّ صار طيناً ثمّ حمأً مسنوناً ثمّ لازباً فكأنّـه خلق من هذا ومـن ذلك.

أمّـا الإمام النسفي فيشير إلى أن أصل الخلقة لما كان تراب ثمّ جعله طيناً ثمّ حمأً مسنوناً ثمّ صلصالاً فلا تناقض بين هذه المعاني لأنّ كلّ هذه مراحـل تحولّ وليس هناك فرق بينها.

أمّا الإمام الزّمخشري فيدقق معاني الألفاظ فيقول أنّ: الصلصال الطين اليابس والفخّارهو الطيـن المطبوخ بالنّار.

أمّا الإمام الحافظ ابن كثيـر فلم يفصّل في معاني ألفاظ هـذه الآية.

4. 6. عـلاقة الآيـات بعضـها ببعض في ضـوء الدّراسـة النحويّـة والبلاغيّـة

1)-« خلقكم من تراب »[111] يبيّـن الله عـزّ وجلّ أنّه خلق الإنسان من تراب على خلاف الجنّ.

من: حرف جـرّ يفيد تبيان الجـنس إذ خلق الله عزّ وجلّ الإنسان من تراب (جنس الإنسان من تراب) والتّراب من التّرباء، الّتي هي الأرض نفسها، وهي الأصل من المادّة المتكوّنة منها الأرض، (فهي تتكوّن من مواد مختلفة منها التـراب) وهي الجماد الّـذي يخلق منه الكائن الحيّ وفي السياق الّذي وردت فيه هذه الآيـة الّتي نحن بصدد شرحها «يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميّت من الحيّ ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون» يتبيّـن من خـلال هذه الآية المقابلة في خلق الأشياء وذكـر أضدادها ليدلّ بذلك على كمـال خلقه.

2)- أمّـا في قوله تعالى: «من طين لازب»[112] فينتقل من التّعميم إلـى التّخصيص إذ الطين هو التّراب المختلط بالماء حتى ولو زالت رطوبة الماء فإنّ حبيبات التّراب تكون فيه متماسكة، وبالاستناد إلى المعجم الوسيط فإنّ الطّين مادّة مركّـبة من سليكات وألومينات بعض العناصر مختلطة ببعض المواد العضويّـة، حبيباتها متماسكة[123] ج 2ص595، وممّـا تقدّم نستنتج مدلول طين طرأ عليه تفصيل بعد أن كان عامّاً فقد كان من قبل تراب ولكن بمخالطة التراب للماء تطوّر إلى اكتساب مكوّناته وعناصره الدّقيقـة والّتـي هي حسب المعجم الوسيط سليكات وألولومينات إضافة إلى بعض المواد العضويّــة.

3)- تندرج الآيات في تبيان خلق الإنسان بعد أن كان من التّـراب نجده ينتقل إلى الطين (الّذي هو ماء وتراب)، وفي قوله تعالى: «من سلالة من طين» [113] ترتقي الآية إلى التّخصيص أكثر فقد بيّنا أنّ الطين يتكـوّن من عناصر ثلاثة: سليكات، ألومينات ومواد عضويّة ولم يخلق من الطين كلّـه بل من سلالة منه أي من واحـدة من مكوّناته، وقد استلّ الله عزّ وجلّ من الطين واحدةً من هذه المكوّنات لخلق الإنسان.(هذا ما نفهمه من ظاهرهذه الآيات و معانيها المترابطة)

4)- بعد أن خصّصت الآية السّابقة خلق الإنسان من عنصر من الطين تنتقل الآية المواليّة إلى وصف هذا العنصر وتبيان خواصّه على أنّه أسود وساخن لقول الجوهري في صحاحه "الحمأ هو

الطين الأسود"[116] ج1 ص56 وفي المعجم الوسيط: حمّ التنّور: أوقده والماء سخّنه والشّحم: ذوّبه: فهي مادّة غير صلبة"، وجاء في الصحاح المسنون: المصوّر.[116] ج1 ص573

ودور حروف الجـرّ في الآيات تبيان الجنس والتّخصيص.

5)- ومن الإعجاز البياني لهذه الآيات نجدها تنتقل من العامّ إلى الخاص ومن الكلّ إلى الجزء فبعد أن أكّدت الآيات أنّ الإنسان خلق من تراب تنتقل لـتخصّ منه الطين ومن الطين أحد مكوّناته وتبيّناً في الآية السادسة والعشرين من سورة الحجر أنّ المادّة الّتي خلق منها الإنسان هي مادّة سوداء ساخنةكالدّخان والّتي تتحوّل في الآية الرّابعة عشر من سورة الرّحمن إلى أنّ الإنسان خلق من صلصال والّذي هو الطين اليابس الّذي يحتوي على مـادّة لاحمة وهي السليكات.[123] ج1 ص540 (هذا حسب ما استنتجناه من خلال الدّراسة الإفرادية والّتي اعتمدنا فيها على البحث في حقيقة الألفاظ في المعاجم الأربعة، وكذا من خلال الدّراسة التركيبيّة من خلال معاني الآيات في التفاسير الأربعة).

فنحن لا نجزم أنّ هذه المعلومات صحيحة وقاطعة إنّما هي عبارة عن نتائج وصلناإليها من خلال الدّراسة التحليليّة الّتي طبقناها على هذه النّـماذج ويجدر بنا أن نستشهد في هذا المقام بما أدلاه الدكتور " حسـن بشيـر الصديـق " في هذا الموضوع حيث قال:" الطين اليابس يسمع له ترجيع وصلصلة عند نقره، فهو في ذلك كالخزف أيّ الفخّار المطبوخ بالنّار و المارج لهب النار ذو الألسنة المتموّجة المختلطة، والآيات تتحدّث عن مادّة هذا الخلق مادة خلق الإنسان وخلق الجان، وتتحدّث عن مادّة هذا الخلق، مادة خلق الإنسان الطين و مادّة خلق الجانّ النّـار و هذا ما يتصوّره العقل الإنساني، جلّ صاحب الملك إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

وفي نتائج العلم الحديث مايزيدنا دهشة واتّساعا في التّطور لمثل هذه الآيات، وفي هذه النتائج جسم الإنسان يحتوي من العناصر ما تحتويه الأرض فهو يتكوّن من الكربون والأكسوجين والأيدروجين والفسفور والكبريت والآزوت والكالسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والكلور والمغنزيوم والحديد والمنجنيز والنّحاس واليود والفلورين والزنك والسلكون والألمنيوم وهذه نفسها هي العناصر المكوّنة للتراب وإن اختلفت من إنسان إلى آخر وفي الإنسان عن التّراب إلاّ أن أصنافها واحدة."[139] ص126

4. 7.التّحليل الإفرادي في آية الحقائق العلميّة والظّواهر الكونيّة:

4. 7. 1. الموضوع الثّـاني:آيــة: الحقائق العلميّة والظواهر الكونيّة:

« وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السحــاب»-سورة النّحل من الآية 88 (مكيّة).

4. 7. 2. السيّـاق القبلـي والبعـدي للآيـة

« ويوم ينفخ في الصّور ففزع من في السّماوات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله، وكلّ أتوه داخرين * وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السحاب صُنع الله الّذي أتقن كلّ شيء إنّه خبير بما تفعلون * من جاء بالحسنة فله خير منها وهم في فزع يومئذ آمنون »[124]– (87، 88، 89).

تحسبها: (حسب): قال الجوهري:« حسبته صالحًا أحسبه بالفتح، محسبة ومحسبة، وحسبانًا بالكسر، أي: ظننته، ويقال: أحسبه بالكسر، وهو شاذ لأنّ كلّ فعل كان ماضيه مكسورًا فإنّ مستقبله يأتي مفتوح العين نحو: علم يعلم، إلاّ أربعة أحرف جاءت نوادر، قالوا: حَسِبَ يَحْسَبُ ويَحْسِبُ ويَئِس ييأس وييئــس، ونعِم ينعَم وينْعَم فإنّها جاءت من السّالم بالكسر والفتح ومن المعتلّ ما جاء ماضيه، ومستقبله جميعًا بالكسر نحو: ومِق- يمِق. ووفِق- يفِق »[116] ج1 ص181.

وجاء في المقاييس: الحاء والسين والباء أصول أربعة: فالأوّل: العدّ، تقول: حسبت الشّيء أحسبه حسبًا وحسبانًا، قال الله تعالى:« والشّمس والقمر بحسبان»[55] (05)، ومن قياس الباب الحسبان الظنّ، وذلك أنّه فرق بينه و بين العدّ بتغيّر الحركة والتّصريف، والمعنى واحد، لأنّه إذا قال حسبته كذا فكأنّه قال هو في الّذي أعدّ من الأمور الكائنة، ومن الباب الحسب الّذي يعدّ من الإنسان، قال أهل اللّغة: معناه أن يعدّ آباءً أشرافًا[52] ج2 ص59.

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن: الحسبة: فعل ما يحتسب به عند الله تعالى: « ألم، أحسب النّاس»[39](1،2)، « أم حسب الّذين يعملون السّيئات»[39](1،2)، « ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظّالمون»[26](42)، « فلا تحسبنَّ الله مخلف وعده رسله»[26] (38)، « أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة»[16] (214)، فكلّ ذلك مصدره الحسبان، والحسبان أن يحكم لأخذ النّقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، فيحسبه ويعقد عليه الإصبع ويكون بغرض أن يعتريه فيه شكّ، ويقارب ذلك الظنّ، لكن الظنّ أن يخطر النّقيضين بباله فيغلب أحدهما على الآخر[3] ص234.

أمّا ما جاء في المعجم الوسيط:« حسب الأمر، حسبه وظنّه»[123] ج1 ص178.

نلاحظ ممّا سبق أنّ معجم الصّحاح، والمقاييس والوسيط قد اتّفق جميعها على مفهوم واحد للفظ: وهو الظنّ، لكنّ صاحب المفردات انفرد بتفصيل دقيق استنتجه من خلال بعض الآيات الّتي أوردها في معجمه فرأى أنّ الحسبان أن يحكم لأحد النّقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، فيحسمه

ويعقد عليه الأصبع ويكون بغرض أن يعتريه فيه شكّ، ويقارب ذلك الظنّ، لكن أن يخطر النّقيضين بباله فيغلب أحدهما على الآخر، وفيما يلي نرى بعض الآيات الّتي ورد فيها لفظ حسـب:

« أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرّقيم كانوا من آياتنا عجباً...»- الكهف، 09.

« أم حسب الّذين يعملون السّيئات أن يسبقونا»- العنكبوت، 04.

« أفحسبت الّذين كفروا أن يتّخذوا عبادي من دوني أوليـاء»- الكهف، 102.

« أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه»- القيامة، 03.

« ولا تحسبن الله غافلاً عمّا يعمل الظّالمون »- إبراهيم، 42.

ونترك بقيّة الآيات الّتي تحمل لفظ حسب واشتقاقاته للهامش، ومن أجل أن نلاحظ مدى دقة ألفاظ القرآن الكريم ومن أجل دراسة الألفاظ وتوضيح مدى الفروق البيّنة بين الألفاظ المتقاربة اخترنا لفظ: ظنّ وحاولنا أن نرى معناها من خلال المعاجم الأربعة حتّى نستنتج معنى كلّ لفظ ثمّ نقارن بينهما.

فقد جاء في معجم مقاييس اللغة: ظنّ: الظاء والنّون:أصيل صحيح يدلّ على معنيين مختلفين، يقين وشكّ، فأمّا اليقين فقول القائل ظننت ظنًّا، أي أيقنت. قال الله تعالى:« قال الّذين يظنّون أنّهم ملاقوا الله » أراد، والله أعلم يوقنون، والعـرب تقول: ذلك وتعرفه: قال شاعرهم. فقلت لهم ظنّوا بألفي مدجّـج، سراتهم في الفارسي المسرّد،أراد: أيقنوا، وهو في القرآن كثير، من هذا الباب مظنة الشيء، وهو معلمه ومكانه، ويقولون: هو مظنة لهذا قال النابغة:

فإن يك عامـر قد قال جهلاً ❁❁ فإن مظنّة الجهل الشبـــاب

والأصل الآخر: الشكّ: يقال ظننت الشّيء، إذا لم تتيقنه، ومن ذلك الظنة: التهمة، والظنين: المتهم[52] ج4 ص520.

وجاء في معجم مفردات ألفاظ القرآنّ:

اسم لم يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدًّا لم يتجاوز حدّ التوهّم، ومتّى قوي أو تصوّر القوي استعمل معه (أنّ) المخفّفة منها، ومتى ضعف استعمل أن

المختصّة بالمعدومين من القول والفعل فقوله:« الّذين يظنّون أنّهم ملاقوا ربّهم »[16](46) وكذا « يظنّون أنّهم ملاقوا الله »[16] (249)، فمن اليقين:« وظنّ أنّه الفراق »[57](28)، وقوله:« ألا يظنّ أولئك »[140] (4)، وهو نهاية في ذمّهم، ومعناه: ألاّ يكون منهم طن لذلك تبيّنا أن أمارات البعث ظاهرة، وقولــه:« وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها »[15](24)، تنبيهًا أنّهم صاروا في حكم العالمين لفرط طمعهم وأملهم، وقوله:« وظنّ داود أنّما فتنّاه »[118](24) أي: علم، والفتنة ههنا، كقوله:« وفتناك فتونًا »[127](40) وقال له:« وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظنّ أن لن نقدر عليه»[126] (27) فقد قيل: الأولى أن يكون من الظنّ الّذي هو التوهم، أي: ظن أن لن نضيّق عليه، وقوله:« واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير حقّ، وظنوا أنّهم إلينالا يرجعون »[128](39) فإنّه استعمل فيه: أنّ المستعمل مع الظنّ الّذي هو للعلم، تنبيهًا أنّهم اعتقدوا ذلك اعتقادهم للشّيء المتيقن وإن لم يكن ذلك متبعًا، وقوله:« يظنّون بالله غير الحق ظنّ الجاهلية »[56](154) أي: يظنون أن النّبي(صلى الله عليه وسلم) لم يصدقهم فيما أخبرهم به كما ظنّ الجاهليّة، تنبيها أن هؤلاء المنافقين هم في حيز الكفـار، وقولـه:« وظنّوا أنّهم مانعهتم حصونهم »[141](2)، أي: اعتقدوا اعتقادًا كانوا منه في حكم المتيقنين، وقوله:« الظانين بالله ظن السّوء[135](6) هو مفسّر بما بعده، وهو قوله: « بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول »[135](12)، « إن نظن إلا ظنا »[142] (32) »، والظن في كثير من الأمور مذموم، ولذلك قال تعالى:« وما يتبع أكثرهم إلا ظنا »[15](36)، « إن الظن »[122] (28)، « وأنهم ظنوا كما ظننتم »[143] (7)، وقريء« وما هو على الغيب بظنين » أي بمتهم.

وجاء في المعجم الوسيط: ظن الشّيء: ظنًّا: علمه بغير يقين، وقد تأتي بمعنى اليقين، وفي التنزيل العزيز:« قال الّذين يظنّون أنّهم ملاقوا الله»، وفلاناً، وبه: اتّهمه، ويتعدّى إلى مفعولين، يقال: ظننت زيدًا صادقًا.

الظنّ: إدراك الدّهن الشّيء مع ترجيحه، وقد يكون مع اليقين.[123] ج2 ص598، 599.

جاء في المقاييس لفظ ظنّ دالاً على معنيين مختلفين، شكٌّ ويقين أمّـا الشكّ فيكون بين حالين هو التيقّن من الشّيء وعكسه. أمّا صاحب المفردات فيفصّل القول أكثر بأنّ الظنّ هو اسم ما يحصل عنه العلم بالشّيء إذا كانت درجة اليقين كبيرة أمّا إذا ضعفت درجة اليقين بالشّيء فإنّه قد يصل إلى حدّ التوهّم أمّا الوسيط فقد أوضح ذلك أكثر بقوله الظنّ هو العلم بغير يقين، والظنّ يأتي بيقين، وقد يكون عامًا بغير يقين أي هو إدراك الدّهن الشّيء مع ترجيحه أو مع اليقين.

4. 7. 2. 1.مقارنة بين اللّفظين: حسب وظنّ

ومن أجل الكشف عن معاني الكلمات نأتي بالآية ونضع لفظ ظنّ مكان لفظ كتب من أجل أن نرى إذا ما كان لفظ ظنّ يماثل لفظ "حسب" من حيث قيمته الدلاليّة التّي يضفيها على الجملة، وكما ورد في المفردات بالضبط فإنّنا نلاحظ أنّ الجملة عندما تكون تحمل اللّفظ "ظنّ" قد تحتمل معنيين أوّلهما اليقين والثاني عدمه، وبينهما يبقى الاختيار، لكن إذا وضعنا "حسب" فإنّنا نلاحظ أنّ الحسبان يحتمل هو الآخر نقيضين لكن المصرّح به يميل إلى أحدهما فقط لأنّ المعنيين المختلفين لا يخطران بباله في آن واحد، وهذا حسب ما ذهب إليه صاحب المفردات في شرحه وإلى هذا نميل نحن، وبرجوعنا إلى الآية:« وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب» فعندما نحاول فهم هذه الآية نجد أنّنا نستحضر في أذهاننا لأوّل وهلة جماد الجبال لكن بعد ذلك يوضّح لنا أنّها تتميّز بالحركة لا الثّبات، ومن هذا نلاحظ أنّ اللّفظ ظنّ غير مرادف للفظ حسب الّذي هو الأبلغ في هذه الآية.

4. 8. النّحو والبلاغة في الموضوع الثّاني:

4. 8. 1. التّفسيـــر:

الآيـــة:" وترى الجبال تحسبها جامدة وهي مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون "- الآية 88 من سورة النّمل.

الرازي: يقول: اعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة وهي تسيير الجبال، والوجه في حسبانهم أنّها جامدة فلأنّ الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت والكيفية ظنّ الناظر إليها أنّها واقفة مع أنها[88] م12 ج 24 ص 220.

النسفي:"وترى الجبال تحسبها" بفتح النّسفي شامي وحمزة ويزيد وعاصم وبكسرها غيرهم حال من المخاطب "جامدة" واقفة متمسكة عن الحركة من جمد في مكانه إذ ألم يبرح "وهي تمر" حال من الضمير المنصوب في تجسدها "مر السحاب" أي مثل السحاب والمعنى أنك إذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد لعظمها وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب إذا ضربته الريح وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش.

بأر عن مثل الطود تحسب أنهم ❋❋ وقوف الحاج والركاب تهملج[137] م2 ج3 ص223

الزمخشري:« جامدة » من جمد في مكانه: إذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الرّيح السحاب فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد« وهي تمرّ » مرّا حثيثا كما يمرّ السحاب، وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في وصفة جيش:

بأرعن مثل الطّود تحسب أنّهم ❁❁ وقوف لحاج والركاب تهملج[102] ص192

ابن كثير:« وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السّحاب » أيّ: تراها كأنّها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تمرّ مرّ السحاب أي تزول عن مكانها، كما قال تعالى:« يوم تمور السماء مورًا»،« وتسير الجبال سيراً» وقال تعالى:« ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربّي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » وقال تعالى:« ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة » وقوله تعالى:« صنع الله الّذي أتقن كلّ شيء » أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة« الّذي أتقن كلّ شيء » أي: أتقن كلّ ما خلقه وأودع فيه من الحكمة ما أودع.[138]ج3 ص1388

4. 8. 2. النّحو والبلاغة في الموضوع الثّاني:

لقد ذهب الرّازي إلى الإشارة أن حركة الجيال التي تثير لها الاية عند قيام الساعة. ويفسّر ذلك كون الأجسام الكبيرة إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد فهي تمرّ مرّاً حثيثاً فتظهر كأنّها جامدة لاتتحرّك كما أنّ الإمام النّسفي والزّمخشري وابن كثير كلّهم ذهبوا إلى أنّ هذا تعبير عن حركة الجبال فنجد الفرق بيّنا في كيفية الحركة بين المفسرين الأربعة سبق وأن أشرنا إلى المعنى الّذي ذهب إليه أما النّسفي فيقول حركة الجبال وقت النّفخة وهي تمرّ مرّاً سريعاً أمّا الزّمخشري فيرى أنّها تمرّ مرّاً حثيثاً (كما فسّر ذلك الرّازي) أمّا ابن كثير فلم يفصّل في درجة السرعة فقد اكتفى بقوله كأنّها تزول عن أماكنها كما يمرّ السحاب ويزول عن مكانه؛ من خلال التفاسير الأربعة نلاحظ أنّ هناك تباين في توضيح حركة السير من مفسّر لآخر ومن هنا نلاحظ أنّ هذه الآية لا تحمل معنىً واحداً و قطعيًّا بل كلّهم يصلون إلى نفس النتيجة العامّة وهي الحركة إلاّ أنّ نوع هذه الحركة يختلف من مفسّر لآخر.

من الحقائق المذكورة في القرآن الكريم كرويّة الأرض أمّا مانلاحظه من خلال الآية فلفظ "حسب" يحتمل الحكم لأحد النقيضين دون أن يخطر ببال السامع الرّأي الثاني، كذلك الناظر في الآية « وترى الجبال تحسبها جامدةً» فإنّ الناظر يجزم على أنّها ثابتة وغير متحرّكة فخياله لا يتّسع لئن يظنّ احتمالاً عكس ذلك، غير أنّ الجزء الثاني من الآية يناقض الإعتقاد ويشبهها بأنّها متحرّكة لا

ثابتة فهي تمرّ كالسحاب، فقد شبّهت الآية حركة الجبال بحركة السّحاب، وهذا يدلّ على أنّها متحرّكة لا جامدة وإذا أتينا إلى الجملة قوله تعالى:« تحسبها » فنجد أنّ الجملة "هنا حال من الجبال أو من الضمير في« ترى » وهي تمرّ حال من الضمير المنصوب في« تحسبها » ولا يكون حالاً من الضمير في جامد، إذ لا يستقيم أن تكون جامدة مارّة مرّ السحاب والتّقدير مرّا مثل مرّ السّحاب"[144] ج2 ص 1014.

4. 9. التّحليل الإفرادي للآية في الموضوع الثالث: قدرة الله في ملكه:

4. 9. 1. الآية:« كتب ربّكم على نفسه الرّحمة»- الأنعام- 54.

4. 9. 2.السياق القبلي والبعدي للآية:

« وكذلك فتنّا بعضكم ببعض ليقولوا أهولاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشّاكرين * وإذا جاءك الّذين يؤمنون بآياتنا فقل سلامٌ عليكم كتب ربّكم على نفسه الرّحمة أنّه من عمل منكم سواءً بجهالة ثمّ تاب من بعده وأصلح فأنّه غفور رحيم * وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ».

كتب:

قال الجوهري في الصحاح: الكتاب: الفرض والحكم والقدر، قال الجعدي:

يا ابنة عمّي كتاب الله أخرجني ❁❁ عنكم وهل أمنعنّ الله ما فعلا[23] (53 ،54 ،55)

وقال ابن الأعرابي: الكاتب عندهم، العالم، قال الله تعالى:« أم عندهم الغيب فهم يكتبون».

وجاء في معجم مقاييس اللّغة: الكاف والتّاء والباء أصل صحيح واحد يدلّ على جمع شيء إلى شيء من ذلك الكتاب والكتابة، يقال: كتب الكتاب أكتبه كتبًا، ويقولون: كتبت البغلة إذا جمعت شفرى رحمها بحلقه.

ومن الباب الكتاب وهو الفرض: قال الله تعالى:« كتب عليكم الصيام» ويقال الحكم:الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمّا لأقضين بينكما بكتاب الله» أراد بحكمه، وقال تعالى:« يتلو صحفًا مطهّرة فيها كتب قيّمة» أي أحكام مستقيمة، ويقال للقدر: الكتاب.

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن: يعبّر عن الإثبات والتّقدير والإيجاب والغرض والعزم بالكتابة ووجه ذلك أنّ الشّيء يراد، ثمّ يقال، ثمّ يكتب، فالإرادة مبدأ والكتابة منتهى، ثمّ يعبر عن المراد الّذي هو المبدأ، إذا أريد توكيده بالكتابة التي هي المنتهى، قال:« كتب الله لأغلبن أنا ورسلي»[145] (21)، وقال تعالى:« قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا»[38](51)، « لبرز الّذين كتب عليهم القتل»[56] (154) وقال:« وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله »[146] (75) أي في حكمه، وقوله:« وكتبنا عليهم فيها أنّ النّفس بالنّفس »[27](45) أي أوجبنا وفرضنا، وكذلك قوله:« كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت »[16](180) وقوله:« كتب عليكم الصيام » [16] (183)، « لم كبت علينا القتال»[47](187)، « ما كتبناها عليهم»[59](27)، «ولو أن كتب الله عليهم الجلاء»[141](3)، أي: لولا أن أوجب الله عليهم لديارهم، ويعبّر بالكتابة عن القضاء الممضي، وما يصير في حكم الممضي، وعلى هذا حمل قوله:« بلى ورسلنا لديهم يكتبون»[60](80) قيل: ذلك مثل قوله:« يمحو الله ما يشاء ويثبت»[90](39)، وقوله:« أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه»[145](22)، فإشارة منه إلى أنّهم بخلاف من وصفهم بقوله:« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا»[146](28)، لأنّ معنى "أغفلنـــا" من قولهم: أغفلت الكتاب: إذا جعلته خاليًا من الكتابة ومن الإعجام، وقيل،:« إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها»[59](22)، قيل: إشارة إلى اللّوح المحفوظ، وكذا قوله:« إنّ ذلك في كتاب إنّ ذلك على الله يسير»[90(70)، وقولــه:« ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين[23](58)، « في الكتاب مسطورًا»[114](58)، « لولا كتاب من الله سبق»[146](68) يعني ما قدره من الحكمة، وذلك إشارة إلى قوله:« كتب ربكم على نفسه الرحمة»[23](54) وقيل: إشارة إلى قوله:« وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم»[146](33)، وقوله: « لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»[38](51) في: ما قدره وقضاه وذكر "لنـا" ولم يقل "علينـا" تنبيهًا أن كل ما يصيبنا نعد نعمة لنا، ولا نعده نقمة علينا، وقوله:« أدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم»[27] (21) قيل: بمعنى ذلك وهبها الله لكم ثم حرمها عليكم بامتناعكم من دخولها وقبولها، وقيل كتب لكم بشرط أن تدخلوها، وقيل أوجبها عليكم، وإنما قال: " لكـم " ولم يقل:" عليكـم " لأن دخولهم إياها يعود عليهم بنفع عاجل وآجل فيكون ذلك لهم لا عليهم، وذلك كقولك لمن يرى تأذيًا بشيء لا يعرف نفع مآلـه، هذا الكلام لك لا عليك[119]ص699، 700.

وجاء في المعجم الوسيط: الكتاب، كتبًا وكتابًا وكتابةً، خطه، فهو كاتب(ج) كاتب وكتاب وكتبه، ويقال: كتب الكتاب: عقد النّكاح، والسقاء ونحوه، خرزه، والقربة شدّها بالوكاء، والله الشّيء: قضاه وأوجبه وفرضه، وفي التّنزيل العزيز:« كتب عليكم الصيام كما كتب على الّذين من قبلــكم[123] ج2،ص805.

نلاحظ من خلال المعاجم الأربعة أن كلمة كتب تأخذ عدة معاني منها الفرض والحكم والقدر والكفاءة في العلم، وهذا ما اشترك بين الصحّاح والمقاييس، أمّا صاحب المفردات فقال بأن لفظ كتب يعبّر عن الإثبات والتّقدير والإيجاب والعزم أي لا يفرض على أحد شيء ما إلاّ إذا كان أهــلاً لذلك.

أمّا في المعجم الوسيط فنجده يفضّل الحديث في ذلك فيقول: كتب الله الشيء: قضاه وأوجبه وفرضه فبعدما كان اللّفظ يحمل هذه المعاني غير منظّمة جاء الوسيط فأوضح فرقًا بيّنًا هو كتابة الإنسان أمّا الله عزّوجلّ فنقول: كتب الشّيء إذا فرضه وأوجبه، بهذا نرى أنّ المعجم الوسيط الـذي كان متأخّرًا من حيث الزّمن كان أكثر دقة وتفصيلاً، فمعنى ذلك أنّ اللّفظ قد أخذ اتّساعا بمرور الزّمن.

ونعود إلى سرد بعض الآيات الّتي ورد فيها لفظ كتب ولطول القائمة نكتفي بخمسة أمثلة فقط لنترك بقيّة الآيات للهامش الّذي وضعناه في آخر هذا البحث، وسردنا لهذه النّماذج ليس إلاّ توضيح لوضع اللّفظ وكيفيّة وروده في الآية من أجل النّظر إلى المعنى الّذي يحمله.

« يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة الّتي كتب الله لكم »- المائدة 61.

« أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه »- المجادلة 22.

« كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ الله قويّ عزيز »-المجادلة 21.

« يا أيّـها الّذين آمنوا كتب عليكم القتال »-البقرة 183.

« كتب على نفسه الرّحمة ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه »-الأنعام 54.

ومن أجل أن نميّز بين معاني الألفاظ ومدى التّقارب بينها وإمكانيّة ترادفها أم عكس ذلك فإنّنا آثرنا أن نأتي بلفظ قريب المعنى من لفظ كتب ثمّ نجري مقارنة بين اللّفظتين من خلال النّموذج الذي ندرسه، ولهذا الغرض اخترنا لفظين اثنين هما: فرض وقدّر.

فقد جاء في الصحاح للجوهري: فرض: الفرض: الحزّ من الشيء: يقال: فرضت الزند والسواك وفرض الزند: حيث يقدح منه: وفرض القوس: هو الحزّ الـذي يقع فيه الوتر، والجمع فراض والفرض: ما أوجبه الله تعالى سمّي بذلك لأنّ له معالم وحدودا، وقوله تعالى:« لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً» أي مقتطعاً محدوداً[116]ج3 ص320، 321.

وجاء في المقاييس: الفاء والرّاء والضّاد أصل صحيح يدلّ على تأثير شيء من حزّ أو غيره، فالفرض: الحزّ في الشيء، يقال: فرضت الخشبة: ومن الباب اشتقاق الفرض الّذي أوجبه الله تعالى، وسمّي بذلك لأنّ له معالم وحدودًا[52]ج4، ص288، 289.

وجاء في المفردات:" فرض/ الفرض: قطع الشّيء الصلب والتّأثير فيه، كفرض الحديد، وفرض الزّند، والقوس، والمفراض والمفرض: ما يقطع به الحديد، وفرضة الماء: مقسّمه، قال تعالى:« لأتخذنّ من عبادك نصيبًا مفروضًا »[47](118) أي معلومًا، وقيل: مقطوعًا عنهم، والفرض كالإيجاب لكن الإيجاب يقال اعتبارًا بوقوعه وثباته، والفرض يقطع الحكم فيه، قال تعالى: « سورة أنزلناها وفرضناها »[130](1) أي أوجب عليك العمل بها، وقال:« إنّ الّذي فرض عليك القرآن »[128](85) أي أوجب عليك العمل به، ومنه يقال لمّا ألزم الحاكم من النفقة: فرض، وكلّ موضع ورد "فرض الله عليه" ففي الإيجاب الّذي أدخله الله فيه، وما ورد من "فرض الله له" فهو في أن لا يخطره على نفسه نحو:« ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له »[147](38)، وقوله « قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم »[148](2)، وقوله:« وقد فرضت لهنّ فريضة »[16](68) أي: سمّيتم لهن مهراً، وأوجبتم على أنفسكم بذلك، وعلى هذا يقال: فرض الله في العطاء، وبهذا النّظر ومن هذا الغرض قيل للعطيّة: فرض، وللدّين: فرض، وفرائض الله تعالى: ما فرض لأربابها، ورجل فارض وفرضي، يصير بحكم الفرائض، قال تعالى:« فمن فرض فيهن الحجّ » إلى قوله:« في الحجّ » أي من عيّن على نفسه إقامة الحجّ، إضافة فرض الحجّ إلى الإنسان دلالة أنّه هو معيّن الوقت، ويقال لما أخذ في الصدقة فريضة، قال:« إنّما الصدقات للفقراء » إلى قوله:« فريضة من الله » وعلى هذا ما روي أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه كتب إلى بعض عمّاله كتاباً وكتب فيه: هذه فريضة الصدقة الّتي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين، والفارض: المسن من البقر، قال تعالى:« لا فارض ولا بكر »[16] (68) وقيل: وإنّما سميّ فارضاً لكونه للأرض، أي: قاطعًا، أو فارضًا لما يحمّل من الأعمال الشاقة، وقيل: بل لأنّ فريضة البقر اثنان: تبيع ومسنّة، فالتبع يجوز في حال دون حال، والمسنّة يصحّ بذلها في كلّ حال، فسمّيت المسنّة فارضة لذلك، فعل هذا يكون الفارض اسماً إسلاميّاً[119] ص630، 631.

وجاء في المعجم الوسيط:فرض: الشيء، فروضا: اتسع الشيء، وفيه: فرضا: حز فيه حزا، يقال: فرض العود وفرض فيه، فهو فارض، والعود مفروض، الأمر: أوجبه، يقال: فرضه عليه كتب عليه/ له: خصه به، وفي التنزيل العزيز «ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له» ويقال فرض له في العطاء: قدر له نصيبًا، والقاضي فريضة: قدرها وأوجبها[123] ج2 ص702.

إنّ ما نلاحظه من خلال شرح لفظ: فرض من خلال المعاجم الأربعة نجد أن الفرض ما أوجبه الله تعالى لما له من معالم وحدود هذا في الصحاح واشترك في ايراد هذا المعنى صاحب المقاييس كذلك، أمّا صاحب المفردات فيرى أنّه ما استوجب الحكم فيه بالإيجاب سواء وقع أو لم يقع ويكفي في ذلك التّكليف.

أمّـا ما جاء في المعجم الوسيط فهو ما قدر وأوجب وكتب.

وجـاء في الصّحـاح للجوهـري: قدر/ قدر الشّيء مبلغه، وقدر الله وقدره بمعنى، وهو في الأصل مصدر، وقال الله تعالى: «ما قدروا الله حق قدره» أي ما عظموا الله حقّ تعظيمه، والقدر والقدر أيضا: ما يقدّره الله عزّ وجلّ من القضاء.

وأنشد الأخفش: [الطويل]:

ألا يا لقومي للنّوائب والقـدر ❁❁ وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدري[116]ج2ص505، 506

وجاء في المقاييس: القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهائيّة، فالقدر: مبلغ كلّ شيء، يقال: قدره كذا، أي مبلغه، وكذلك القدر، وقدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير، وقدرته أقدره، والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القدر أيضا:

قيـل في القدر:

خلق الطريق لمن يبني المنار به ❁❁ وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر.

وقيل في القدر بسكون الدال.

وما صبّ رجلي في حديد مجاشع ❁❁ مع القدر إلا حاجة لي أريدهـا.

ومن الباب الأقدر من الخليل، وهو الّذي تقع رجلاه مواقع يديه، كأن ذلك قدره تقديراً، قال:

وأقدر مشرف الصهوات ساط ❁❁ كميت لا أحق ولا شئيـــت.

وقوله تعالى:« وما قدروا الله حق قدره »، قال مفسرون: ما عظموا الحقّ عظمته، وهذا صحيح، وتلخيصه أنّهم لم يصفوه بصفته الّتي تنبغي له.

وقوله تعالى:« ومن قدر عليه رزقه » فمعناه قتر: وقياسه أنه أعطي ذلك بقدر يسير، وقدره الله تعالى على خليقته: إيتاؤهم بالمبلغ الّذي يشاؤه ويريده، والقياس فيه، وفي الّذي قبله سواء، ويقولون: رجل ذو قدرة، وذو مقدرة، أي يسار، ومعناه أنه يبلغ بيساره وغنائه من الأمور المبلغ الّذي يوافق إرادته، ويقولون الأقدر من الرجال: القصير العنق، وهو القياس كأن عنقه قد قدرت، وممّا شذّ أيضاً عن هذا القياس القدر وهي معروفة[52](52) ج5 ص505، 506.

أمّا في المفردات فقد جاء مايلي: قدر: القدرة إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له يتمكّن من فعل شيء ما، وإذا وصف الله تعالى بها فهي نفي العجز عنه، ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى وإن أطلق عليه لفظًا، بل حقّه أن يقال: قادر على كذا ومتى قيل: هو قادر، فعلى سبيل معنى التقييد، ولهذا لا أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلاّ ويصحّ أن يوصف بالعجز من وجه، والله تعالى هو الّذي ينتفي عنه العجز من كلّ وجه، والقدير: يقاربه، نحو:« عند مليك مقتدر»[36](55) لكن قد يوصف به البشر إذا استعمل في البشر فمعناه: المتكلف والمكتسب للقدرة، والقدر والتقدير: تبيين كمية الشيء، يقال قدرته وقدرته، وقدره بالتشديد أعطاه القدر، يقال: قدرني الله على كذا وقواني عليه، فتقدير الله الأشياء على وجهين:

أحدهما: بإعطاء القدرة.

الثاني: بأن يجعلها على مقدار مخصوص حسبما اقتضت الحكمة وذلك أن فعل الله تعالى ضربان.

ضرب أوجده بالفعل، ومعنى إيجاده بالفعل أن أبدعه كاملا دفعة لا تعتريه الزيادة والنقصان إلى أن يشاء أن يفنيه، أو يبدله كالسماوات وما فيها، وما منها ما جعل أصوله موجودة بالفعل وأجزاءه بالقوّة، وقدره على وجه لا يتأتّى منه غير ما قدره فيه، كتقديره في النواد أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون، وتقدير منّي الإنسان أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوانات، فتقدير الله على وجهين:

أحدهما: بالحكم منه أن يكون كذا أو لا يكون كذا، إمّا على سبيل الوجوب وإمّا على سبيل الإمكان، وعلى ذلك قوله: «قد جعل الله لكل شيء قدرا»[73](3)،

والثاني: بإعطاء القدرة عليه، وقوله:«فقدرنا فنعم القادرون»[149](23) تنبيهاً أن كلّ ما يحكم به فهو محمود في حكمه، أو يكون من قوله:«قد جعل الله لكل شيء قدرا»[73](3) وقريء

« فقدرنا » بالتشديد، وذلك منه: أو من إعطاء القدرة، وقوله:« نحن قدرنا بينكم الموت » [120] (60) فإنّه تنبيه أنّ ذلك ليس حكمة من حيث أنّه هو المقدر، وتنبيه أن ذلك حكمة من حيث أنه ذلك ليس كما زعم المجوس أن الله يخلق وقوله:« إن أنزلناه في ليلة القدر »[150](1) إلى آخرها، أي: ليلة قيضها لأمور مخصوصة، وقوله:« إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر »[36](49)، وقوله:« والله يقدر اللّيل والنهار علم أن لن تحصوه »[151](20) إشارة إلى ما أجدي من تكوير اللّيل على النّهار، وتكوير النهار على الليل، وقوله:« من نطفة خلقه فقدره »[152]19.

فإشارة إلى ما أوجده فيه بالقوّة فيظهر حالاً فحالاً إلى الوجود بالصّورة، وقوله:« وكان أمر الله قدراً مقدوراً »[153](38)، فقدر إشارة إلى ما سبق به القضاء، والكتابة في اللّوح المحفوظ والمشار إليه بقوله عليه الصّلاة والسّلام:« فرغ ربّكم من الخلق والخلق والأجل والرزق » والمقدور إشارة إلى ما يحدث عنه حالاً فحالاً، ممّا قدر، وهو المشار إليه بقوله:« كلّ يوم هو في شأن »[55] (29)، وعلى ذلك قوله:« وما ننزله إلا بقدر معلوم »[66](21)، قال أبو الحسن، خذه بقدر كذا وبقدر كذا، وفلان يخاصم بقدر وقدر، وقوله:« على الموسع قدره وعلى المقتر قدره »[16](236)، وقوله:« والّذي قدّر فهدى »[154](3) أي: أعطى كلّ شيء ما فيه مصلحته، وهداه لما فيه خلاصة، إمّا بالتّسخير، وإمّـا بالتعليم، كما قال:« أعطى كل شيء خلقه ثم هدى »[127](50).

وجاء في المعجم الوسيط: قدر: عليه: قدارة: تمعن منه الشيء: قدرا، بيّن مقداره، ويقال: قدر قدر فلانا: عظمه: وفي التنزيل العزيز:« وما قدروا الله حق قدره » وجعله بقدير، ويقال: قدر الأمر: دبره وفكر في تسويته، والشيء بالشيء: قاسه به وجعله على مقداره، الله الأمر على فلان، جعله له، وحكم به عليه، الرزق عليه، ضيقه، وفي التنزيل العزيز «وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه».

قدّر: فلان: تمهل وفكر في تسوية أمر وتهيئته، وفي التنزيل العزيز، «وقدر في السرد» والشيء: بيّن مقداره، والشيء بالشيء، قاسه به وجعله على مقداره، و: الله الأمر عليه[123] ج2 ص745.

إن ما نلاحظه على لفظ قدّر هو ما يقدره الله تعالى من القضاء، هذا المعنى اشترك فيه صاحب الصحاح وصاحب المقاييس أمّا في المفردات فقد ورد أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب القدرة أي كلّ ما قدر عليك وهو من عند الله سبحانه وتعالى هو صاحب القدرة أي كلّ ما قدر عليك هو من عند الله تعالى أمّـا الوسيط فقد أورد أنّه التمكن من الشيء.

4. 9. 1.مقارنة بين لفظ كتب واللفظتين: فرض وقدر:

إذا جئنا للآية:« كتب ربّكم على نفسه الرّحمة » وأردنا أن نلاحظ معناها فنضع لفظ فرض أو قدّر مكان لفظ كتب فنلاحظ أنّه برجوعنا إلى مفهوم لفظ" فرض" من خلال المعاجم أنّه تكليف أمّا الآية هنا فإنّها لا توجّه خطابًا أو فعل أمر إنّما هو خبر فكأنّ الله عزّوجلّ لمّا قال:« كتب ربّكم على نفسه الرّحمة » ربط الكتابة بالوعد فلمّا كان الأمر والفعل منه لم يستوجب استعمال لفظ فرض أمّا عند وضع لفظ كتب في الآية فإنّها تكون أكثر بلاغة وتحمل دلالة توضّح الهدف من الآية أو من النّص القرآني ككلّ أمّا لفظ فرض فيكون أكثر بلاغة إذا كان الأمر بين طرفين أي الطرف الأوّل يفرض على الطرف الثاني شيء ما.

أمّا في الجملة الثانية إذا وضعنا لفظ قدر مكان كتب فإنّنا نجد أنّ ما يقدّره الله تعالى على العباد، لكن الّذي نلاحظه على الجملة بهذه الصيغة يحمل معنى الإخبار لكن عندما نقول:« كتب ربّكم على نفسه الرّحمة » نلاحظ أنّها تحمل معنى الإختيار أي أنّ الله سبحانه وتعالى قادر على فعل أي شيء مع عباده لكنّه اختار لهم الرّحمة، فوعدهم بها، ومن خلال مقارنتنا للألفاظ الثّلاث نلاحظ أنّها غير مترادفة فلا تؤدّي المعنى نفسه بوضعنا لفظ" فرض " أو قدر مكان كتب وبهذا نقرر أن كلمة" كتب " هي الأصوب في هذه الآية لما تحمله من دلالات دقيقة ولا ترادف بين اللّفظين.

4. 10. نحو البلاغة في النموذج الثالث:

4. 10. 1. التّفسيـــر:

الرّازي:« سلام عليكم » فيكون هذا التّسليم بشارة لحصول السّلامة، وقوله:« كتب ربّكم على نفسه الرّحمة » بشارة لحصول الرّحمة عقيب تلك السلامة، قالت المعتزلة قوله:« كتب ربكم على نفسه الرحمة » ينافي أن يقال: إنّه تعالى يخلق الكفر في الكافر، ثمّ يعذّبه عليه، أبد الآباد، وينافي أن يقال: إنّه يمنعه عن الإيمان، ثمّ يأمره حال ذلك المنع بالإيمان، ثمّ يعذبه على ترك ذلك الإيمان، وجواب أصحابنا: أنّه ضارّ نافع محيّ مميت، فهو تعالى فعل تلك الرّحمة البالغة وفعل هذا القهر البالغ ولا منافاة بين الناس من قال: إنّه تعالى لما أمر الرسول أن يقول لهم« سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » كان هذا من قول الله تعالى ومن كلامه، فهذا يدلّ على أنّه سبحانه وتعالى قال لهم في الدنيا «سلام قولا من رب رحيم» ثمّ إنّ أقواماً أفنوا أعمارهم في العبوديّة حتى صاروا في حياتهم الدنيوية كأنّهم انتقلوا إلى عالم القيامة، لا جرم صار التسليم الموعود به بعد الموت في حقّ

هؤلاء حال كونهم في الدّنيا، ومنهم من قال: لا، بل هذا كلام الرسول عليه الصلاة والسلام: وقوله: وعلى التّقدير فهو درجة عالية[88] م7 ج13 ص5.

النسفي:« وإذا جاءك الّذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » إمّا أن يكون أمراً بتبليغ سلام الله إليهم وإمّا أن يكون أمراً بأن يبدأهم بالسّلام إكراماً لهم وتطييباً لقلوبهم وكذا قوله:« كتب ربّكم على نفسه الرّحمة » من جملة ما يقول لهم ليبرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرّحمة وعداً مؤكّدًا[137]م10 ج2 ص14.

الزمخشري:« فقل سلام عليكم » إمّا أن يكون أمراً بتبليغ سلام الله عليهم، وإمّا أن يكون أمراً بأن يبدأهم باللاّم إكراماً لهم وتطييباً لقلوبهم، وكذلك قوله: «كتب ربكم على نفسه الرّحمة» من جملة ما يقول لهم ليسرّهم ويبرّهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم، وقرئ إنّه فإنّه بالكسر على الاستئناف كأنّ الرّحمة استفسرت فقيل« إنّه من عمل منكم » وبالفتح على الإبدال من الرحمة «بجهالة» في موضع الحال أي: عمله وهو جاهل وفيه معنيان: أحدهما: أنّه فاعل فعل الجهلة، لأنّ من عمل ما يؤدّي إلى الضرر في العاقبة وهو عالة بذلك أو ظانّ فمن أهل السّعة والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر:

على أنها قالت عشية زرتها ❁❁ جهلت على عمد ولم تك جاهلا[102] ص330

ابن كثير:« كتب ربكم على نفسه الرحمة » قال: إنّا نجد في التوراة عطفتين أنّ الله خلق السماوات والأرض وخلق مائة رحمة أو جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق، ثمّ خلق الخلق، فوضع بينهم رحمةً واحدةً وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة، قال: فيها يتراحمون وبها يتعاطفون وبها يتباذلون وبها يتزاورون وبها تحنّ الناقة وبها تبخ البقرة وبها تغثو الشاة وبها تتابع الحيتان في البحر، فإذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرّحمة إلى ما عنده ورحمته أفضل وأوسع، وقد روي هذا مرفوعا من وجه آخر، ويسألني كثير عن الأحاديث الموافقة لهذه عن قوله:« ورحمتي وسعت كلّ شيء » وممّا يناسب هذه الآية من الأحاديث أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل:" أتدري ما حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا" ثمّ قال: "أتدري ما حقّ العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟ أن لا يعذّبهم" وقد رواه الإمام أحمد من طريق كميل بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

4. 10. 2. النّحو والبلاغة في النموذج الثالث:

كتب ربكم على نفسه الرحمة:

يذهب الرّازي إلى أن قوله تعالى:« كتب ربّكم على نفسه الرّحمة» ينافي أي يقال: إنّه تعالى يخلق الكفر في الكافر ثمّ يعذّبه عليه، كما يضيف أنّ المفهوم من الآية من بدايتها: «سلام عليكم...»، فهذا يدلّ على أن الله سبحانه وتعالى قال لهم سلام في الدّنيا أمّا الإمام النسفي فيرى أن معنى هذه الآية تبشير بسعة رحمة الله وقبوله التوبة من عباده والآية في مجملها وعد مؤكداً بالرّحمة، أمّا الزمخشري فأشار أن هذه الأية جاء في بداية تبليغ السلام من الله إلى عباده إكراما لهم ثمّ بشيرهم بسبعة رحمته أمّا ابن كثير فيضيف أنّ هذه الرّحمة الّتى أمر الله بها عباده هي جزء واحد ن مائة رحمة الّتى اتّخذ منها تسعا وتسعين ليوم القيامة. قال تعالى:« ورحمتي وسعت كلّ شيئ » وهذا دليل قاطع على أنّ الله سبحانه وتعالى رحم عباده وهو يكتبها على نفسه في قوله « كتب ربكم على نفسه الرّحمة» ويدعونا بأن نكون رحماء بيننا كما جاء في سورة محمد « أشدّاء على الكافرين رحماء بينهم». فصلة الرّحم من هذه الرّحمة وقد ورد فيها أن الأدلّة ما يقنع ويرضي النّفس أمّا إذا جئنا للآية من ناحية البنيّة النحويّة فإنّنا نجد أنّ الفعل كتب يفيد الإيجاب فيحمل معنى أن الله سبحانه وتعالى يخصّ نفسه بالرّحمة الّتى أوجبها على نفسه تفصيلاً منه إحساناً وامتناناً فرحمته تعالى لا تشمل العباد الصالحين فقط بل تتجاوزهم إلى كافّة الخلق فقوله تعالى « كتب ربكم» هي جملة محكيّة بعد القول.

وعند العودة لكتاب البيان في اعراب القرآن نجد أنّه يبيّن الحالة الإعرابية لقوله تعالى:« أنّه من عمل » على عدة أوجه فبذلك يتغيّر حكم ماقبلها فيقول:« إنّه من عمل » يقرأ بكسر إن وفتحها، ففي الكسر وجهات أحدهما أنّها مستأنفة والكلام تامّ قبلها والثّاني أنّه حمل« كتب » على قال: فكسرت "إن" بعده وأمّا الفتح ففيه وجهان.

أحدهما: يدل على الرحمة أي كتب أنه من عمل.

والثاني: أنّه مبتدأ وخبره محذوف أي عليه أنّه من عمل ودلّ على ذلك ماقبله، والهاء ضمير الشأن، ومن بمعنى الّذي أو شرط، وموضعها مبتدأ، ومنكم في موضع الحال من ضمير الفاعل وبجهالة حال أيضا، أي جاهلاً ويجوز أن يكون مفعولاً به، أي بسبب الجهل[8]ج1، ص500.

4. 11. التّحليل الإفرادي في آية « مشاهد من يوم القيامة»

4. 11. 1. الآيــة:« ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميّاً وبكمًا وصمًّا »-الإسراء-97.

4. 11. 2. السيّاق القبلي والبعدي:

« قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم إنّه كان بعباده خبيرًا بصيرًا * ومن يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونهم ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عجبًا وبكمًا وصمًّا مأواهم جهنّم كلّما خبت زدناهم سعيرًا * ذلك جزاؤهم بأنّهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنّا عظامًا ورفاتًا أءنّا لمبعوثون خلقًا جديدًا »[114](96،97،98).

حشــر: قال الجوهري:« حشرت النّاس أحشرهم وأحشرهم حشرًا »: جمعتهم، ومنه يوم الحشر، وروى سعيد بن مسروق عن عكرمة في قوله تعالى:« وإذا الوحوش حشرت »، قال: حشرها: موتها، وحشرت السّنة من فلان، أي أهلكته والمحشر بكسر الشين: موضع الحشر، والحاشر، اسم من أسماء النبيّ صلى الله عليه وسلم، وقال:« لي خمسة أسماء: أنا محمّد وأحمد، والماحي يمحو الله بي الكفر، والحاشر أحشر النّاس على قدميّ، والعاقب »[116] ج2 ص284.

وجاء في مقاييس اللّغة: الحاء والشّين والرّاء قريب المعنى من الذّي قبله، وفيه زيادة معنى، وهو السوق والبعث والانبعاث وأهل اللغة يقولون: الحشر الجمع مع سوق، وكل جمع حشر والعرب تقول حشرت مال بني فلان السّنة كأنّها جمعته، ذهبت به وأتت عليه، قال أحد الشعــراء:

وما نجا من حشرها المحشـوش ❁❁ وحـش ولاطش من الطوش.

ويقال أذن حشرة، إذا كانت مجتمعة الخلق: قــال:

لها أذن حشـرة مشــرة ❁❁ كإعليط مرخ إذا ما صفر.

ومن أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم:« الحــاشر» معناه أنّه يحشر النّاس على قدميه، كأنّه يقدّمهم يوم القيامة وهم خلفه، ومحتمل أن يكون لمّا كان آخر الأنبياء حشر النّاس في زمــانه[52]ج2 ص66،67.

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن:« إخراج الجماعة من مقرّهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها، وروي:« النّساء لا يحشرن» أي: ولا يخرجن إلى الغزو، ويقال ذلك في الإنسان وفي

غيره، يقال: حشرت السّنة مال بني فلان أي: أزالته عنهم، ولا يقال الحشر إلاّ في الجماعة، قال الله تعالى:« وابعث في المدائن حاشرين »[117](36)، وقال تعالى:« والطّير محشورة »[118](36)، وقال عزّ وجل:« وإذا الوحوش حشرت »[152](5)، وقال:« لأوّل الحشر ما ظننتم أن يخرجوا »[141](2)، « وحشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطّير فيهم يوزعون»[153] (17)، وقال في صفة القيامة:« وإذا حشر النّاس كانوا لهم أعداءً »[154](6)، « فسيحشرهم إليه جميعًا»[47](172)، « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا »[125](47)، وسمّي يوم القيامة يوم الحشر كما سمّي يوم البعث والنّشر، ورجل حشر الأذنين أي في أذنيه انتشارًا وحدة[119] ص237.

وجاء في المعجم الوسيط:« الحشر، الاجتماع، واجتماع الخلق يوم القيامة، والجماعة».

وحشرهم حشرًا: وجمعهم وساقهم، ويقال حشر الله الخلق حشرًا: بعثهم من مضاجعهم وساقهم[123] ج1ص181.

جاء في الصحاح أن الحشر بمعنى الجمع وأضاف إلى ذلك صاحب المقاييس السوق والبعث والانبعاث ويوضح أن الحشر هو الجمع مع سوق، أمّا صاحب المفردات فيضيف معنى مهمًّا لذلك فيذكر أنّه إخراج الجماعة من مقرّهم وإزعاجهم فكأنّ الحشر لا يكون في جمع من النّاس لا فرد إضافة إلى أنّ الحشر يكون بطريق لا إرادي من هذا الجمع كالإرغام في الحروب مثلاً. أمّا المعجم الوسيط فهو ينحو المنحى نفسه الّذي ذهب إليه من سبق من أصحاب هذه المعاجم.

وفيما يلي نرى بعض الآيات التي فيها لفظ "حشر":

« فحشر فنادى فقال أنا ربّكم الأعلى »- سورة النازعات، الآية: 23 -مكية.

« قال ربّ لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً »- سورة طه، الآية: 125-مكية.

« وإنّ ربّك هو يحشرهم إنّه حكيم عليم »- سورة الحجر، الآية: 25-مكية.

« ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله »- سورة الفرقان، الآية: 17-مكية.

« ونحشره يوم القيامة أعمى »- سورة طه، الآية: 124-مكية.

ومن أجل أن نلاحظ مدى دقّة ألفاظ القرآن الكريم، ومن أجل دراسة الألفاظ وتوضيح مدى الفروق المعنوية الموجودة بين هذا اللّفظ وما يقاربه من الألفاظ الأخرى اخترنا لذلك لفظين من أجل

أن نجري مقاربة بين الألفاظ الثلاثة وإثبات بلاغة الآية القرآنية في اللّفظ الذي ورد فيها، ولهذا الغرض اخترنا لفظين اثنين هما: حشد وجمع.جاء في الصّحاح للجوهري: حشد/: عندي حشد من النّاس أي جماعة وهي الأصل المصدر.

وحشدوا يحشدون بالكسر حشداً، أي: اجتمعوا، وكذلك احتشدوا وتحشدوا، وجاء فلان حاشدًا، ومحتفلاً محتشدًا، أي: مستعدّا، متأهّباً، ورجل محشود إذا كان النّاس يحقون لخدمته لأنّه مطاع فيهم وأرض حشاد، لا تسيل إلاّ عن مطر كثير[116] ص44، 45.

وجاء في المقاييس: الحاء والسين والدال قريب المعنى من الذي قبله، يقال حشد القوم إذا اجتمعوا، وخفوا في التعاون، وناقة حشود، يسرع اجتماع اللبن في ضرعها، والحشد: المحتشدون، وهذا إن كان في معنى من قبله ففيه معنى آخر، وهو التعاون، ويقال يحذف حاشد وحاشك: مجتمع الحمل كثيرة[52] ج2 ص22:

وجاء في المعجم الوسيط: حشد/: الزرع، حشدا: نبت كله: والناقة ونحوها: غرر اللبن في ضرعها، وحشد القوم أو الجند حشودا: اجتمعوا وخفوا في التعاون، القوم حشد حشدا: جمعهم، ويقال: حشد: جمعهم، ويقال: حشد لهذا الأمر جميع قواه. وبت في ليلة تحشد علي الهموم (أحشدوا) إجتمعوا الأمر.

(احتشدوا): أحشدو، وفلان في كذا أجاد الاستعداديّــة.

الحشد: من النّــاس- الجماعة [123]ج2 ص181.

يقول صاحب الصحاح الحشد من الناس الجماعة، واحتشدوا واجتمعوا، وجاء الرجل حاشدا متأهّباً كما أن صاحب المقاييس لا يبتعد عن ذلك فيقول هو الاجتماع والاسراع في التعاون أمّا ما نجده في المعجم الوسيط فإنّنا نلاحظ أنّه يجمع بين كلّ هذه المعلومات وما نلاحظه على مفهوم لفظ حشد هو أن الحشد يكون عن قناعة من الجماعة.

جاء في الصحاح: جمعت الشّيء المتفرّق فاجتمع: والرجل المجتمع: الذي بلع أشدّه ولا يقال ذلك للنساء، وتجمع القوم، أي: اجتمعوا من ههنا وههنا.

وجماع الناس بالضم: أخلاطهم، وهم الأشابه من قبائل شتى والجمع مصدر قولك جمعت الشيء، وقد يكون اسما لجماعة الناس، ويجمع على جموع، والموضع مجمع ومجمع، مثال مطلع ومطلع[116]ج3 ص456، 457.

وجاء في المقاييس: جمع: الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء: يقال: جمعت الشيء جمعا، والجماع الأشابه من قبائل شتى، وقال أبو قيس.

ثــمّ تجلّت ولنا غاية ❁❁ من بين جمع غير جمـاع

وسمّي الجمع لاجتماع النّـاس به وكذلك يوم:[الجمعة]، وأجمعت على الأمر إجماعًا وأجمعتـه، قال الحارث بن حلّزة.

أجمعوا أمرهم بليل فلـمّا ❁❁ أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

ويقال فلان مجمعة: يجتمع النّــاس فيها ولا يتفرقون حوف الظلال[52] ج2 ص479، 480...

أمّــا في المفردات فقد جاء مايلي:جمع: الجمع: ظلم الشّيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع، وقال عزوجل:« وجمع الشمس والقمر »[57](9)، « وجمع فأوعى »[155](18)، « جمع مالاً وعدده »، وقال تعالى:« يجمع بيننا ربّنا ثمّ يفتح بيننا بالحّ »[156] (26)، وقال تعالى: « لمغفرة من الله ورحمة خير ممّا يجمعون »[56](157)،« قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ»[114] (88)، وقال تعالى:« فجمعناهم جمعًا »[125](99)، وقال تعالى: «إنّ الله جامع المنافقين والكافرين »[47](140)، « وإذا كانوا معه على أمر جامع »[78] (62)، أي: أمر له خطر يجتمع لأجله النّاس، فكأنّ الأمر نفسه جمعهم، وقوله تعالى:« ذلك يوم مجموع له النّاس »[14] (103) أي: جمعوا فيه، نحـو:« وتنذر يوم الجمع »[158](7) وقال تعالى:« يوم يجمعكم ليوم الجمع »[158](9)، ويقال للمجموع: جمع وجميع وجماعة، وقال تعالى:« وما أصابكم يوم التقى الجمعان »[56](166)، وقال عزّ وجلّ:« وإن كل لما جميع لدينا محضرون »[159](32)، والجماع يقال في أقوام متفاوتة اجتمعوا... وأجمعت كذا أكثر ما يقال فيما يكون يتوصّل إليه بالفكرة، نحو:« فأجمعوا أمركم وشركاءكم »[15](71)، وقد قرئ:« فأجمعوا » من جمعت: قال الشاعر:

هل أغدوا يومًا ❁❁ وأمري مجمع،

وقال تعالى:« فأجمعوا كيدكم »[127](164)، ويقال: أجمع المسلمون على كذا إذا اجتمعت آراؤهم عليه، ونهب مجمع: ما يوصل إليه بالتدبير والفكرة، وقوله عزّ وجلّ:« إنّ النّـاس قد جمعوا لكم »[56](173)، قيل جمعوا آرائهم في التّدبير عليكم، وقيل: جمعوا جنودهم، وجميع وأجمع وأجمعون يستعمل لتأكيد الاجتماع على الأمر: فأمّا أجمعون فتوصف به المعرفة، ولا يصح نصبه على الحال، نحو قوله تعالى:« فسجد الملائكة كلهم أجمعون »[66](30)،« وأتوني بأهلكم أجمعين »[101](93) فأما جميع فإنه قد ينصب على الحال فيؤكد به من حيث المعنى، نحو: « اهبطوا منها جميعا »[16](98)، وقال:« فكيدوني جميعا »[157](55)، وفلان جميع، أي: مجتمع العقل والقوة، ويقال: الجميع ما جمع عددا، وقولهم: يوم الجمعة لإجتماع الناس للصلاة، قال تعالى:« إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله »[160] (9).

جاء في المعجم الوسيط: جمع: المتفرق: جمعا: ضم بعضه إلى بعض، وفي المثل:« تجمعين خلابة وصدوداً »، يضرب لمن يجمع بين خصلتي شر: وجمع الله القلوب ألفها، فهو جامع، وجموع أيضا، ومجمع، وجمّاع، والمفعول: مجموع، وجميع، ويقال: جمع القوم لأعدائهم: حشدوا لقتالهم وفي التّنزيل العزيز:« إنّ النّـاس قد جمعوا لكم فاخشوهم ».

تجمع: انضمّ بعضه إلى بعض[123] ج1 ص140

جاء في الصحاح أن لفظ جمع يعني الأشابه من قبائل شتى، أمّا صاحب المقاييس فيضيف على ذلك أنّه الضمّ وهو عكس التّفرق، أمّا صاحب المفردات فيوضّح ذلك أكثر بقوله هو ضمّ الشّيء بتقريب بعضه من بعض وهو الكلّ، كما أنّنـا نجد المعجم الوسيط يوسع القول في ذلك.

4. 11. 2. 1.مقارنة بين الألفاظ: حشر، حشد، جمع

من خلال ما استنتجناه وما لاحظناه من خلال المصطلحات الثلاثة: حشر، حشد وجمع من خلال المعاجم الأربعة التي استعملناها في دراستنا نلاحظ أنّ معاني هذه الألفاظ متقاربة لكن كل لفظ متميز بدلالات تجعله لا يبلّغ المعنى نفسه فإذا جئنا للآية ووضعنا لفظ حشد بدل لفظ حشر لكان الحشد اجتماعًا للنّاس من غير فرض بل باختيارهم لكن الآية باحتوائها على لفظ: حشر تعطي بغير اختيار ولا تشاور بين من حشر وكأنّ الفعل حشر يكون بفعل أمر أو إجبار على ذلك، على عكس الفعل حشد الّذي يعني الاجتماع عن رغبة، فالفعل حشد إذن لا يؤدي الوظيفة المعنوية الّتي يؤدّيها الفعل حشر وهذا ما نجده كذلك مع الفعل جمع والّذي يعني ضمّ الشّيء إلى الشّيء وبالطبع فهو لا يؤدّي معنى

الحشر: هو أنّ ما نلاحظه إنّ الألفاظ غير مترادفة فإذا وضعنا واحدًا بدل الآخر يتغيّر المعنى ولم يؤدّي الجملة أو الآية هدفها.

4. 12. النحو والبلاغـــة:

4. 12. 1. التفسيـــــر:

الرّازي: الأوّل: قوله تعالى:« ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميًّا وبكمًّا وصمًّا » فإنّ في كيف يمكنهم المشي على وجوههم قلنا الجواب من وجهين: إنّهم يسحبون على وجوههم، قال تعالى:« يوم يسحبون في النّـار على وجوههم ».

الثّاني: روى أبو هريرة قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال إنّ الّذي يمشيهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، قال حكماء الإسلام الكفّـار أرواحهم شديدة التعلّق بالدّنيا ولذّاتها وليس لها تعلّق بعالم الأبرار فلّما كانت وجوه قلوبهم وأرواحهم متوجّهة إلى الدنيا لا جرم كان حرصهم على وجوههم، وأمّا قوله:« عميًّا وبكمًّا وصمًّا » فعلم أنّ واحداً قال لابن عبّاس رضي الله عنه: أليس الله يقول:« ورأى المجرمون النّار »، وقال:« سمعوا لها تغيُّظا وزفيراً » وقال:« دعوا هنالك ثبورا » وقال:« يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » وقال حكاية عن الكفار « والله ربنا ما كنا مشركين » فثبت بهذه الآيات أنهم يرون ويسمعون ويتكلمون فكيف قال ههنا « عميًّا وبكمًّا وصمًّا » أجاب ابن عباس وتلامذته عنه من وجوه الأوّل قال ابن عبّاس عميّا لا يرون يسرّهم صمًّا ولا يسمعون شيئا يسرهم بكمال ينطقون بحجة الثاني قال في رواية عطاء عن النّظر إلى ما جعله الله لأوليائه بكمًّا عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقرّبين صمًّا عن ثناء الله تعالى على أوليائه.

الثالث: قال مقاتل أنّه يقال لهم (فيها لا يتكلّمون) يصيرون عمياً بكماً، صماً، أمّا قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون.

الرّابع: أنّهم يكونون رائيين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لمّا قدروا على أن يطالعوا كتبهم ولا أن يسمعوا إلزام حجّة الله عليهم إلاّ أنّهم إذا أخذوا يذهبون من الموقف إلى النّار جعلهم عميًّا وبكمًّا وصمًّا و(الجواب) أنّ الآيات السّابقة تدلّ على أنّهم في النّار يبصرون ويسمعون ويصيحون[88] م11 ج21 ص140.

النسفي:« ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم » أي يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله علبه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال:" إن الّذي أمشاهم على أقدامه قادر على أن يمشيهم على وجوههم« عميًّا وبكمًّا وصمًّا » كما كانوا في الدّنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحقّ ويتصامتون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون مسامعهم ولا ينطقون ممّا يقبل منهم "[137] م1 ج2 ص328.

الزمخشري:« ومن يهد الله » ومن يوفّقه ويلطف به « فهو المهتد » لأنّه لا يلطف إلاّ بمن عرف أنّ اللّطف ينفع فيه« ومن يضلل » ومن يخذل« فلن تجد لهم أولياء » أنصارا « على وجوههم » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم؟ قال:" إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشوا على وجوههم" – « عميًّا وبكمًّا وصمًّا » كما كانوا في الدّنيا لا يستبصرون، ولا ينطقون بالحقّ ويتصامون عن استماعه، فهو في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقرّ أعينهم، ولا يسمعون ما يلذّ مسامعهم، ولا يتعلّقون بما يقبل منهم« ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى »، فقد أخبر عنهم في موضع آخر أنّهم يقرؤون ويتكلّمون[102] ص609.

ابن كثير:" ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياًوبكمًا وصمًا " يقول تعالى مخبرا عن تصرفه في خلقه ونفود حكمه، وأنّه لا معقّب له بأنّه من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه أي يهدونهم كما قال:« من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدًا »، وقوله:« ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم » قال الإمام أحمد:" حدثنا ابن نمير، حدثنا اسماعيل عن نفيع، قال سمعت أنس بن مالك، يقول: قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال:" الّذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم " وأخرجاه في الصحيحين، وقال الإمام أحمد أيضا: حدّثنا الوليد بن جميع القرضي عن أبيه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسد قال: قام أبو ذر فقال: يا بني غفّار، قولوا ولا تحلفوا فإن الصادق المصدوق حدّثني، أن النّاس يحشرون على ثلاثة أفواج، فوج راجين طامعين كاسين، وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النّار فقال قائل منهم: هذا قد عرفناهما فما بال الّذين يمشون ويسعون. قال:" يلقي الله عز وجل الآفة على الظّهر حتّى لا يبقى ظهر، حتذى إنّ الرّجل لتكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشّارف ذات القتب فلا يقدر عليها " وقوله:" عميا " أي لا يبصرون،" وبكما " يعني لا ينطقون" وصما " لا يسمعون، وهذا يكون في حال دون حال جزاءً لهم كما كانوا في الدنيا بكمًّا وعميًّاوصمًّا عن الحقّ فجوّوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه: " مأواهم " أي منقلبهم ومصيرهم" جهنّم كلّما خبت " قال ابن عباس: سكنت، وقال مجاهد: طفئت

« زدناهم سعيراً » أي لهبها ووهجها وجمراً، كما قال:« فذوقوا فلن نزيدكم إلاّ عذاباً »[138]ج3 ص114.

4. 12. 1.1.استنتــاج:

في هذه الآية إشارة إلى عمليّة المشي يوم القيامة فقد قال تعالى:« ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميًّا وبكيًّا وصمًّا » فالإمام الرّازي يقول قد يكون هذا المشي سحباً على الوجوه كما أنّهم لا يسمعون ما يسرّهم ولا يرون ما يسعدهم ولا ينطقون أمّا النّسفي فقد ذهب إلى الزّمخشري احتفاظاً بالمعنى نفسه إلاّ بعض الشرح مستندين كلّهم إلى بعض الآيات والأحاديث الّتي تصبّ في المعنى نفسه.

أمّـا ابن كثير فقد أضاف إلى ذلك الحديث الّذي يحمل الأصناف الثلاث للنّاس يوم الحشر، ويرى أنّ العمى والصم و البكم يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا صامتين عن الحقّ.

4. 12. 2. النّحـو والبلاغــة:

هذه الآية تبيّن لنا هيئة وحالة أولئك الّذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى النّـار فإنّ الملائكة تسحبهم بهذه الصفة وعلى هذه الوضعيّـة فقوله تعالى على وجوههم حال و"عميًّا" حال أخرى إما بدل من الأولى وإمّا حال من الضمير في الجار.

وإذا عدنا لـ: "على" فإنّنا نجدها توضّح الهيئة الّتى تحشر عليها هذه الزمرة[144]ج2 ص833، وإذا عدنا إلى بعض المعاني المتعلّقة بالصمم والعمى والبكم فإنّنا نجد أنّ المولود يتعلّم بواسطة السمع أضعاف ما يتعلّمه بواسطة البصر، والأصمّ منذ الولادة لا يستطيع أن يتعلّم اللّغة أبداً وهو أبكم، بينما المولود بدون نعمة البصر يستطيع أن يتعلّم اللّغة بل اللّغات بكلّ يسر، ويوجد مئات بل آلاف العباقرة من فاقدي نعمة البصر، إلا أنّه من العسير أن نعدّ على الأصابع العباقرة من فاقدي نعمة السمع وخاصّة إذا كان فقد السّمع منذ الولادة أو في مرحلة الطفولة المبكرة، ولهذا جاء في الآية الكريمة:«والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون».

فقدّم الله سبحانه وتعالى ذكر السمع علم البصر في معرض سياق الطرق الأساسيّة الّتي بها يكتسب الإنسان المعرفة.

إنّ هذا من إعجاز القرآن الكريم، لقد فضّل الله سبحانه وتعالى السمع على البصر لأنّه أوّل مايؤدي وظيفته في الدنيا لأنّه أداه الإستعداد في الآخرة فالأذن لا تنام أبداً فإنّ السمع أوّل عضوّ يؤدي وضيفته في الدّنيا، فالطفل ساعة الولادة يسمع عكس العين فإنّها لا تؤدي مهمّتها لحظة مجيئ الطفل إلى الدنيا، فكأنّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا: إنّ السمع هو الّذي يؤدّي مهمّته أوّلاً فإذا كنت بجوار طفل وُلد منذ ساعات وأحدثت صوتاً مزعجاً فإنّه ينزعج ويبكي، ولكنّك إذا قربّت يدك من عين الطفل بعد الميلاد مباشر فإنّه لا يتحرّك ولا يحسّ بالخطر، هذه واحدة وإذا نام الإنسان، فإن كلّ شيئ يسكن فيه إلاّ سمعه، إنّك إذا أردت أن توقظ النائم ووضعت يدك قرب عينيه فإنّه لا يحسّ ولكنّك إذا أحدثت ضجيجاً بجانب أذنه فإنّه يقوم من نومه فزعا هذه الثانيّة، أمّـا الثالثة فهي أن الأذن هي الصلة بين الإنسان والدنيا.

فالله سبحانه وتعالى حين أراد أن يجعل أهل الكهف ينامون مئات السنين قال « ضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا »، ومن هنا عندما تعطل السمع استطاعوا النّوم مئات السنين دون أي إزعاج ذلك أنّ ضجيج الحركة في النّهار يمنع الإنسان النّوم العميق وسكونها بالليل يجعله ينام نوماً عميقاً، هذا بالنسبة للولادة والحياة الدّنيا فالسمع أولى لذا نجد أغلب الآيات الّتى ورد فيها السّمع والبصر يسبق السمع فيها البصر لكن الآية السّابعة والتّسعين عن سورة الإسراء نجد الحديث عن فقدان البصر يسبق الصّمم وذلك أنّ هذه حياة أخرى فالبصر ضروري لرؤية هذه الظاهرة فكان فقده مهمًّا هو الآخر وتبعه السمع والكلام.

4. 12. 2. 1.خلاصة:

إنّ المفسرين لمّا كان هدفهم تفسير القرآن هو تقريب المعاني وتوضيح الغامض من ألفاظ القرآن الكريم لا يدلّ هذا على أنّنا نقبل بأنّ هذه المعاني تعني مرادفات الألفاظ بل هي لتقريب المعنى فحسب وللأستاذ "محمّد نور الدّين المنجد"، كلام جميل في تفنيد ظاهرة التّرادف في كتابه التّرادف في القرآن الكريم بين النّظرية والتطبيق يقول فيه "تبيّـن لنا من تحليل مجموعة من الألفاظ اللّغوية والقرآنية الّتي توهم بالتّرادف براءة القرآن الكريم من هذه الظاهرة اللّغوية إن صحّ تعميم الحكم على سائر ألفاظه، فقد هدى التأمّل في آيات الكتاب العزيز بعد الإفادة من أقوال السلف واستقراء الألفاظ في مواضعها وعرضها على لغة القرآن الكريم نفسه إلى اختصاص كلّ لفظ منها بدلالة أو أكثر من

الدلالات الهامشيّـة التى تمتاز بها من الألفاظ الأخرى التى تشاركه في المعنى العام"[151] ص203.

كما أنّ الدّراسة النّحوية البلاغيّة والنظر إلى التّـفاسير الأربعة المختلفة أطلقت لدينا القدرة على التّفكير الأوسع كون هذه الآيات مفتوحة للنظـر من قبل الآوائل و الآواخر.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث يجدر بنا أن نقف عند ما ذكره الأستاذ عمّار ساسي حينما قال بأنّ الجهد الفردي لا يقوى على دراسة الإعجاز في الآيات القرآنيّة من محكمات ومتشابهات ولمّا كان موضوع رسالته خاصًّا بالآيات المحكمات أشار كذلك إلى أنّه يسعى إلى دراسة الآيات المتشابهات من أجل أن تتكامل الدّراستين في موضوعي المحكم والمتشابه وقد أشار كذلك إلى أنّ هذه الدّراسة لا تقتصر على الجهد الفردي بل لابدّ من فريق عمل جادّ وصبور من أجل الوصول إلى النتائج الإيجابية الّتي تفرزها الجهود الجماعيّة المخلصة ويشرفني أن أكون من بين هذه الجماعة وخاصّة بالإنفراد بموضوع المتشابه، فإعجاز القرآن أمر متعدّد النواحي متشعّب الاتّجاهات ومن المتعذّر أن ينهض لبيان الإعجاز القرآني شخص واحد ولا حتى جماعة في زمن ما مهما كانت سعة علمهم واطّلاعهم وتعدّد اختصاصاتهم، إنّما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القرآن في نواحٍ متعدّدة حتى زمانهم هم ويبقى القرآن الكريم مفتوحاً لمن يأتي بعدنا في المستقبل ولما يجدّ من جديد، وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال، فالإعجاز القرآني متعدّد النواحي، فالمختصون بالتّشريع والقانون يبيّنون إعجاز القرآن التّشريعي ويبيّنون مواقع الألفاظ التشريعيّة في القرآن ودقّتها في الدّلالة على دقة التّشريع ورفعته ما لا يصحّ استبدال غيرها بها، وإن اختيار هذه الألفاظ في بابها أدقّ وأعلى ممّا نبيّن نحن من اختيارات لغوية وفنية و جمالية أما إذا جئنا إلى المختصين بعلم التشريح والطب في بيان شيء من أسرار التعبير القرآني من الناحية الطبية التشريعية ودقتها يفوق ما نذكره في علم البلاغة فألفاظه مختارة في منتهى الدقة العلمية من ذلك على سبيل المثال ما ذكره القرآن في مراحل تطور الجنين في الرحم هي التي انتهى إليها العلم مما لم يكن معروفا قبل هذا العصر من ما دعا العلماء الأجانب إلى أن يعلنوا إسلامهم وليس ذلك فقط بل إن اختيار التعبير على العلاقة أو المضغة مثلا أعجب اختيار علمي فالمضغة كما قرأناه في كتب التفسير هي القطعة من اللحم قدر ما يمضغ الماضغ ولكن اختيار كلمة "مضغة" سبب آخر، وذلك أن المضغة هي قطعة اللحمة الممضوغة أي التي مضغتها الأسنان ولقد أثبت العلم الحديث أن الجنين في هذه المرحلة ليس قطعة لحم عادية بل هو كقطعة اللحم التي مضغتها الأسنان فاختيار لفظ المضغة اختيار

علمي دقيق، إنه لم يقل قطعة لحم صغيرة ولو قال ذلك لكان صوابا ولكن قال مضغة لما ذكر وربما لغيره أيضا.

وكذلك في علم التاريخ ما دلت عليه الحفريات الحديثة من أخبار ذي القرنين أدق الكلام وأدق الأخبار ما لم يكن يعرفه جميع مفسري القرآن في ما مضى من الزمان وأن الذي اكتشفه المؤرخون والأثريون وما توصل إليه في هذا القرن منطبق على ما جاء في القرآن الكريم كلمة كلمة ولم يكن ذلك معلوما قبل هذا القرن.

أما إذا أتينا إلى جمالية التعبير القرآني لبعض الكلمات التاريخية كالعزيز لقصة يوسف وكاختيار تعبير الملك في القصة نفسها واختيار كلمة فرعون فإننا نلاحظ أن هذه الألفاظ دقيقة لما كان يستعمل في تلك الأزمان السحيقة فالعزيز أدق ترجمة لمن يقوم بذلك المنصب في حينه وأن المصريين القدامى كانوا يفرقون بين الملوك الذين يحكمونهم فيما إذا كانوا مصريين أو غير مصريين فالملك غير المصري الأصل كانوا يسمونه الملك والمصري الأصل يسمونه فرعون وهكذا تنوعت الإشارات الإعجازية في مختلف العلوم كما في أسرار البحار والضغط الجوي وتوسع الكون وبداية الخلق، وعلى هذا فالإعجاز القرآني متعدد النواحي متشعب الاتجاهات ولا يزال الناس يكتشفون من مظاهر إعجازه الشيء الكثير فلا غرو أن نقول إذن أن الإعجاز أكبر من ما ينهض له واحد أو جماعة من زمن ما، كما أن التعبير الواحد قد نرى فيه إعجازا لغويا ونرى في الوقت نفسه إعجازا علميا أو إعجازا تاريخيا أو إعجازا نفسيا أو إعجازا تربويا أو تشريعيا أو غير ذلك، فيأتي اللغوي ليبين مظاهر إعجازه اللغوي وأنه لا يمكن استبدال كلمة بأخرى ولا تقديم ما أخر ولا تأخير ما قدم أو توكيد ما نزع منه التوكيد أو توكيد ما أكد ويأتي بذلك العالم في التشريع ليقول ذلك من وجهة نظر التشريع والقانون ويأتيك المؤرخ ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التاريخ ويأتي صاحب كل علم ليقول مثل ذلك من وجهة نظر علمه.

وهذا ما يدل على شيء من مواطن الفن والجمال في هذا التعبير الفني الرفيع ونضع أيدينا على شيء من سموّ هذا التعبير ونبين أنه لا يقدر على مجاراته بشر بل ولا البشر كلهم أجمعون ومع ذلك لا نقول إن هذه هي مواطن الإعجاز ولا بعض مواطنه وإنما هي ملامح ودلائل تأخذ باليد وإضاءات توضع في الطريق، يدل السالك على أن هذا القرآن فني مقصود وضع وضعا دقيقا ونسج نسجا محكما فريدا لا يشابهه كلام، ولا يرقى إليه حديث.

ونستطيع أن نقول في خاتمة هذا البحث أن الإعجاز البياني هو المعجزة الخالدة التي جاءت للجنّ والإنس كافة على مدى الأزمان فمن إعجازه أنه معجز بأسلوبه وبلاغة نظمه وليس في اللفظ فقط

وكذا ليس في المعنى فحسب وإنما في نظم الكلام أي أسلوب وبناء الجملة، ومواقع الإيجاز والإطناب وضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما يرى ذلك عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابيه أساس البلاغة ودلائل الإعجاز.

ومن خلال بحثنا هذا، نخلص إلى عدة نتائج:

- معنى الإعجاز القرآني أنه غير ثابت بل متطور على مدى الأزمان لأن الكشوفات العلمية متجددة.

- تكشف دراسة المتشابه عن دقة اللغة القرآنية التي تعكس بصورة مقابلة دقة الظواهر وتناسقها في الوجود وتبعا لذلك فإن عجز البعض عن وصول إلى المعنى الحقيق لبعض الآي، يرجع إلى عدم إدراكهم أسرار مكونات هذا الكون وظواهره ككل وعليه فإن عطاءات آيات القرآن الكريم تختلف باختلاف العصور وكلما تقدمت العلوم انكشفت خباياها واكتمل تمام المعنى الحقيقي لها من غير تناقض مع الحقيقة العلمية أو تصادم مع حقائق الكون، فالآيات المتشابهة تتطور ولا تنسلخ فهي مفتوحة المعنى.

- للآيات المتشابهات سمة إعجازية تدل على انفتاح النص باستمرار، فهو مفتوح الدلالة على علوم العصر، فالنص إذن هو بنية واحدة لكن المعنى متغير.

- والبحث في الإعجاز يبقى مشروعا كبيرا للدراسات التطبيقية، فلو أفنت الإنسانية عمرها من أجل الكشف عن أسراره البيانية لما بلغت معشارا منها لقوة الله القاهر فوق عباده ولعظمة بيانه القرآني.

- المفردة القرآنية محكمة في معناها ومبناها ومقصدها ودقيقة في استعمالها وهي جامعة لمعاني ودلالات واسعة تجعلها صالحة لكل زمان ومكان.

- مناقشة ظاهرة الترادف في لغة القرآن الكريم تعد مقياسا أساسيا في إدراك الفصاحة.

- التحليل وفق الرؤيا الجديدة التي تنطلق من أساس خصائص بنية اللسان العربي هي لمن يملك القدرة على التحليل لأجل الوصول إلى الهدف فاللسان العربي هو بمثابة المفتاح.

- إن النظرة الجديدة لا تعطي تفسيرا قاطعا ولا رأيا أخيرا لتفسير هذه الآيات إنما هي نظرة تحليلية على ضوء مبادئ دراسات أدبية اللغوية الحديثة لاستنطاق خبايا النص القرآني وبيانه العربي.

- تحتاج خصائص البيان القرآني إلى تفصيل خاص لمجالات النحو والبلاغة حتى تتبين لنا السمات الأسلوبية الدقيقة للنص القرآني في محكمه ومتشابهه ولا يتم ذلك إلا لدراسة تحليلية للآيات القرآنية التي قلت عند السابقين.

وبعد كل هذا نعترف أن ما قدمناه هو عمل صغير من علم كبير(من علم الإعجاز)، وما نراه إلا مفتاحا لبداية البحث في هذه العلوم.

فإن كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وإن كان من توفيق فمن الله العزيز الحكيم وحده، وأن الحمد لله رب العالمين.

ملحق

الآيات التي ورد فيها لفظ " خلق".

« هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » سورة البقرة، الآية: 29.

« ولا يحلّ لهنّ أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهنّ » سورة البقرة، الآية: 228.

« وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً » سورة البقرة، الآية: 01.

« بل أنتم بشر ممّن خلق يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء » سورة المائدة، الآية: 18.

« الحمد لله الّذي خلق السماوات والأرض وجعل الظّلمات والنّور»سورة الأنعام، الآية: 01.

« وهو الّذي خلق السّماوات والأرض بالحقّ» سورة الأنعام، الآية: 73.

« أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كلّ شيء» سورة الأنعام، الآية:101.

« إنّ ربّكم الله الّذي خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّـام » سورة الأعراف، الآية: 54.

« أولم ينظروا في ملكوت السّماوات والأرض وما خلق الله من شيء» سورة الأعراف، الآية: 185.

« إنّ عدّة الشّهور عند الله اثنى عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض » سورة التوبة، الآية: 36.

« ما خلق الله ذلك إلاّ بالحقّ يفصّل الآيات لقوم يعلمون» سورة يونس، الآية: 05.

« إنّ ربّكم الله الّذي خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّام » سورة يونس، الآية: 03.

« ما خلق الله ذلك إلاّ بالحقّ يفصّل الآيات لقوم يعلمون» سورة يونس، الآية: 05.

« إنّ في اختلاف اللّيل والنّهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتّقون » سورة يونس، الآية: 06.

« وهو الّذي خلق السماوات والأرض في ستّة أيّـام » سورة هود، الآية: 07.

« ألم تر أنّ الله خلق السماوات والأرض بالحقّ» سورة إبراهيم، الآية: 19.

« الله الّذي خلق السماوات والأرض» سورة إبراهيم، الآية: 32.

« خلق السماوات والأرض بالحقّ تعالى عمّا يشركون» سورة النحل، الآية: 03.

« خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين» سورة النحل، الآية: 04.

« أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجّداً لله وهم داخرون » سورة النحل، الآية: 48.

« والله جعل لكم ممّا خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً ولم يروا أنّ الله الّذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم » سورة الإسراء، الآية: 99.

« وتنزيلاً ممّن خلق الأرض والسّماوات العلى» سورة طه، الآية: 04.

« وهو الّذي خلق اللّيل والنّهار والشّمس والقمر» سورة الأنبياء، الآية: 33.

« إذاً لذهب كلّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض» سورة المؤمنون، الآية: 91.

« والله خلق كلّ دابّة من ماء» سورة النور، الآية: 45.

« وخلق كلّ شيء فقدّره تقديراً» سورة الفرقان، الآية: 02.

« وهو الّذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً» سورة الفرقان، الآية: 54.

« الّذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيّـام» سورة الفرقان، الآية: 59.

« وتذرون ماخلق لكم ربّكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون» سورة الشعراء، الآية: 166.

« أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السّماء ماء» سورة النّمل.

« خلق الله السماوات والأرض بالحقّ إنّ في ذلك لآية للمؤمنين » سورة العنكبوت، الآية: 44.

« ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخّر الشّمس والقمر ليقولنّ الله» سورة العنكبوت، الآية:61.

« وما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلاّ بالحقّ وأجل مسمّى» سورة الروم، الآية: 8.

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها» سورة الروم، الآية:21.

« خلق السماوات بغير عمد ترونها» سورة لقمان، الآية: 10.

« هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الّذين من دونه» سورة لقمان، الآية:11.

« ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولـن الله» سورة لقمان، الآية:25.

« الله الذي خلق السموات والأرض مابينهما في ستة أيام » سورة السجدة، الآية:04.

« سبحان الّذي خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض ومن أنفسهم ممّا لا يعلمون » سورة يس، الآية:36.

« أو ليس الّذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم» سورة يس، الآية: 81.

« ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله» سورة الزمر، الآية: 38.

« قل أئنّكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً » سورة فصلت، الآية: 09.

« ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ خلقهن العزيز العليم» سورة الزخرف، الآية:09.

« والّذي خلق الأزواج كلّها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون» سورة الزخرف، الآية: 12.

« وخلق الله السماوات والأرض بالحقّ ولتجزي كلّ نفس بما كسبت » سورة الجاثية، الآية: 22.

« أولم يروا أنّ الله الّذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهنّ بقادر على أن يحي الموتى» سورة الأحقاف، الآية: 33.

« وأنّه خلق الزّوجين الذّكر والأنثى» سورة النجم، الآية: 45.

« الرّحمن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان » سورة الرحمن، الآية:14.

«خلق الإنسان من صلصال كالفخّار» سورة الرحمن، الآية: 14.

« وخلق الجانّ من مارج من نار» سورة الرحمن، الآية:15.

« هو الّذي خلق السماوات والأرض في ستّة أيّـام » سورة الحديد، الآية: 4.

« خلق السمـاوات والأرض بالحقّ وصوّركم فأحسن صوركم» سورة التغابن، الآية: 3.

« الله الّذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنّ» سورة الطلاق، الآية: الآية: 12.

« الّذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً» سورة الملك، الآية: 2.

« الّذي خلق سبع سماوات طباقاً» سورة الملك، الآية: 3.

« ألم يعلم من خلق وهو اللّطيف الخبير» سورة الملك، الآية: 14.

« ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً» سورة نوح، الآية: 15.

« ثمّ كان علقة فخلق فسوّى » سورة القيامة، الآية: 38.

وماخلق الذّكر والأنثى إن سعيكم لشتّى » سورة الليل، الآية: 3.

« أقرأ باسم ربّك الّذي خلق» سورة العلق، الآية: الآية: 1.

« خلق الإنسان من علق» سورة العلق، الآية: الآية: 2.

« قل أعوذ بربّ الفلق, من شرّ ما خلق» سورة الفلق، الآية: الآية: 2.

« ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار» سورة آل عمران، الآية: 191.

« فسجدوا إلاّ إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً» سورة الإسراء، الآية: 61.

« قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» سورة ص، الآية: 75.

« وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون» سورة الذاريات، الآية: 56.

« ذرني ومن خلقت وحيداً» سورة المدثر، الآية:11.

« وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً» سورة مريم، الآية: 09.

« قال مامنعك ألاّ تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» سورة الأعراف، الآية: 12.

« قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» سورة الأعراف، الآية: 12.

« قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون» سورة الحجر، الآية:33.

« قال أنا خيرمنه خلقتني من نار و خلقته من طين » سورة ص، الآية: 76.

« قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالّذي خلقك من تراب» سورة الكهف، الآية: 37.

« يا أيّها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم الّذي خلقك فسوّاك فعدّلك» سورة الإنفطار، الآية:07 .

« يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم الّذي خلقكم والّذين من قبلكم » سورة البقرة، الآية: 61.

« ياأيّها النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ » سورة النساء، الآية:01.

« هو الّذي خلقكم من طين ثمّ قضى أجلاً» سورة الأنعام، الآية: 02.

« هو الّذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها ليسكن إليها» سورة الأعراف، الآية: 189.

« والله خلقكم ثمّ توفّاكم» سورة النحل، الآية: 70.

« واتّقوا الّذي خلقكم والجبلّة الأوّلين» سورة الشعراء، الآية: 184.

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنشرون» سورة الروم، الآية: 20.

« الله الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يميتكم ثمّ يحيكم» سورة الروم، الآية: 40.

« والله خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ جعلكم أزواجاً» سورة فاطر، الآية: 11.

« والله خلقكم وما تعلمون» سورة الصافات، الآية: 96.

« خلقكم من نفسٍ واحدةٍ ثمّ جعل منها زوجها» سورة الزمر، الآية: 06.

« هو الّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة» سورة غافر، الآية: 67.

« وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون» سورة فصلت، الآية: 21.

« هو الّذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » سورة التغابن، الآية: 2.

« مالكم لا ترجون لله, وقد خلقكم أطواراً » سورة نوح، الآية: 14.

« وممّن خلقنا أمّة يهدون بالحقّ و به يعدلون » سورة الأعراف، الآية: 181.

« ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأٍ مسنون » سورة الحجر، الآية: 26.

« وما خلقنا السماوات و الأرض وما بينهما إلاّ بالحقّ» سورة الحجر، الآية: 85.

« وفضلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً» سورة الإسراء، الآية: 70.

« وما خلقنا السّماء والأرض وما بينهما لاعبين» سورة الأنبياء، الآية: 16.

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» سورة المؤمنون، الآية: 12.

« ثمّ خلقنا النّطفة علقةً» سورة المؤمنون، الآية: 14.

« فخلقنا العلقة مضغةً» سورة المؤمنون، الآية: 14.

« فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً» سورة المؤمنون، الآية: 14.

« ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنّا عن الخلق غافلين» سورة المؤمنون، الآية: 17.

« لنحي بلدةً ميتا ونسقيه ممّا خلقنا أنعاماً وأناسيّ كثيراً» سورة الفرقان، الآية: 49.

« أولم يروا أنّا خلقنا لهم ممّا عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون» سورة يس، الآية:71.

« فاسفتهم أهم أشدّ خلقاً أم مّن خلقنا» سورة الصافات، الآية:11.

« أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون» سورة الصافات، الآية: 158.

« وما خلقنا السّماء وما بينهما باطلاً» سورة ص، الآية:27.

« وما خلقنا السماوات و الأرض وما بينهما لاعبين» سورة الدّخان، الآية: 38.

«و ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلاّ بالحقّ وأجل مسمّى» سورة الأحقاف، الآية: 03.

« و لقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تسوس به نفسه » سورة ق، الآية: 16.

« ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيام وما مسنا من لغوب » سورة ق، الآية:38.

« ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكرون» سورة الذاريات، الآية: 49.

« إنّا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه » سورة الإنسان، الآية: 02.

« لقد خلقنا الإنسان في كبد» سورة البلد، الآية: 04.

« لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» سورة التين، الآية: 04.

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّة» سورة الأنعام، الآية:94.

« ولقد خلقناكم ثمّ صورناكم ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» سورة الأعراف، الآية: 11.

« لقد جئتمونا كما خلقناكم أوّل مرّة» سورة الكهف، الآية: 48.

« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى» سورة طه، الآية: 55.

« إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب» سورة الحج، الآية: 05.

« أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون» سورة المؤمنون، الآية: 15.

« يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» سورة الحجرات، الآية:13.

« وخلقناكم أزواجاً » سورة النبأ، الآية: 8.

« والجانّ خلقناه من قبل من نار السّموم» سورة الحجر، الآية: 27.

« أولا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا» سورة مريم، الآية: 67.

« أو لم ير الإنسان أنّـا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين» سورة يس، الآية: 77.

« إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر» سورة القمر، الآية: 49.

« إنّا خلقناهم من طين لازب» سورة الصافات، الآية: 11.

« كلاّ إنّـا خلقناهم ممّا يعلمون» سورة المعارج، الآية: 39.

« نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلاً»، سورة الإنسان، الآية:

« ما خلقناهما إلاّ بالحقّ ولكن أكثرهم لا يعلمون» سورة الدّخان، الآية: 39.

« الّـذي خلقني فهو يهدين» سورة الشعراء، الآية:78.

« خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون » سورة آل عمران، الآية: 59.

« الّذي أحسن كلّ شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين» سورة السجدة، الآية: 7.

« قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه» سورة عبس، الآية: 18.

« من نطفة خلقه فقدّره » سورة عبس، الآية: 19.

« والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون» سورة النحل، الآية: 05.

« وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم» سورة الأنعام، الآية: 100.

« ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربّك ولذلك خلقهم» سورة هود، الآية: 119.

« أولم يروا أنّ الله الّـذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة» سورة فصلت، الآية: 15.

« ولئن سألتهم من خلقهم ليقولّن الله فأنّى يؤفكون» سورة الزخرف، الآية: 87.

« واسجدوا الله الّذي خلقهنّ » سورة فصلت، الآية: 37.

« ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم» سورة الزخرف، الآية:09.

« أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات » سورة فاطر، الآية: 40.

« قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض » سورة الأحقاف، الآية: 04.

« أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون» سورة الطور، الآية: 36.

« أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه طيراً بإذن الله» سورة آل عمران، الآية: 49

« وإذ تخلق من الطّين كهيئة الطّير بإذني» سورة المائدة، الآية: 110.

« إنّما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً» سورة العنكبوت، الآية: 18.

«أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون» سورة الواقعة، الآية: 59.

« ألم نخلقكم من ماء مهين» سورة المرسلات، الآية: 20.

« قال كذلك الله يخلق ما يشاء» سورة آل عمران، الآية: 47.

« يخلق ما يشاء والله على كلّ شيء قدير» سورة المائدة، الآية: 17.

« أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون » سورة الأعراف، الآية: 191.

« والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينةً ويخلق ما لا تعلمون» سورة النحل، الآية: 8.

« أفمن يخلق» سورة النحل، الآية: 17.

« كمن لا يخلق أفلا تذكرون » سورة النحل، الآية: 17.

« أولم يروا أنّ الله الـذي خلق السماوات والأرض قادرا على أن يخلق مثلهم » سورة الإسراء، الآية: 99.

« ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء» سورة النور، الآية: 45.

« ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء» سورة الروم، الآية: 54.

« أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم» سورة يس، الآية: 71.

«لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء» سورة الزمر، الآية: 04.

« الله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء» سورة الشّورى، الآية: 49.

« أم اتّخذ ممّا يخلق بنات وأصفاكم بالبنين» سورة الزخرف، الآية: 16.

« يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلماتٍ ثلاث» سورة الزّمر، الآية: 6.

« إنّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له» سورة الحج، الآية: 73.

<< والّذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون» سورة النحل، الآية: 20.

« واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقونه شيئا وهم يخلقون» سورة الفرقان، الآية: 03.

« يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا» سورة النساء، الآية: 28.

« خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون» سورة الأنبياء، الآية: 37.

« إنّ الإنسان خلق هلوعاً» سورة المعارج، الآية: 19.

« فلينظر الإنسان ممّ خلق» سورة الطارق، الآية: 05.

« خلق من ماء دافق» سورة الطارق، الآية: 06.

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت» سورة الغاشيّة، الآية: 17.

« أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون» سورة الطور، الآية: 35.

« إرم ذات العماد الّتي لم يخلق مثلها في البلاد» سورة الفجر، الآية: 8.

« أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون» سورة الأعراف، الآية: 191.

« والّذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون» سورة النحل، الآية: 20.

« واتّخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون» سورة الفرقان، الآية: 03.

« إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار والفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع النّاس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرّياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» سورة البقرة، الآية: 164.

« إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار والآيات لأولي الألباب» سورة آل عمران، الآية: 190.

« ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً» سورة آل عمران، الآية: 191.

« ولآمرنّهم فليغيرنّ خلق الله» سورة النساء، الآية: 119.

« ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين» سورة الأعراف، الآية: 54.

« واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطةً » سورة الأعراف، الآية: 69.

« إنّه يُبدؤا الخلق ثم ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط» سورة يونس، الآية: 04.

« قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثمّ يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده فأنّى تؤفكون» سورة يونس، الآية: 34.

« وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنّا تراباً أئنّـا لفي خلق جديد» سورة الرعد، الآية: 09.

« أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم» سورة الرّعد، الآية: 16.

« إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد» سورة إبراهيم، الآية: 19.

« ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض » سورة الكهف، الآية:51.

« ولا خلق أنفسهم وما كنت متّخذ المضلين عضداً» سورة الكهف، الآية: 51.

« كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين» سورة الأنبياء، الآية: 104.

« ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنّا عن الخلق غافلين» سورة المؤمنون، الآية: 17.

« أمن يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض» سورة النحل، الآية: 61.

« أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثمّ يعيده» سورة العنكبوت، الآية: 19.

« الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ثمّ إليه ترجعون» سورة الرّوم ، الآية: 11.

« ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنكم وألوانكم» سورة الروم، الآية: 22.

« هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الّذين من دونه» سورة لقمان، الآية: 11.

« الّذي أحسن كلّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين» سورة السجدة، الآية: 7.

« وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أإنّا لفي خلقٍ جديد» سورة سبأ، الآية: 7.

« إن يشأ يذهبكم ويأت بخلقٍ جديد» سورة فاطر، الآية: 16.

« ومن نعمره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون» سورة يس، الآية: 68.

« قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم» سورة يس، الآية: 79.

« يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظلماتٍ ثلاث» سورة الزمر، الآية: 06.

« لخلق السماوات والأرض» سورة غافر، الآية: 57.

« أكبر من خلق النّاس ولكنّ أكثر النّاس لا يعملون» سورة غافر، الآية: 57.

« ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بثّ فيهما من دابّة » سورة الشورى، الآية: 29 .

« أفعيينا بالخلق الأول» سورة ق، الآية: 15.

« بل هم في لبس من خلقٍ جديد » سورة ق، الآية:15.

« ما ترى في خلق الرّحمن من تفاوت » سورة الملك، الآية:3.

« وقالوا أئذا كنّا عظاماً ورفاتًا أئنّـا لمبعوثون خلقاً جديداً » سورة الإسراء، الآية: 49 .

«قل كونوا حجارةً أو حديداً أو خلقاً ممّا يكبر في صدوركم » سورة الإسراء، الآية: 51.

« وقالوا أئذا كنّا عظاماً و رفاتاً أئنّـا لمبعوثون خلقاً جديداً » سورة الإسراء، الآية: 98.

« ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » سورة المؤمنون، الآية: 14.

« يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث» سورة الزمر، الآية: 06.

« أأنتم أشدّ خلقاً أم السّماء بناها» سورة النازعات، الآية: 27.

« ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة إنّ الله سميع بصير» سورة لقمان، الآية: 28.

« وفي خلقكم وما يبثّ من دابّة آيات لقوم يوقنون» سورة الجاثية، الآية: 4.

« أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم» سورة الرّعد، الآية: 16.

« قال ربّنا الذي أعطي كلّ شيء خلقه ثمّ هدىً» سورة طه، الآية: 50.

« وضرب لنا مثلاً ونسيّ خلقه قال من يحي العظام وهي رميم » سورة يس، الآية: 78.

« وجعلـوا الملائكة الّـذين هم عباد الرّحمن إناثاً أشهدوا خلقهم» سورة الزخرف، الآية: 19.

« أولم يروا أنّ الله الّذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهنّ بقادر على أن يحي الموتى» سورة الأحقاف، الآية: 33.

« ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه»سورة الأنعام، الآية: 102.

«قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار» سورة الرّعد، الآية: 16.

« وإذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون » سورة الحجر، الآية: 28.

« هل من خالق غير الله يرزقكم من السّماء والأرض» سورة فاطر، الآية: 03.

« إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين» سورة ص، الآية:71.

« الله خالق كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيل » سورة الزمر، الآية: 62.

« ذلكم الله ربّكم خالق كلّ شيء لا إله إلاّ هو» سورة غافر، الآية: 62.

« هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى» سورة الحشر، الآية: 24.

« أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون» سورة الطور، الآية: 35.

« أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون» سورة الواقعة، الآية: 59.

« ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين» سورة المؤمنون، الآية: 14.

« أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين» سورة الصافات، الآية: 125.

« إنّ ربّك هو الخلاّق العليم» سورة الحجر، الآية: 86.

« بلى وهو الخلاّق العليم» سورة يس، الآية: 81.

« فإنّـا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلّقة» سورة الحج، الآية: 05.

« وغير مخلّقه لنبيّن لكم» سورة الحج، الآية: 05.

« وما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلاّ اختلاق» سورة ص، الآية: 07.

« ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق» سورة البقرة، الآية: 200.

« و من النّاس من يقول ربّنا آتنا في الدّنيا وما لـه في الآخرة من خـلاق»200.

« أولئك لا خلاق لهم في الآخرة» سورة آل عمران، الآية: 77.

« فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم » سورة التوبة، الآية: 69.

« فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم» سورة التوبة، الآية: 69.

« كما استمتع الّذين من قبلكم بخلاقهم» سورة التوبة، الآية: 69.

« إن هذا إلاّ خلق الأوّلين» سورة الشعراء، الآية: 157.

« وإنّك لعلى خلق عظيم» القلم، 04.

<u>الآيات التي ورد فيها لفظ "تراب"</u>:

«فمثله كمثل صفوان عليه تراب عليه تراب فأصابه وابل »سورة البقرة، الآية: 264.

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » سورة آل عمران، الآية: 59.

« أيمسكه على هون أم يدسه في التّراب» سورة النحل، الآية: 59.

« أكفرت بالّذي خلقك من تراب» سورة الكهف، الآية: 37.

« يا أيّها النّاس إن كنتم في ريبٍ من البعث فإنّـا خلقناكم من تراب» سورة الحج، الآية: 05.

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون » سورة الرّوم، الآية: 20.

« والله خلقكم من تراب من نطفة ثمّ جعلكم أزواجاً» سورة فاطر، الآية: 11.

« هو الّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة » سورة غافر، الآية: 67.

« إن تعجب فعجب قولهم أئذا كنّا تراباً أئنّا لفي خلقٍ جديد» سورة الرّعد، الآية: 05.

« أيعد كم أنّكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنّكم مُخرجون» سورة المؤمنون، الآية: 3.

« قالوا أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنّا لمبعوثون» سورة الصافات، الآية: 16.

« أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاما أئنّـا لمبعوثون» سورة الصافات، الآية: 53.

« أئذا متنا وكنّا تراباً ذلك رجع بعيد» سورة ق، الآية: 03.

« وكانوا يقولون أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنّـا لمبعوثون» سورة الواقعة، الآية: 47.

« ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً» سورة النبأ، الآية: 40.

« وعندهم قاصرات الطرف أتراب» سورة ص، الآية: 52.

« فجعلناهن أبكاراً عرباً تراباً» سورة الواقعة، الآية: 37.

« إن للمتّقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواكب تراباً» سورة النبأ، الآية: 33 .

« الترائب خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والتّرائب» سورة الطارق، الآية: 7.

« أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربةٍ أو مسكيناً ذا متربة» سورة البلد، الآية: 16.

الآيات التي ورد فيها مصطلح: الطّين :

« أي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير» سورة آل عمران، الآية: 49.
« وإذ تخلق من الطّين كهيئة الطير بإذني» سورة المائدة، الآية: 110.
« هو الّذي خلقكم من طين ثمّ قضى أجلاً» سورة الأنعام، الآية: 02.
« قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» سورة الأعراف، الآية: 12.
« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» سورة المؤمنون، الآية: 12.
« فأوقد لي يا هامان على الطّين فاجعل لي صرحاً» سورة ص، الآية: 38.
« الّذي أحسن كلّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين» سورة السجدة، الآية: 07.
« إنّا خلقناكم من طين لازب» سورة الصافات، الآية: 11.
« إذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشراً من طين» سورة ص، الآية: 71.
« قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» سورة ص، الآية: 76.
« لنرسل عليهم حجارةً من طين» سورة الذاريات، الآية: 33.
« فسجدوا إلاّ إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً» سورة الإسراء، الآية: 61.

الآيات الّتي ورد فيها لفظ: لازب

« إنّا خلقناهم من طين لازب» سورة الصافات، الآية: 11.

الآيات الّتي ورد فيها لفظ: سلالـــة:

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» سورة المؤمنون، الآية: 12.
« ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مّهين» سورة السجدة، الآية: 8.
« من حمأ مسنون» سورة الحجر، الآية: 26.

الآيات الّتي ورد فيها لفظ: حمـأ:

« ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمإ مسنون» سورة الحجر، الآية: 26.
« إنّي خالق بشرًا من صلصالٍ من حمإ مسنون» سورة الحجر، الآية: 28.
« قال لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصال من حمإ مسنون» سورة الحجر، الآية: 33.

« حتّى إذا بلغ مغرب الشّمس وجدها تغرب في عين حمئة» سورة الكهف، الآية: 76.

الآيات الّتي ورد فيها لفظ: مسنــون:

« ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون» سورة الحجر، الآية: 26.
« إنّي خالق بشرًا من صلصال من حمإ مسنون» سورة الحجر، الآية: 28.
« قال لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصالٍ من حمإ مسنون» سورة الحجر، الآية: 33.

الآيات الّتي ورد فيها لفظ: صلصال:

« ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون» سورة الحجر، الآية: 26.
« إنّي خالق بشرًا من صلصال من حمإ مسنون» سورة الحجر، الآية: 28.
« قال لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصال من حمإ مسنون» سورة الحجر، الآية:33.
« خلق الإنسان من صلصال كالفخّار» سورة الرحمن، الآية:14.

الآيات التي ورد فيها لفظ: حسب:

« أفحسب الـذين كفروا أن يتّخذوا عبادي من دوني أولياء» سورة الكهف، الآية: 102.
« أحسب الـنّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون» سورة العنكبوت، الآية: 2.
« أم حسب الّذين يعملون السيئات أن يسبقونا» سورة العنكبوت، الآية: 4.
« أم حسب الّذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالّذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم» سورة محمّد، الآية: 29.
« أم حسبت أن أصحاب الكهف والرّقيم كانوا من آياتنا عجبًا...» سورة الكهف، الآية: 9.
« أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولم يعلم الله الّذين جاهدوا منكم» سورة آل عمران.
« أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم الله الّذين جاهدوا منكم» سورة التوبة، الآية:16.
« أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثًا وأنّكم إلينا لا ترجعون» سورة المؤمنون، الآية:115.
« فلمّا رأته حسبته لجّةً وكشفت عن ساقيها» سورة النّمل، الآية: 44.
« ويطوف عليهم ولدان مخلّدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا» سورة الإنسان، الآية: 19.
« وحسبوا ألاّ تكون فتنة فعموا وصمّوا ثمّ تاب الله عليهم» سورة المائدة، الآية: 71.
« أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون» سورة الفرقان، الآية: 44.
« ولا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا» سورة آل عمران، الآية: 169.

« ولا تحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا ويحسبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازةٍ من العذاب» سورة آل عمران، الآية: 188.

« ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون» سورة إبراهيم، الآية: 42.

« فلا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله إنّ الله عزيز ذو انتقام» سورة إبراهيم، الآية: 42.

« لا تحسبنّ الّـذين كفروا معجزين في الأرض» سورة النور، الآية: 57.

« فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب» سورة آل عمران، الآية: 188.

« وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمر مرّ السحاب» سورة النّمل، الآية: 88.

« وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال» سورة الكهف، الآية: 18.

« بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتّى» سورة الحشر، الآية: 14.

« وتحسبونه هيّنًا وهو عند الله عظيم» سورة النور، الآية: 15.

« وإنّ منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب» سورة آل عمران، الآية: 78.

« إنّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرًّا لكم» سورة النور، الآية:11.

« أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه» سورة القيامة، الآية: 3.

« أيحسب أن لن يقدر عليه أحد» سورة البلد، الآية: 05.

« أيحسب أن لم يره أحد» سورة البلد، الآية:07.

« يحسب أن ماله أخلده» سورة الهمزة، الآية: 03.

« ولا يحسبن الّذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم» سورة آل عمران، الآية: 178.

« ولا يحسبن الّذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم» سورة آل عمران، الآية: 180.

« ولا يحسبن الّذين كفروا سبقوا إنّهم لا يعجزون» سورة الأنفال، الآية: 59.

« والّذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً» سورة النور، الآية: 39.

« يحسبهم الجاهل أغنياء من التّعفف» سورة البقرة، الآية: 273.

« يحسبون أنّهم اتّخذوا الشّياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنّهم مهتدون» سورة الأعراف، الآية: 30.

« وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا» سورة الكهف، الآية: 104.

« أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات» سورة المؤمنون، الآية: 55.

« يحسبون الأحزاب لم يذهبوا»سورة الأحزاب، الآية: 20.

« وإنّهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنّهم مهتدون» سورة الزخرف، الآية:37.

« أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم ونجواهم» سورة الزخرف، الآية: 80.

« فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنّهم على شيء» سورة المجادلة، الآية: 18.

« يحسبون كلّ صيحة عليهم هم العدوّ فاحذرهم» سورة المنافقون، الآية: 4.

الآيات التّي ورد فيها لفظ: كتب:

« فالآن باشروهنّ وابتغوا ما كتب الله لكم » سورة البقرة، الآية: 187.

« يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة الّتي كتب الله لكم » سورة المائدة، الآية:61.

« كتب على نفسه الرّحمة ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه » سورة الأنعام، الآية: 12.

« فقل سلام عليكم كتب ربّكم على نفسه الرّحمة » سورة الأنعام، الآية: 54.

« قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا » سورة التوبة، الآية: 51.

« كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ الله قوي عزيز » سورة المجادلة، الآية:21.

« أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّده بروحٍ منه » سورة المجادلة، الآية: 22.

« ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذّبهم في الدّنيا » سورة الحشر، الآية: 03.

« فويل لهم ممّا كتبت أيديهم وويل لهم ممّا يكسبون » سورة البقرة، الآية: 79.

« وقالوا ربّنا لم كتبت علينا القتال » سورة النساء، الآية: 77.

« ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلاّ قليل منهم » سورة النساء، الآية:66.

« من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنّه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل النّاس جميعًا » سورة المائدة، الآية: 32.

« وكتبنا عليهم فيها أنّ النّفس بالنّفس والعين بالعين » سورة المائدة، الآية: 45.

« وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة » سورة الأعراف، الآية: 145

« ولقد كتبنا في الزّبور من بعد الذّكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون » سورة الأنبياء، الآية: 105.

« ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله » سورة الحديد، الآية: 27.

« فسأكتبها للّذين يتّقون ويؤتون الزّكاة » سورة الأعراف، الآية: 156.

« ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرًا أو كبيرًا إلى أجله » سورة البقرة، الآية: 282.

« فليس عليكم جناح ألاّ تكتبوها» سورة البقرة، الآية: 282.

« سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حقّ » سورة آل عمران، الآية: 181.

« كلاّ سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مدًّا » سورة مريم، الآية: 79.

« إنّا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم » سورة يس، الآية: 12.

« وليكتب بينكم كاتب بالعدل » سورة البقرة، الآية: 282.

« ولا يأبى كاتب أن يكتب كما علّمه الله » سورة البقرة، الآية: 282.

« فليكتب وليملل الّـذي عليه الحقّ وليتقّ الله ربّه » سورة البقرة، الآية: 282.

« والله يكتب ما يبيّتـون فأعرض عنهم وتوكّل على الله» سورة النساء، الآية:81.

« فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عند الله» سورة البقرة، الآية: 79.

« قل الله أسرع مكرًا إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون» سورة يونس، الآية: 21.

« بلى ورسلنا لديهم يكتبون » سورة الزخرف، الآية: 80.

« أم عندهم الغيب فهم يكتبون » سورة القلم، الآية: 47.

« وأكتب لنا في هذه الدّنيا حسنة وفي الآخرة إنّا هدنا إليك » سورة الأعراف، الآية: 156.

« ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرّسول فاكتبنا مع السّاهرين» سورة آل عمران، الآية: 53.

« يقولون ربّنا آمنّا فاكتبنا مع السّاهرين » سورة المائدة، الآية: 83.

« إذا تداينتم بدين من أجل مسمّى فاكتبوه » سورة البقرة، الآية: 282.

« يا أيّها الّـذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى » سورة البقرة، الآية: 178.

« كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصيّة للوالدين والأقربين» سورة البقرة، الآية: 180.

« يا أيّها الّـذين آمنوا كتب عليكم الصيام» سورة البقرة، الآية: 183.

« كما كتب على الّـذين من قبلكم» سورة البقرة، الآية: 183.

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم» سورة البقرة، الآية: 216.

« قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا» سورة البقرة، الآية: 246.

« فلمّا كتب عليهم القتال تولّوا إلاّ قليلاً منهم» سورة البقرة، الآية: 246.

« قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الّذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم» سورة آل عمران، الآية: 154.

« فلمّا كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون النّاس» سورة النساء، الآية: 77.

« في يتامى النّساء اللاّتي لا تؤتونهنّ ما كتب لهنّ» سورة النساء، الآية:127.

« ولا ينالون من عدوّ نيلاً إلاّ كتب لهم به عمل صالح» سورة التوبة، الآية: 120.

« ولا يقطعون واديا إلاّ كتب لهم» سورة التوبة، الآية: 121.

« كتب عليه أنّه من تولاّه فأنّه يضلّه ويهديه إلى عذاب السّعير» سورة الحج، الآية: 04.

« ستكتب شهادتهم ويسألون» سورة الزخرف، الآية:19.

« وقالوا أساطير الأوّلين اكتتبها » سورة الفرقان، الآية: 05- 25.

الآيات الّتي ورد فيها مصطلح : حشــر:

« فحشر فنادى فقال أنا ربّكم الأعلى» سورة النّازعات، الآية: 23.

« قال ربّ لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا» سورة طه، الآية: 125.

« وحشرنا عليهم كلّ شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء الله» سورة الأنعام، الآية:111.

« وترى الأرض بارزةً وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا» سورة الكهف، الآية: 47.

« يوم نحشر المتّقين إلى الرّحمن وفدًا» سورة مريم، الآية: 75.

« يوم ينفخ في الصّور ونحشر المجرمين يومئذٍ زرقًا» سورة طه، الآية: 102.

« ويوم نحشر من كلّ أمّة فوجًا ممّن يكذّب بآياتنا» سورة النّمل، الآية: 83.

« فوربّك لنحشرنّهم والشياطين» سورة مريم، الآية: 68.

« ونحشره يوم القيامة أعمى» سورة طه، الآية: 124.

« ويوم نحشرهم جميعًا ثمّ نقول للّذين أشركوا مكانكم» سورة يونس، الآية: 28.

« ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا» سورة النساء، الآية: 172.

« ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلاّ ساعة من النّهار» سورة يونس، الآية: 45.

« وإنّ ربّك هو يحشرهم إنّه حكيم عليم» سورة الحجر، الآية: 25.

« ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله» سورة الفرقان، الآية: 17.

« واحشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون» سورة الصافات، الآية: 22.

« وحشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطّير» سورة النّمل، الآية: 17.

« وإذا حشر النّاس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين» سورة الأحقاف، الآية: 6.

« وإذا الوحوش حشرت» سورة التّكوير، الآية: 05.

« واتّقوا الله واعلموا أنّكم إليه تحشرون» سورة البقرة، الآية: 203.

« قل للّذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنّم» سورة آل عمران، الآية: 12.

« ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون» سورة آل عمران، الآية: 157.

« واتّقوا الله واعلموا أنّكم إليه تحشرون» سورة المائدة، الآية: 96.

« وأن أقيموا الصّلاة واتّقوه وهو الّذي إليه تحشرون» سورة الأنعام، الآية: 72.

« واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه وأنّه إليه تحشرون» سورة الأنفال، الآية: 24.

« وهو الّذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون» سورة المؤمنون، الآية: 79.

« وتناجوا بالبرّ والتّقوى واتّقوا الله الّذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون» سورة المجادلة، الآية: 09.

« قل هو الّذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون» سورة الملك، الآية: 24.

« قال موعدكم يوم الزّينة وأن يحشر النّاس ضحًى» سورة طه، الآية: 59.

« ويوم يحشر عداء الله إلى النّار فهم يوزّعون» سورة فصلت، الآية: 19.

« وأنذر به الّذين يخافون أن يحشروا إلى ربّهم» سورة الأنعام، الآية: 51.

« ما فرّطنا في الكتاب من شيء ثمّ إلى ربّهم يحشرون» سورة الأنعام، الآية: 38.

« والّذين كفروا إلى جهنّم يحشرون» سورة الأنفال، الآية: 36.

« الّذين يحشرون على وجوههم إلى جهنّم أولئك شرّ مكانًا» سورة الفرقان، الآية: 24.

« يوم تشقّق الأرض عنهم سراعًا ذلك حشر علينا يسير» سورة ق، الآية:44.

« هو الّذي أخرج الّذين كفروا من أهل الكتاب ديارهم لأوّل الحشر» سورة الحش، الآية: 2.

« قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين» سورة الأعراف، الآية: 111.

« قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين» سورة الشعراء، الآية: 36.

« فأرسل فرعون في المدائن حاشرين» سورة الشعراء، الآية: 53.

« والطّير محشورةً كلّ له أوّاب» سورة ص، الآية: 19.

فهرس المصادر والمراجع

1. شرح صحيح الأدب المفرد (للإمام البخاري)، حسين بن عودة العوايشة، المكتبة الإسلامية، دار الإمام ابن حزم، ط 1، 2003 ج 2.

2. سيرة النبويّة، ابن هشام الخثعمي، تح: عبد الرّؤوف سعد، مكتبة الأزهريّة، القاهرة، 1972، ج 2.

3. مفردات في ألفاظ القرآن، راغب الأصفهاني؛ أبي القاسم الحسين بن محمّد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ت. ط.

4. أساس البلاغة، الزّمخشري؛ جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1996.

5. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1997.

6. إتقان في علوم القرآن، جلال الدّين السيوطي، تح: محمّد بن بازمول، دار الهجرة للنّشر والتّوزيع، ط 1، 1992.

7. مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزّرقاني، دار الفكر، المجلّد 1 و 2.

8. تبيان في علوم القرآن، الصّابوني محمّد علي، مكتبة رحاب، دار البعث، قسنطينة، ط 3، 1986.

9. فتح الباري، شرح صحيح البخاري.

10. مختصر الإتقان في علوم القرآن (لجلال الدّين السيوطي)، اختصار وتعليق: صلاح الدّين أرقة دان، دار النّفائض، بيروت، لبنان، ط 3، 1990.

11. دراسات في علوم القرآن، عبد العزيز أمير، دار الشّهاب، مطبعة أمزيان، باتنة، الجزائر، ط 2، 1988.

12. إعجاز القرآن، الباقلاني، تح: أبو بكر عبد الرّزاق، مكتبة مصر، الفجالة، د. ت. ط.

13. معجزة الكبرى، محمّد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت. ط.

14. سورة هود.

15. سورة يونس.

16. سورة البقرة.

17. مباحث في علوم القرآن، منّاع القطّان، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط 35.

18. سورة النحل.

19. إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، مصطفى صادق الرّافعي، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 2003.

20. بيان في علوم القرآن، محمّد صالح الصّديق، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، د. ت. ط.

21. برهان في علوم القرآن، الزّركشي، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 1972.

22. الصاحبي في فقه اللّغة، أحمد بن فارس، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ت.ط.

23. سورة الأنعام.

24. دراسات في علوم القرآن، محمّد بكر إسماعيل، دار المنار، القاهرة، ط 2، 1999.

25. التبيان في علوم القرآن، الصابوني محمد علي، دار البعث قسنطينة ط3 1989

26. سورة إبراهيم.

27. سورة المائدة.

28. الإعجاز البياني في الآيات المحكمات: العبادات والمعاملات، عمار ساسي، رسالة دكتوراه- مخطوطة- 1996/ 1997.

29. سورة الحجر

30. تفسير التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، والدّار التونسيّة، تونس، 1984.

31. في إعجاز القرآن الكريم: دراسة الإعجاز البياني في بعض آيات الأحكام، عمار ساسي، رسالة ماجستير –مخطوطة- 1991/ 1992.

32. معجزة القرآن، محمّد متولّي الشّعراوي، دار العودة، بيروت، 1982.

33. ثراء المعنى، محمّد خليل جيجك، دار السّلام، القاهرة، مصر، ط 1، 1999.

34.البنية الايقاعية في القرآن الكريم نعيمة زواخ رسالة ماجستير،2001،2000

35. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا وديب مستو، دار العلوم الإنسانيّة و دار الكلم الطيّب، دمشق، سوريا، ط 2، 1992.

36- سورة القمر.

37- سورة الحاقة.

38- سورة التوبة.

39- سورة العنكبوت.

40- سورة الحج.

41- سورة الأعراف.

42- سورة فصلت.

43- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصّالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1982.

44- نظريّة الإعجاز القرآني وأثرها في النّقد العربي القديم، أحمد سيّد محمّد عمّار، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، و دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1، 1998.

45- القرآن بين الحقيقة والمجاز والإعجاز، محمّد عبد الغني حسن، مؤسّسة المطبوعات الحديثة، د. ت. ط.

46- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 2، 1989.

47- سورة النساء.

48- منهج ابن تيميّة في تفسير القرآن، صبري المتولّي، عالم الكتب، القاهرة، 1981.

49- بيان والتّبيين، الجاحظ، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1998، ج1.

50- محيط في اللّغة، إسماعيل بن عبّاد، تح: الشّيخ محمّد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط 1، 1994.

51- تهذيب اللّغة، الأزهري، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط 1، 1987، الجزء 1.

52- معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1997.

53- مختار الصّحاح، عبد القادر الرّازي، ضبطه: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط 1، 1994.

54- معجم متن اللّغة، الشيخ محمّد رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 1، 1958.

55- سورة الرحمن.

56- سورة آل عمران.

57- سورة القيامة.

58- مباحث البيان عند الأصوليّين والبلاغيّين، محمود سعد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د. ت. ط.

59- سورة الحديد.

60- سورة الزخرف.

61- بيان في القرآن: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزّين، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ط 2، 1984.

62- رسالة، محمد بن ادريس الشافعي، تح: أحمد محمد شاكر، البابي الحلبي، مصر، ط1، 1940.

63- منخول من تعليقات الأصول، أبو حامد الغزالي، دار الفكر، دمشق، 1980.

64- أصول السّرخسي، الإمام أحمد بن سهل السّرخسي، دار المعرفة، بيروت،لبنان، ج2.

65- سورة محمد.

66- سورة الحجر.

67- كشف الأسرار: شرح المصنّف على المنار، الإمام النّسفي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط 1.

68- مذكّرة أصول الفقه على روضة النّاظر، محمّد الأمين الشّنقيطي، تح: أبو حفص سامي، دار اليقين للنّشر والتّوزيع، ط 1، 1999.

69- تقريب الوصول إلى علم الأصول، أبو القاسم الغرناطي المالكي، تح: محمّد المختار الشنقيطي، مكتبة ابن تيميّة، القاهرة، ط 1، 1414 هـ.

70- عمدة في صناعة الشّعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، النبويّ عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 2000، ج 1.

71- معجم المفصّل في علوم البلاغة، أنعام طوّال عكّاوي، دار الكتب العلميّة، بيروت 1996.

72- مفتاح العلوم، السكّاكي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د. ت. ط.

73- سورة الطلاق.

74- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الإمام الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د. ت. ط.

75- سورة التكوير.

76- سورة الفاتحة.

77- سورة نوح.

78- سورة النور.

79- علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النّهضة، بيروت، لبنان، د. ت. ط.

80- سورة الزمر.

81- إيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تح: محمّد عبد المنعم خفّاجي، دار الكتاب اللّبناني، ط 4، 1975.

82- مجلّة كليّة الدّعوة الإسلاميّة، مجلّة إسلاميّة ثقافيّة، جامعة محكمة، العدد التّاسع، 1992.

83- تحليل الخطاب السّردي، سليمان عشراتي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1998.

84- مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد9،1992

85- إعجاز القرآن وأثره في تطوّر النّقد الأدبي، علي مهدي زيتون، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1992.

86- موجز في شرح دلائل الإعجاز، جعفر دكّ الباب، دار الجيل، دمشق، د. ت. ط.

87- لسان العربي و قضايا العصر، عمّار ساسي، دار المعارف، بوفاريك، البليدة، 2002.

88- تفسير الفخر الرّازي: المشتهر بالتّفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام محمّد الرّازي فخر الدّين ابن العلاّمة ضياء الدّين عمر،دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1981.

89- سلسلة القواعد والضّوابط والكليّات، قواعد التّفسير: جمع ودراسة خالد بن عثمان السّبت، دار عثمان بن عفّان، القاهرة، مصر،ط 1، 1421 هـ.

90- سورة الرعد.

91- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرح: أحمد صقر، دار التّراث، القاهرة، مصر، ط 2، 1973.

92- تهذيب وترتيب الإتّقان في علوم القرآن، محمّد بن عمر بن سالم بازمول، دار الهجرة، د. ت. ط.

93- علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، الزهراء، للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 1990.

94- برهان في متشابه القرآن، الكرماني محمد بن حمزة بن نصر، تح: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، دار الوفاء، المنصورة، ط 2، 1998.

95- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدّين الدّرويش، دار ابن كثير، ط 6، 1999، ج1.

96- توفيق الرّحمان في دروس القرآن، فيصل بن عبد العزيز آل مبارك، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزّير، دار العليان، ط 1، 1996، ج1.

97- مختصر تفسير ابن كثير، أحمد محمّد شاكر، دار الوفاء، ط1، 2003.

98- تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، دار ابن قيم الجوزيّة، ط 1، 1423 هـ، ج1.

99- محاسن التّأويل، جمال الدّين القاسمي، تح: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط 1 ،1997، ج 2.

100- سورة الحجرات.

101- سورة يوسف.

102- كشّاف، الزّمخشري، دار الكتاب العربي، ط 3، 1987.

103- محكم والمتشابه في القرآن الكريم، محمد التومي، شركة الشهاب، الجزائر، 1989.

104- محكم والمتشابه في القرآن الكريم: دراسة تحليلية، سليمان بن الشيخ الحسين، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، د.ت.ط.

105- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز برواية ابن أبي الفرج الأردستلني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج1.

106- ملاك التاويل،احمد بن الزبير الغرناطي،تح،دار الغرب الإسلامي،ج1،ط1، 1983.

107- متشابه القرآن لقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تح: عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة، ج1.

108- رد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأوّلوه على غير تأويله، أبو عبد أحمد بن محمد بن حنبل، تح: أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان، دار المنهاج، ط1، 2003.

109- أضواء على متمشابهات القرآن، خليل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د، ت، ط.

110- أسرار اللسان العربي،جعفر دك الباب،الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع،ط1،1990.

111- سورة الروم.

112- سورة الصافات.

113- سورة المؤمنون.

114- سورة الإسراء.

115- تفسير الجلالين، جلال الدين المحلّي، جلال الدين السيوطي، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، ط 1، 2002.

116- صحاح: تاج اللّغة وسرّ العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تح: أصيل بديع يعقوب، محمّد نبيل طريف، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

117- سورة الشعراء.

118- سورة ص.

119- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط2، تح: صفوان عدنان، 1998.

120- سورة الواقعة.

121- سورة الملك.

122- سورة النجم.

123- معجم الوسيط: مجمع اللّغة العربيّة، ط 3، 1985.

124- سورة النمل.

125- سورة الكهف.

126- سورة الأنبياء.

127- سورة طه.

128- سورة القصص.

129- سورة فاطر.

130- سورة النبأ.

131- سورة البلد.

132- سورة الطارق.

133- سورة الذاريات.

134- سورة النور.

135- سورة السجدة.

136- سورة الفتح.

137- تفسير النسفي، الإمام الجلل أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، لبنان، د.ت.ط.

138- تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفدا الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفي سنة 774 هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2002.

139- تفسير تطبيقي: منهج عملي لدراسة النص القرآني، حسن بشير الصديق، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، السودان، 1422/ 2002.

140- سورة المطففين.

141- سورة الحشر.

142- سورة الجاثية.

143- سورة الجن.

144- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تح علي محمد البجاوي، دار الجيل، لبنان،ط2،ج2،1987.

145- سورة المجادلة.

146- سورة الأنفال.

147- سورة الأحزاب.

148- سورة التحريم.

149- سورة المرسلات.

150- سورة القدر.

151- ترادف القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، دمشق، سوريا/ دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 2، 2001.

152- سورة التكوير.

153- سورة النحل.

154- سورة الأحقاف.

155- سورة المعارج.

156- سورة سبأ.

157- سورة الشورى.

158- سورة التغابن.

159- سورة يس

160 سورة الجمعة

قاهر في النّظم، درويش الجندي، مكتبة نهضة عصر بالفجالة، 1960.

قواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج متن الألفية لابن مالك وخلاصة السراج لابن هشام وابن عقيل والأشموني، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر الحسين، دار غريب للطّباعة والنّشر، ط 1، 1998.